العرب الأسبوعي

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/03/06 – الموافق لـ
26 جمادى الأولى 1437 السنة 38 العدد 10206

Sunday 06/03/2016
38th Year, Issue 10206

العرب
alarab.co.uk

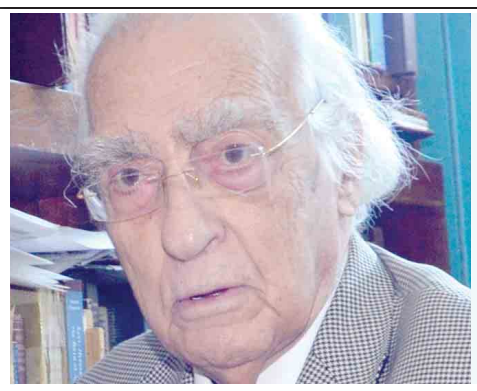

المفكر مراد وهبة يرد على منتقديه

المخلص محبوس في مستشفى المجانين

عبد وازن: قداس جنائزي لأنسي الحاج

حميد زناز: هل فجر ميشال أونفري نفسه

سلمان ناطور: التأمل في واقع دموي

وليد علاء الدين: عمرو خالد وقتل العقل الناقد

ص11 إلى 16

وجوه

غادة المطيري

سعودية ثائرة في عالم الطب والأبحاث العلمية

ص 8

هيلين الخال

الرسامة التي كتبت أجمل النصوص

ص 10

الوشم

بين معانيه وشخصياته المتمردة

ص 9

تركيا «تحارب» النفوذ الإيراني برفع التبادل التجاري معها إلى 30 مليارا

المصالح تؤجل الخلافات الإقليمية ولو إلى حين

❑ **طهران** – تراهن تركيا على زيارة رئيس وزرائها أحمد داوود أوغلو لإيران لإنجاز اختراق تجاري يمكّنها من تجاوز ولو نسبي لمخلفات الحصار الروسي الخانق والذي أصبح يهدد اقتصادها بشكل كبير.

ويأتي هذا السعي التركي في وقت تبدو فيه أنقرة على استعداد لتغيير موقفها من الرئيس السوري بشار الأسد إذا كان ذلك يساعد على إذابة الجليد بينها وبين طهران التي تتذمر بدورها من أنّ تدخل روسيا في الملف السوري يهدد المصالح التي حققتها طيلة خمس سنوات من عمر الصراع.

وأعلن نائب الرئيس الايراني إسحاق جهانغيري لدى استقباله داوود أوغلو السبت، أن إيران وتركيا تريدان رفع مبادلاتهما من 10 إلى 30 مليار دولار سنويا في غضون سنتين، على الرغم من خلافاتهما حول بعض الأزمات الاقليمية.

وأكد جهانغيري خلال ندوة صحافية مع داوود أوغلو نقل التلفزيون الرسمي وقائعها، "حددنا هدف الـ30 مليار دولار لمبادلاتنا التجارية.. سنحاول تحقيقه" في غضون سنتين.

وأكد رئيس الوزراء التركي من جانبه أن بلاده متفقة مع هذا الهدف. وقال "نحن مسرورون أكثر من أيّ بلد آخر لرفع العقوبات عن إيران" بعد دخول الاتفاق النووي بين طهران والقوى العظمى حيز التطبيق في منتصف يناير 2016.

وفي يناير 2014، وخلال زيارة إلى إيران قام بها رجب طيب أردوغان، الذي كان آنذاك رئيسا للوزراء، حدد البلدان هدفا يقضي برفع مبادلاتهما التجارية إلى 30 مليار دولار في 2015، لكن هذه المبادلات تراجعت عمليا.

وذكر وزير الاتصالات الإيراني محمود واعظي، الذي يرأس اللجنة الاقتصادية المشتركة الايرانية التركية، أن حجم المبادلات "كان 15 مليار دولار" بين مارس 2014 ومارس 2015 و"بات 10 مليارات" منذ مارس 2015.

وتصدر إيران الغاز إلى تركيا وتستورد منتجات عدة منها. وزيادة حجم صادرات الغاز الإيراني إلى تركيا هي أحد المواضيع التي ستناقش خلال زيارة داوود أوغلو.

ولم يخف المسؤولان من جهة أخرى، خلافاتهما المتعلقة بمسائل إقليمية، خصوصا حول سوريا حيث تدعم إيران ماليا وعسكريا نظام الأسد، فيما تساعد تركيا مجموعات معارضة.

وقال جهانغيري "إننا مختلفون حول بعض المسائل لكننا نعمل عليها من أجل تسوية مشاكل المنطقة".

وأكد داوود أوغلو أن "التاريخ السحيق وجغرافيا البلدين يتكاملان" على الرغم من هذه الخلافات.

ولا يستبعد المراقبون أن تعرض تركيا مراجعة موقفها في سوريا، وخاصة تجاه الأسد الذي بان بالكاشف أن مصيره لم يعد يرتبط بالعمليات العسكرية المدعومة من تركيا. ويجري الحديث الآن عن صفقة روسية أميركية ستفضي لتخلي الأسد عن السلطة من بوابة الانتخابات، على أن يتم ذلك بعد القضاء على المجموعات الإسلامية المتشددة مثل داعش والنصرة وأحرار الشام، وبعضها مدعومة بشكل مباشر من أنقرة.

ومن الواضح أن عرض أنقرة مقايضة موقفها في سوريا بصفقة غاز إيرانية تعوض توقف الغاز الروسي، لا يغري الإيرانيين الذين يبحثون عن ترتيب دورهم ما بعد الأسد رغم التصريحات المتتالية عن تمسّكهم به.

وتعكس زيارة رئيس الوزراء التركي إلى طهران في وقت صعب لأردوغان الذي جلبت مواقفه في الملف السوري مصاعب كثيرة لبلاده خاصة استعداءه لروسيا وإصراره على التدخل العسكري لفرض منطقة عازلة على الحدود مع سوريا، وقصفه لفصائل كردية مدعومة أميركيا وروسيا.

واتسمت مواقف الرئيس التركي تجاه إيران بالتناقض، فهو يهاجمها إذا كان يريد التقرب من السعودية، ويتقرب إليها إذا كان يريد تحقيق مكاسب اقتصادية.

وأفقدت هذه الازدواجية الموقف التركي أيّ مصداقية لدى المملكة العربية السعودية خاصة بعد تراجع أردوغان عن الدعم العلني لتدخلها في اليمن لإجبار المتمردين الحوثيين المرتبطين بإيران على التراجع عن انقلابهم العسكري على شرعية الرئيس عبدربه منصور هادي.

ولا يثق السعوديون بوعود أردوغان، فقد سبق له أن عرض تقديم الدعم لعاصفة الحزم التي شنّها التحالف العربي على الحوثيين، داعيا إيران إلى الانسحاب من اليمن، ومتّهما إياها بالسعي لوضع المنطقة تحت هيمنتها، لكنه زار طهران بعدها بمدة وتحدث عن حلّ سياسي للأزمة اليمنية ما أعطى الانطباع بأنه يقف إلى صف إيران وحلفائها في اليمن.

وقبل زيارته إلى الرياض نهاية ديسمبر الماضي، جدد الرئيس التركي الهجوم على إيران متهما إياها بتنفيذ سياسات طائفية في المنطقة وخاصة في سوريا، ومن الواضح أنه كان يحاول استثمار رغبة السعودية في تطويق الدور الإيراني ليقدم نفسه حليفا سنيا للمملكة.

وفشل أردوغان في الحصول على دعم اقتصادي سعودي لمواجهة الإجراءات العقابية الروسية، وهو ما قد تنتهي إليه نتائج زيارته لطهران في ظل تناقض الأهداف والمواقع الإقليمية للبلدين.

ملف حول أزمة لبنان

خيرالله خيرالله

حسن نصرالله وهزيمة المشروع الإيراني في اليمن

أحمد عدنان

مستقبل تيار المستقبل

طراد بن سعيد العمري

ماذا فعل سماحة السيد حسن نصرالله؟

شادي علاء الدين

تيارات تيار المستقبل وأزمة الحكومة الإرهابية

إهمال الشيعة: من يقف مع معارضي حزب الله

ص 4، 5، 6، 7

فساد واسع في وزارتي النفط والإسكان بالعراق

❑ **بغداد** – كشف تقرير "المدقق الدولي لصندوق تنمية العراق" (هيئة دولية)، السبت، عن هدر الملايين من الدولارات بتعاقدات أبرمتها وزارتا النفط والإسكان والإعمار على مدى السنوات العشر الماضية.

ويدعم التقرير الصورة الدولية السيئة عن العراق في فترة حكم رئيس الوزراء السابق نوري المالكي، حيث لم يترك الفساد أيّ مجال دون أن يخرّبه.

وبيّن التقرير الذي نشرته لجنة الخبراء الماليين في الحكومة العراقية أن بغداد أنفقت أكثر من 70 مليون دولار لإصلاح أنابيب النفط المستهدفة، بسبب ضعف الإجراءات لحمايتها.

وأشار إلى أن "شركة مصافي الوسط التابعة لوزارة النفط تعاقدت عام 2005 مع شركتي الحرة الدولية وسبلاي الأميركيتين لتنفيذ مشروع تحسين البنزين بمبلغ يزيد على مليون دولار وبمدة 28 شهرا، لكن نسب الإنجاز حتى 2015 بلغت 75 بالمئة، و29 بالمئة للشركتين، اللتين حصلتا على 27 مليون دولار إضافية بسبب ارتفاع الأسعار في الأسواق، ورغم ذلك وافق وزير النفط على حل الموضوع رضائيا".

وجاء في التقرير أن "كلف تصليح أنابيب النفط بعد التخريب عام 2014 بلغت 16.6 مليون دولار، وفي أعوام 2011–2013 بلغت 60 مليون دولار، والسبب يعود إلى عدم كفاية الإجراءات الأمنية لحماية الأنابيب النفطية".

وذكر أن "وزارة الإسكان والإعمار أحالت 3 عقود إلى شركة السدود –وهي شركة غير كفؤة– بمبلغ نحو 128 مليون دولار، ولم يكتمل تنفيذها حتى الآن، رغم أن أحدها أحيل عام 2008، فيما أحيل عقدان إلى شركة أفق الزوراء بمبلغ نحو 16.6 مليون دولار، وقد تجاوزت النسب الإضافية الممنوحة للشركات إلى 105 بالمئة من مدة العقد الأصلية".

وقال خبراء إن الفساد، في الوزارات والمؤسسات التابعة لها، فساد منظم بشكل يجعل الأحزاب الدينية المشكلة للحكومة هي المستفيد منه وإن بدرجات متفاوتة وحسب أهمية الحزب وقربه من إيران.

وما فتح الباب واسعا أمام الفساد المنظم، هو إغراق الأحزاب الدينية وزارات السيادة والمؤسسات الهامة بمنتسبيها، وخاصّة من عناصر الميليشيات التي قاتلت إلى جانب إيران في حرب الثماني سنوات ضد العراق.

ولعل أبرز صورة للفساد على هذا المستوى، ما أكد عليه وزير المالية هوشيار زيباري حين قال مؤخرا إن "قضية الجنود الوهميين (المعروفة بالجنود الفضائيين) هي من أبرز قضايا الفساد في العراق".

وفي شهر فبراير 2016، كشف تقرير المدقق الدولي، عن مخالفات مالية وتعاقدية "كبيرة" في وزارة الصحة العراقية، تتعلق بمشاريع فاشلة ومتلكئة وعقود وهمية وأدوية غير صالحة للاستهلاك، بمليارات الدولارات.

رئيس جديد للائتلاف السوري.. بعيد عن الإخوان قريب من السعودية والغرب

❑ **إسطنبول** – انتخبت الهيئة العامة للائتلاف السوري المعارض السبت أنس العبدة رئيسا جديدا، خلفا لخالد خوجة، وذلك في اجتماع الهيئة الـ27 المستمر منذ أسبوع.

ويراهن قياديون في المعارضة السورية على أن هذا الاختيار سيساعد على مرونة أكثر في اتخاذ القرارات خاصة أن العبدة قريب من السعودية وله علاقات جيّدة مع الغرب، فضلا عن خلافاته مع جماعة الإخوان المسلمين.

وكانت الهيئة العامة للائتلاف قد قررت الأسبوع الماضي، تكليف رئيس اللجنة القانونية، هيثم المالح، بتسيير أعمال الائتلاف، خلفا لخالد خوجة الرئيس المنتهية ولايته، لحين انتخاب رئيس آخر، بحسب مصادر معارضة.

وانتخب العبدة لدورة رئاسية واحدة مدتها ستة اشهر قابلة للتجديد مرة واحدة.

وكتب خوجة، الذي كان انتخب رئيسا في يناير 2015، على حسابه على تويتر "أهنئ الزميل أنس العبدة بتسلمه مهام رئاسة الإئتلاف داعياً له بالتوفيق في العمل على نصرة ثورة سوريا وإيصال رسالتها للعالم".

وحاز العبدة على غالبية الاصوات، اذ صوت له، وهو المرشح الوحيد، 63 عضوا في الهيئة العامة للائتلاف من اصل 103، بحسب متحدث في المكتب الاعلامي.

ويعتبر أنس العبدة من الشخصيات المعارضة القديمة التي شاركت في لعب دور بحركة ربيع دمشق بعد استلام بشار الأسد الحكم سنة 2000 بعد وفاة والده حافظ الأسد.

ويمتلك أنس عقلية غربية في العمل بحكم إقامته في أوروبا وتوليه إدارة بعض المشاريع الخاصة ثم الأنشطة السياسية والإعلامية المعارضة للأسد حيث ساهم في تأسيس أول قناة سورية معارضة من لندن تحت اسم "بردى".

وعرف عنه مشاركته في فعاليات معارضة ضد الرئيس السوري قبل اندلاع الثورة في 2011 بسنوات.

والعبدة من مواليد دمشق سنة 1967، درس الجيولوجيا في جامعة اليرموك بالأردن، وحصل على الماجستير في الجيوفيزياء، ثم انتقل إلى بريطانيا وعمل في الإدارة التقنية هناك.

ولد في عائلة ذات خلفية إسلامية، إلا أنه أدرك أن الانغلاق ضمن تيارات الإسلام السياسي سيضعف من حركته السياسية فتقرّب من تيارات أخرى مثل الليبراليين. ولم يكن يخفي تخوفه من هيمنة الإخوان على العمل السياسي المعارض في سوريا، وهو أمر كانت تركيا تريد أن تفرضه على المعارضة السورية.

وبنى الرئيس الجديد للائتلاف علاقات جيدة مع الدول الغربية بحكم إقامته وإتقانه للغة الإنكليزية وعلاقاته مع الجهات الدولية المهتمة بدعم المشاريع المعارضة للأسد حيث حظيت قناة "بردى" بدعم غربي.

وأقام علاقات ممتازة مع بعض دول الخليج وتحديدا مع السعودية كونه إسلاميا ويعادي جماعة الإخوان في نفس الوقت، وأن ذلك ربما يساعد بشكل أكثر فاعلية في جعل الرياض الراعي الأول لكل مؤسسات المعارضة وبالتالي إخراج النفوذ التركي عن الائتلاف بطريقة ناعمة.

ولا شك أن وصول العبدة لرئاسة الائتلاف يأتي في أصعب أوقات المعارضة خصوصا أن الهيئة العليا للمفاوضات المنبثقة عن مؤتمر الرياض أصبحت هي المظلة الأولى للمعارضة وليس الائتلاف.

ولا تتوقف المعارضة عن استبدال قياداتها في مشهد متخبط لا يعكس حتى اولويات العمل الميداني والتطورات السياسية.

وقال منذر أقبيق عضو الائتلاف في تصريح لـ"العرب"، "إن المعارضة مازالت في وضع يزداد صعوبة كل يوم، وإن الائتلاف يعاني من ضعف تنظيمي ومؤسساتي يؤثر سلبا على إنشاء تحالفات وشراكات مع القوى الشعبية والسياسية والعسكرية، مع عدم رغبة القيادات المتعاقبة على الائتلاف في حل تلك الإشكالات".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الاتحاد الأوروبي حريص على تسوية الخلافات مع المغرب

موغريني تؤكد استئناف جميع الاتصالات بين الاتحاد والرباط

حققت زيارة مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي إلى المغرب أهدافها التي تتلخص في كسر حاجز التوتر بين الجانبين على خلفية قرار محكمة العدل الأوروبية إلغاء اتفاقية تجارية مع الرباط انجرّ عنها قيام الأخيرة بقطع جميع اتصالاتها مع الاتحاد.

علاقة استراتيجية رغم بعض المنغصات

□ **الرباط** – أكد الاتحاد الأوروبي حرصه على تعزيز العلاقات الاستراتيجية بينه وبين المغرب، مشددا على التزامه الكامل بكل الاتفاقات التي تمّ إبرامها بين الجانبين.

وأوضحت مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي فيدريكا موغريني، أن الاتحاد لا يوافق على حكم محكمة يلغي اتفاقية تجارة زراعية مع المغرب وأن الاتفاقات مع الرباط لا تنتهك القانون الدولي.

وطعن الاتحاد الأوروبي في قرار المحكمة الأوروبية الذي أعلن في العاشر من ديسمبر 2015 بإلغاء اتفاقية التجارة مع المغرب بعد قضية رفعتها جبهة البوليساريو الانفصالية في العام 2012 ضد تصدير الرباط المنتجات الزراعية والبحرية من الصحراء نحو الاتحاد الأوروبي.

وكان المغرب والاتحاد الأوروبي قد وقعا على بروتوكول التبادل الزراعي التجاري سنة 2010 بعد مفاوضات امتدت لسنوات، وتمت المصادقة على البروتوكول في البرلمان الأوروبي في العام 2012.

وقامت موغريني بزيارة غير مبرمجة للرباط لتهدئة التوتر بعد إعلان المغرب تعليق الاتصالات مع مؤسسات الاتحاد الأوروبي احتجاجا على قرار المحكمة.

وقالت موغريني للصحفيين في مؤتمر صحافي مشترك مع وزير الخارجية المغربي صلاح الدين مزوار "المجلس (الأوروبي) يعترض على الحكم الصادر في 10 ديسمبر 2015 لهذا تم تقديم استئناف للمحكمة الأوروبية".

وأضافت "الاتحاد الأوروبي يبقى على قناعة بأن اتفاقاته مع المغرب لا تنتهك القانون الدولي". وشددت المسؤولة الأوروبية على أن التجارة لن تتأثر بالحكم. ويعتبر المغرب شريكا استراتيجيا بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي، وقد شهدت العلاقة بين الجانبين قفزة نوعية خلال السنوات الأخيرة رغم وجود بعض المنغصات التي يشكك البعض في وقوف الجزائر الداعمة لجبهة البوليساريو الانفصالية خلفها.

> المغرب يتمتع بصفة «الوضع المتقدم» لدى الاتحاد الأوروبي، وهي صفة تجعله أقل من عضو كامل في الاتحاد وأكثر من شريك عادي

ويعد الاتحاد الأوروبي الشريك التجاري الأول للمملكة المغربية حيث تمثل صادرات المملكة إليه 77 بالمئة من مجمل صادراته، كما تربطه عدة اتفاقيات كبيرة مع الرباط في مجالي الزراعة والصناعة إضافة إلى اتفاق للتبادل الحر.

ويبلغ حجم استثمارات الاتحاد الأوروبي القائمة حاليا في المغرب نحو 1.2 مليار يورو، كما يعتبر الاتحاد الأوروبي أكبر ممول لمشروع نور-ورزازات للطاقة الشمسية الأكبر من نوعه في العالم بنحو 60 بالمئة.

ويتمتع المغرب بصفة "الوضع المتقدم" لدى الاتحاد الأوروبي، وهي صفة تجعله أقل من عضو كامل في الاتحاد وأكثر من شريك عادي.

ويرى محلّلون أن الاتحاد الأوروبي لا يمكنه بأيّ حال ضرب علاقته المتقدمة مع الرباط، تحت أيّ مسببات، ومن هنا تأتي زيارة موغريني لإعادة بوصلة العلاقات إلى اتجاهها الصحيح.

وأعلنت وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي أن الاتحاد سيستأنف الاتصالات مع الرباط في جميع المجالات بعد تقديم ضمانات باستمرار تنفيذ الاتفاق الزراعي مع المغرب.

وقالت موغريني في العاصمة الرباط إنها قدمت "توضيحات وضمانات للمغرب" مضيفة "نحن متفقون على تفهم مواقفنا الثنائية وسنستأنف اتصالاتنا في جميع المجالات".

من جانبه أوضح وزير الخارجية المغربي، صلاح الدين مزوار، أن "بلاده تلقت تطمينات من الاتحاد الأوروبي بأنه سيحترم كافة الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين".

وأضاف أن الاتحاد ودوله سيتخذون كافة الخطوات الضرورية من أجل إلغاء قرار محكمة العدل، خلال مرحلة الاستئناف، مشيرا إلى أن "زيارة موغريني جاءت بسبب قرار المغرب وقف الاتصالات مع الاتحاد الأوروبي".

واعتبر متابعون للشأن المغربي أن قرار الرباط بوقف الاتصالات مع الاتحاد الأوروبي كانت رسالة قوية وحازمة، أرادت من خلالها التأكيد على أنّ أي محاولة للانتقاص أو المساس بسيادة المغرب هي خط أحمر لا يمكن بأيّ حال تخطيه.

ويعتبر المغرب قضية الصحراء مسألة سيادية، وأن أيّ محاولات للعب على هذا الوتر من أيّ جهة كانت لا يمكن القبول بها.

وبدأت قضية الصحراء تطفو إلى السطح عام 1975، بعد إنهاء تواجد الاحتلال الإسباني بها، ليتحول النزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو الانفصالية إلى نزاع مسلح، استمر حتى عام 1991، وتوقف بتوقيع اتفاق لوقف إطلاق النار برعاية الأمم المتحدة.

وتشرف الأمم المتحدة، على مفاوضات بين المغرب وجبهة البوليساريو، بحثا عن حل نهائي للنزاع حول إقليم الصحراء منذ توقيع الطرفين اتفاق وقف إطلاق النار.

وتقدم المغرب باقتراح لحل النزاع لاقى ترحيبا وتأييدا دوليين، وهو إقامة حكم ذاتي موسع تحت سيادتها، بينما تطالب البوليساريو بتنظيم استفتاء لتقرير مصير الإقليم، وهو طرح تدعمه الجزائر التي تؤوي النازحين الفارين من الإقليم بعد استعادة المغرب له إثر انتهاء الاحتلال الإسباني.

وبدأ الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون السبت، زيارة للجزائر في إطار جولة يقوم بها في منطقة غرب أفريقيا وشمالها قادته إلى موريتانيا وبوركينافاسو.

وصرح بان كي مون قبيل ذهابه إلى الجزائر بأنه يعتزم إعادة إطلاق المفاوضات حول النزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو المدعومة من النظام الجزائري.

وتشكل هذه الزيارة للجزائر دليلا قاطعا على تورط الأخيرة في الصراع على الصحراء، ووقوفها حجر عثرة أمام أيّ تسوية واقعية.

وفاة الترابي.. مهندس مآسي السودان

□ **الخرطوم** – توفي الزعيم الإخواني السوداني حسن الترابي صباح السبت في الخرطوم عن 84 عاما إثر إصابته بذبحة قلبية.

ويعرف الترابي بأنه مهندس مآسي السودان بدءا بتحالفه مع الرئيس السابق جعفر النميري على "تطبيق الشريعة"، مرورا بانقلاب "الإنقاذ" في 1989 وفرض عودة العسكريين إلى السلطة وعلى رأسهم الرئيس الحالي عمر حسن البشير، وصولا إلى دعمه تقسيم السودان إلى دولتين.

وأورد التلفزيون السوداني الرسمي في شريط إخباري "وفاة المفكر الإسلامي حسن عبد الله الترابي".

وأوضح مصدر طبي أن الترابي نقل إلى "قسم العناية المركزة صباح السبت إثر إصابته بذبحة قلبية توفي على إثرها" في مستشفى "رويال كير" في الخرطوم.

يتكلم الترابي الفرنسية والإنكليزية والألمانية بطلاقة مما سهل عليه الاتصال بوسائل الإعلام الأجنبية التي كانت تتلقف تصريحاته بشأن ما كان يسمّيه الثورة الإسلامية العالمية.

ويقدم نفسه في صورة الوجه المبتسم للإخوان، لكنه مثال للمتآمر سواء في المستوى المحلي السوداني، أو في مستوى هيكلة الحركات الإسلامية الإخوانية ودفعها إلى مواجهة حكومات بلدانها مثلما جرى في مصر خلال تسعينات القرن الماضي.

وفتح الترابي أبواب السودان أمام الهاربين من وجه العدالة في بلدانهم من الإسلاميين بما في ذلك الزعيم السابق لتنظيم القاعدة أسامة بن لادن الذي التحق بالسودان ومعه قيادات بارزة في التنظيم خاصة من جماعة الجهاد المصريين، الذين استغلوا الأراضي السودانية لتنفيذ هجمات دموية على مصر.

حصل على إجازة الحقوق من جامعة الخرطوم، ثم على الماجستير من جامعة بريطانية في 1957، ودكتوراه من السوربون الباريسية في 1964.

وبعد أن عاد من المهجر أصبح الترابي الأمين العام لجبهة الميثاق الإسلامية لدى تشكيلها. وعن هذه الجبهة انبثقت جماعة الإخوان المسلمين في السودان.

وبعد سقوط نظام الرئيس جعفر النميري في 1986، شكل الجبهة القومية الإسلامية وترشح إلى الانتخابات. لكنه فشل. وفي يونيو 1989، تحالف مع عمر البشير، لقلب الحكومة إلا أنهما تصارعا على الحكم ليصبح الترابي أبرز الخصوم بعدما استبعده البشير عن السلطة في 1999.

وعقب الخلاف بينهما أسس الترابي حزب المؤتمر الشعبي المعارض وصار أكثر المعارضين شراسة في مواجهة البشير الذي أودعه السجن عدة مرات خلال سنوات.

ولد الترابي في كسلا بشمال شرق السودان من عائلة دينية من الطبقة المتوسطة، وتتلمذ على يد والده، باعتباره شيخ طريقة صوفية.

ما لهم لا يعون صرخة الإمارات «الإرهاب لا دين له»

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ الانفجارات الأخيرة في بغداد قامت بها الدولة الإسلامية، فالبعض يعاني من خلل في فهم حجم الأشياء، ويعتقد بأن خروج الصدر في مظاهرات مثلا يعتبر قضية خطيرة، ولهذا قامت بعض الجهات السياسية بالتفجيرات في أحياء صدرية ببغداد. هذا التفسير الضيّق بسبب عيشهم في العراق لا يمكنهم من رؤية الصورة الكبيرة كتداعيات وقف إطلاق النار في سوريا مثلا أو هدوء بغداد لفترة طويلة بسبب تشيّع العاصمة.

لا يَرَوْن سوى الصدر والمظاهرات والفساد. إن الدولة الإسلامية لا يعجبها هدوء بغداد والتحوّل الثقافي المباشر أو غير المباشر المتمثل بالتسليم بأن الشيعة هم "الأعلون" في العراق. لهذا ستستمر بالتفجيرات في المرحلة القادمة حتى يشكّ الجهلة بحقيقة استسلام السنّة ويعود الخطف والقتل على الهوية.

لا يمكن للسنّة المتطرفين السماح بنجاح نموذج للتبشير الشيعي لأن هكذا نموذجا في مركز عربي وإسلامي مهم كبغداد قد يشمل المنطقة بأسرها فيما بعد. لو كان القادة الشيعة يلجأون لأساليب دموية كهذه، لكان من باب أولى اللجوء للاغتيالات السياسية فيما بينهم.

التاريخ يشهد لهم بنظافة اليد من الدم الشيعي فهم فاسدون ويسرقون نعم، إلا أنهم لم يخوضوا حرب اغتيالات فيما بين قادتهم. فكيف تظنون بأنه من الممكن لهم أن يقتلوا مئات الشيعة الأبرياء في تفجيرات؟

سماحة السيد مقتدى الصدر يكرر نفسه تكرارا مملا فبعد مهلة الـ100 يوم التي أعطاها سابقا لحكومة السيد نوري المالكي يخرج علينا بمهلة الـ45 يوما التي يعطيها لحكومة السيد حيدر العبادي رغم أنه مشارك في الحكومتين وعنده أعضاء برلمان ووزراء يتحدثون باسمه. لم تسفر مهلة الـ100 يوم السابقة عن شيء، كما لن تسفر هذه المهلة عن شيء أيضاً سوى التخدير والاستهلاك الإعلامي الغبيّ. الجنرال قاسم سليماني وبخمس دقائق في اجتماع سري أرغم السيد نوري المالكي على التنحّي، ونصّب السيد حيدر العبادي مكانه بلا انتخابات ولا أصابع بنفسجية ولا حركة غوغاء.

المظاهرات العلمانية تحت نصب الحرية وفي ساحة التحرير، والاعتصامات السنية الضخمة كلها لم تحرّك الغبار الذي على قدمي المالكي. العراق اليوم يعتبر هامشا بربريا من هوامش الإمبراطورية الإيرانية وللشغب العراقي حدود، فالحكومة الإيرانية لم تتردد بوضع آية الله منتظري بجلالة علمه ومكانته تحت الإقامة الجبرية حين تحول إلى مشاغب، وكذلك حدث مع آية الله محمد الشيرازي حتى موت كلّ منهما.

فما بالك بشاب وطالب علم كالصدر لو تحول إلى مشاغب، وليس ببعيد عنا مصير السيد الصرخي الذي أخذ يمتدح الدولة الإسلامية وتحول إلى الفكر الوهابي، وصار يطلق تعبيرات عنصرية مبالغا فيها عن العرب والفرس والتطاول على آية الله السيستاني شخصيا فقد شهدنا كيف كان الرد حازما ومدويا بحقه.

كل الحكاية أن البعثيين يقولون للعرب علنا هل تريدون داعش أم إيران؟ فداعش يهددكم، والحشد الشيعي يهددكم أيضاً، كما سمعنا مؤخرا من تهديدات سخيفة وغير مؤدبة أطلقها المدعو أوس الخفاجي بحق أهم دولة عربية كالإمارات. البعثيون العراقيون يصطادون في الماء العكر فهم عراب داعش إلى الموصل وما زال ضباطهم يديرون هذا التنظيم الإجرامي. ورغم أن البعث يعلم بأنّ لا قدرة لديه على استعادة السلطة فإنه يطمح من خلال الأزمات أن يحصل قادته على ثروات ضخمة ودعم مقابل تحريك مؤسساته الإعلامية والمخابراتية.

ويعتبر السيد مقتدى الصدر شريكا في هذه الصفقات. فهو دائما يقود السنة إلى بوابة الجحيم، ثم يتخلّى عنهم عند الباب ويعود أدراجه إلى البيت الشيعي الدافئ بعد حصوله على أموال طائلة. قبل أيّام قليلة دعا الصدر إلى حملة تبرع لتيّاره، مما يكشف حاجة القيادة الصدرية إلى العملة الصعبة، والأزمات طبعا أفضل استثمار.

إن المسؤولية عن ضياع السني العراقي لا تقع على الصدر أو الصرخي أو إيران بالدرجة الأساس، بل تقع على البعث الذي نفخ في موضوع مقاومة الاحتلال الأميركي، ودعّم القاعدة والحركات المتطرفة ثم في النهاية تسليم الموصل للدولة الإسلامية. البعث العراقي تنظيم كبير عمره في السلطة نصف قرن وهو المسؤول عن حالة التمزق العراقي وفشل الدولة.

لماذا لا ترضخ القبائل العراقية للواقع؟ مَن الذي نفخ في النار ودفع الناس إلى التطرف سوى حزب البعث. وكلنا ضحايا البعث وأناشيده، مَن نحن أمام عبقرية البعث في غسيل الدماغ السني العراقي حصرا؟ التحريض الإعلامي الرهيب، فالبعثيون يأتون بسيدات يشرحن للناس كيفية اغتصابهن على يد الشيعة. وفي قناة وصال –التي أغلقتها الحكومة السعودية مشكورة– سمعنا شيخا بليغا يتصل ويبكي. يقول لهم اغتصبوا فتاة أمامي بالسجن فقط لأن اسمها عائشة، وهي تستنجد وتقول أنا حافظة للقرآن الكريم، وتستصرخ النبي "وا محمداه" وهم يطأونها الواحد بعد الآخر. ثم نلوم الشاب السعودي المسكين إذا تأثر.

التقرير الاستقصائي الذي نشرته جريدة "وول ستريت جورنال" عن أموال داعش يثبت استحالة حصاره اقتصاديا، فهو يعتمد مكاتب الصيرفة غير المرخّصة، وأسواق المزاد على الدولار التي يقيمها البنك المركزي ببغداد، ويحصل من خلال وسطاء على مبالغ ضخمة من العملة الصعبة. كما أنه يعتمد على حالة الضبابية في الاقتصاد العراقي الذي يشجع المسؤولين على الفساد وتبييض الأموال.

تنظيم الدولة الإسلامية فرض نفسه كزبون محترم يقدّم الرشوة ويفي بتعهداته المالية حيث العمولة في المعابر العراقية أمر متعارف عليه، وربط مصيره بمصير الفساد العراقي. الدولة المسخ باقية وتتمدّد بالفساد وحركة المال والضرائب والسوق السوداء وطبعا بالرّعب أولا.

كيف تقضي على شبكة ضخمة كهذه من الأموال المتحركة من عمان إلى إسطنبول إلى غازي عنتاب إلى بغداد إلى الرقة إلى الموصل. وكيف للدولة الإسلامية امتلاك هذه الخبرات المالية لولا تقديم حزب البعث العراقي خبراته الضخمة في التهريب والسوق السوداء أيّام الحصار الاقتصادي الذي استمر 13 سنة بحيث استثمرت الدولة الإسلامية خبرات وعناوين عملاء وطرق متطورة جاهزة. هجوم داعش الأخير على قضاء أبو غريب غرب العاصمة بغداد يوضح لنا سبب عدم رغبة النازحين بالعودة ، فتحرير الرمادي كان مجرد كر وفر لا أكثر.

نحن أولا نثمن موقف الإمارات بإدانة الإرهاب وبكافة أشكاله سواء كان داعش أو النصرة أو الميليشيات وعلى الدولة العراقية تثمين هذا الموقف لا إدانته كما فعل السيد رئيس الوزراء حيدر العبادي حين استدعى السفير الإماراتي وأبلغه رسالة احتجاج. كان على رئيس حكومة بلادي فهم الحكمة والنوايا الطيبة خلف التصريح الإماراتي. العجيب أن سيادة رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي كان قد وعد بالحد من سلطة الميليشيات وضمّها إلى القوات النظامية للدولة، في بداية حزمة الإصلاحات التي أطلقها، وحين ردد وزير خارجية الإمارات نفس كلامه السابق حمّل السفير الإماراتي مذكرة احتجاج. كان على رئيس الحكومة توجيه احتجاجه لقائد لواء العباس الإرهابي السيد أوس الخفاجي الذي وجّه كلمات غير لائقة بحق دولة شقيقة للدولة العراقية معها تجارة ومصالح بالمليارات.

أتمنى على الإمارات أن تبقى حيث هي دائماً مترفعة ومتسامية، ولا تعطي اهتماما لتهديدات ساقطة من مجتمع سياسي وصل أقصى درجات الفساد والعنف والانحطاط. والأهم أن لا تسمح للمتصيدين في الماء العكر التكسب السياسي والانتفاع من الأزمات ماليا.

الإمارات رفعت شعار "الإرهاب لا دين له" والتاريخ يشهد بذلك. فمعظم الأميركيين عارضوا معاقبة الضابط ويليم كايلي الذي أمر باغتصاب وقتل نساء وأطفال فيتناميين على أيدي جنوده في مذبحة ماي لاي الشهيرة، واعتبروه بطلا. الشيء نفسه يحدث في العراق إذ ينظر الشيعة إلى السيد "أبو عزرائيل" الذي ظهر في إصدار وهو يعلق جثة بشرية ويقطع منها اللحم بسكين كبيرة على أنه بطل، كما ينظرون إلى السيد "أبو درع" الذي ذبح آلاف السنة المدنيين في بغداد كشخصية شعبية وهناك أناشيد تروّج له. هذا يقابله بعض السنة الذين ما زالوا يفخرون بالزرقاوي والدواعش وتوحشهم الإجرامي. إن العراق يمكن أن ينزلق إلى واحدة من الكوارث الأخلاقية الكبرى التي حدثت في التاريخ.

والإمارات العربية المتحدة قلعة الشيخ زايد المتعالية والمتسامية تتفهم هذا الواقع، ولن تسمح للمتصيّدين بالماء العكر من عراقيين وغيرهم في التكسّب السياسي من آلام شعوبهم. وهذا نهج يشهد به التاريخ للإمارات العربية منذ صرخة الشيخ زايد رحمه الله برفع الحصار الاقتصادي عن العراق لأنه كان يؤذي الفقراء والأطفال قبل القادة الكبار.

ولد الشيخ يعود إلى الرياض على أمل تحريك المفاوضات المجمدة

المبعوث الأممي يصر على استئناف العملية السياسية منتصف الشهر

تشهد عملية التسوية السياسية في اليمن جمودا، في ظل إصرار الحوثيين على انتهاج سياسة الهروب إلى الأمام معوّلين على المتغيرات الإقليمية، وهو الأمر الذي يعقّد مهمة المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أحمد.

□ **صنعاء** – عاد المبعوث الأممي الخاص إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ أحمد إلى المملكة العربية السعودية للقاء الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي والوفد التفاوضي، في إطار الجهود الأممية لحل الأزمة اليمنية.

ويجد ولد الشيخ صعوبة في الدفع بعملية السلام قدما على ضوء عدم التزام المتمردين الحوثيين بتطبيق القرار الأممي عدد 2216.

وقال مصدر حكومي يمني إن المبعوث الخاص إلى اليمن، القادم من نيويورك، "بحث مع الرئيس عبدربه منصور هادي، وقيادات الأحزاب اليمنية، الترتيبات لجولة مشاورات ثالثة مع الحوثيين وحزب الرئيس السابق علي عبدالله صالح".

وأكد المصدر أن ولد الشيخ مصرّ على انطلاقة المشاورات الثالثة بين الحكومة الشرعية والحوثيين، منتصف مارس الجاري، أي قبل 10 أيام من حلول الذكرى الأولى لعملية "عاصفة الحزم"، التي شنها التحالف العربي بقيادة السعودية، بطلب من السلطة الشرعية اليمنية.

ورعت الأمم المتحدة جولة أولى من المشاورات الثنائية المباشرة بين الأطراف اليمنية في جنيف بسويسرا، منتصف ديسمبر 2015، انتهت بالاتفاق على جولة مشاورات جديدة في فبراير الماضي (تأجلت)، وإجراءات لبناء الثقة أبرزها إطلاق المعتقلين السياسيين، والسماح بدخول الإمدادات إلى المدن المحاصرة، وتحديدا تعز بوسط البلاد.

وفي محاولة للتسويق لصورة المتعاون مع الجهود الأممية، أفرج الحوثيون عن وزير التعليم الفني عبدالرزاق الأشول، و4 نشطاء سياسيين، لكن الحكومة تشترط الإفراج عن باقي المعتقلين، وعلى رأسهم وزير الدفاع اللواء محمود الصبيحي، ورفع الحصار عن تعز، كشرط للدخول في جولة مشاورات جديدة.

> يجد المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ صعوبة في الدفع بعملية السلام قدما على ضوء عدم التزام المتمردين الحوثيين بتطبيق القرار الأممي عدد 2216

وتطالب الحكومة اليمنية بتطبيق القرار الأممي عدد 2216 لإنهاء الصراع. وينص القرار على ضرورة وقف المتمردين الحوثيين المدعومين بقوات موالية للرئيس السابق علي عبدالله صالح القتال، وسحب عناصرهم من جميع المناطق التي استولوا عليها بما في ذلك العاصمة صنعاء، والتخلي عن جميع الأسلحة التي استحوذوا عليها من المؤسسات العسكرية والأمنية.

وينص القرار أيضا على ضرورة التزام جميع الأطراف اليمنية لا سيما الحوثيين بمبادرة مجلس التعاون الخليجي ونتائج مؤتمر الحوار الوطني الشامل.

ويرى محللون أن مهمة المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أحمد تبدو صعبة للغاية خاصة لجهة إصرار الحوثيين على سياسة الهروب إلى الأمام، أملا في تحقيق بعض المكاسب تؤهلهم للجلوس على الطاولة من موقع أقل هشاشة مما هم عليه اليوم.

ويعوّل الحوثيون على المتغيرات الإقليمية، ولكن متابعين يقولون إنهم يتمسكون بـ"خيوط واهية"، على ضوء التطورات الميدانية المتسارعة خاصة في ضواحي العاصمة صنعاء.

بالمقابل فإن السلطة الشرعية المدعومة من التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية واضحة في مطالبها وتتمسك بالحل السياسي، ولكنّ ذلك لا يكون إلا باستعادة سيطرتها على الدولة.

واعتبر عبدالله المعلمي، مندوب المملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة، أن الحل السياسي هو الوحيد لإنهاء الصراع، لافتا إلى أن ذلك لا يكون إلا بتطبيق القرار 2216.

وشدد على أن السعودية ودول الخليج قدمت غالبية المساعدات الإنسانية لمختلف مناطق اليمن، مطالبا على ضوء ذلك المجتمع الدولي بممارسة مزيد من الضغوط على ميليشيات الحوثي لإدخال المساعدات الإنسانية إلى المدن المحاصرة وبخاصة إلى تعز. ورغم صعوبة مهمة ولد الشيخ بإقناع الطرفين لاستئناف العملية السياسية، فإن هناك أملا كبيرا يبقى لتحقيق تقدم في هذا الاتجاه.

ويستمد هذا الأمل وجوده من نجاح المجتمع الدولي في إحراز تقدم في الأزمة السورية، فبعد خمس سنوات من الحرب المعقدة والتي تداخل فيها الداخلي مع الإقليمي والدولي نجحت كل من روسيا والولايات المتحدة في تثبيت وقف الأعمال العدائية لحد الآن، وذلك تمهيدا لتسوية سياسية مازالت تغيب تفاصيلها.

ويرنو اليمنيون إلى سيناريو التسوية في الملف السوري، رغم اختلاف المشهدين.

ميدانيا ما يزال جنوب اليمن يواجه تحديات أمنية كبيرة رغم تحرير القوات الشرعية معظم مناطقه من الحوثيين.

وحمّلت السلطات اليمنية، السبت، تنظيم الدولة الإسلامية مسؤولية الهجوم على دار للمسنين تديره راهبات جمعية الأم تيريزا والذي أدى إلى مقتل 16 شخصا في عدن، ووصفه البابا فرنسيس بأنه عمل "شيطاني".

وقال مصدر مسؤول برئاسة الجمهورية لوكالة الأنباء اليمنية (سبأ) إن "العصابات التي أقدمت على مثل هذه الجريمة لا يمكن وصفها بالبشرية (...) ومن يقف وراء هذه الأعمال المشينة لا ينطلق من عقيدة أو دين أو أخلاق بل هم أناس باعوا أنفسهم للشيطان".

وأضاف أن "تلك الجماعات الإرهابية المارقة ومن يقف خلفها، والتي ظهرت اليوم تحت مسميات الدولة الإسلامية وداعش وغيرها، لم يكن لها الأثر عندما كانت عدن تنزف ويواجه أبناؤها مصير تحرير مدينتهم بل ذهبت بعيدا لتظهر تلك الوجوه الظلامية المتخفية في تبادل أدوار مفضوح لأدوات الحوثي وصالح"، في إشارة إلى المتمردين الحوثيين وحلفائهم من قوات الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح.

ونفى تنظيم القاعدة في اليمن في وقت سابق مسؤوليته عن عملية الهجوم. وقال التنظيم في بيان خاطب فيه سكان عدن "نؤكد لكم نفي صلتنا وعلاقتنا بعملية استهداف دار المسنين، فليست هذه عملياتنا وليست هذه طريقتنا في القتال".

وسبق أن هاجمت القاعدة تنظيم الدولة الإسلامية لشنه هجمات على مساجد شيعية في اليمن خلفت عشرات القتلى.

ويعود الهجوم الذي استهدف دارا للمسنين إلى يوم الجمعة، حيث أقدم أربعة رجال مسلحين على اقتحام مقر بعثة الإحسان بدار المسنين في حي الشيخ عثمان، وقتلوا حارسا ثم راحوا يطلقون النار عشوائيا على كل من بداخله، مما أدى إلى مقتل أحد عشر شخصا من المسنين وأربع راهبات.

ولم تتأكد جنسيات الراهبات، لكن وكالة فيدس للأنباء التي تغطي الأنشطة الحبرية الرسولية، ذكرت أن اثنتين منهن روانديتان وواحدة كينية والأخرى هندية.

وقال أمين سر دولة الفاتيكان بييترو باروليني السبت، إن "قداسة البابا فرنسيس الذي تبلغ مقتل أربع مرسلات للمحبة واثني عشر شخصا آخرين في دار للمسنين في عدن، قد شعر بالصدمة والحزن العميق".

وأضاف الكاردينال باروليني أن " البابا يؤكد للعائلات وجميع الذين تأثروا بهذا التصرف العنيف الأحمق والشيطاني، أنه سيصلي من أجلهم وسيكون قريبا منهم على الصعيد الروحي".

وسيطر المتمردون الحوثيون لأشهر عدة على عدن قبل أن تطردهم القوات الحكومية في يوليو 2015 بدعم من قوات التحالف الذي تقوده السعودية.

ينشدون الأمن في عدن

المسلحون يشتتون جهود الأمن المصري بعمليات عشوائية خارج سيناء

أحمد جمال

□ **القاهرة** – استيقظ سكان حي المهندسين بمحافظة الجيزة، غرب القاهرة، السبت، على سماع دوي انفجار عبوة ناسفة هزت أركان المنطقة، تحطم على إثرها زجاج المنافذ القريبة والسيارات المجاورة لمكان الانفجار.

وأكدت وزارة الداخلية أن الانفجار الذي وقع في حيّ المهندسين بالجيزة، ناتج عن عبوة ناسفة بدائية الصنع، وضعت أسفل سيارة لأحد المواطنين في محيط الملحقية الثقافية لسفارة سلطنة عمان.

وجاء هذا التفجير بعد هدوء نسبي فيما يخص العمليات المشابهة داخل القاهرة والجيزة القريبة منها، في وقت ركزت الجماعات المتطرفة عملياتها في شمال سيناء.

وقال خبراء أمنيون لـ"العرب"، إن الحادث يعدّ محاولة من الجماعات التي تحمل السلاح في مواجهة الدولة المصرية لتشتيت جهودها المنصبة على سيناء، ومحاولة الإيحاء بأنها متواجدة في أماكن عدة، بعد أن راجت معلومات تشي بأن قوات الأمن نجحت في الحد من خطورة هذه الجماعات في العاصمة ومعظم المدن المصرية.

ونفى اللواء أبو بكر عبدالكريم مساعد وزير الداخلية لإدارة الإعلام والعلاقات العامة في تصريحات صحفية، ما تردد بشأن أن الانفجار كان يستهدف نادي "الطلبة العماني" أو مسكن ضباط قريب من النادي، موضحا أن هناك ثلاثة ضباط يقيمون في العقار الذي وقع أمامه الحادث.

و قال اللواء زكريا حسين الخبير الأمني، إن الجماعات المسلحة تبذل قصارى جهدها حتى لا تظهر أمام أنصارها أنها لا تستطيع مواجهة قوات الأمن المصرية، وهو ما جعلها تركز في الفترة الأخيرة على العمليات التي تثبت أنها لا تزال قادرة على المواجهة، وأن قوات الأمن المصرية لم تتمكن من القضاء عليها، كما يتردد.

وتخوض مصر معركة طاحنة مع المسلحين الذين ينشطون في سيناء، ومن بينهم تنظيم "ولاية سيناء" التابع لداعش ما أسفر عن مقتل أكثر من 700 إرهابي والقبض على مئات آخرين، وتدمير المئات من المعدات والعربات المصفحة، من خلال عملية "حق الشهيد" التي أطلقتها قوات الأمن بسيناء في شهر سبتمبر 2015.

ويرى محللون أن التقدم الذي حققته قوات الأمن في سيناء، لم يحدّ من قدرة الجماعات المسلحة على القيام بعمليات ضد عدد من ضباط الشرطة خلال الفترة الماضية.

ولفتوا إلى أن العمليات في شبه جزيرة سيناء دفعت بعض العناصر والمجموعات الإرهابية للهروب إلى محافظات بعيدة عن شبه الجزيرة، لنقل مسرح المواجهات، غير أن التواجد الأمني وتوافر العديد من المعلومات عن هؤلاء ربما يقلل من الخطورة المتوقعة، ويدفع بعض المقربين منهم إلى تنفيذ عملياتهم بصورة عشوائية، من حين إلى آخر.

والمعلوم أن أغلب العمليات التي وقعت في القاهرة والجيزة منذ بداية عام 2016 تتسم بالفردية وعدم التخطيط الدقيق، وهو ما يفسر نجاح قوات الأمن في إحباط عمليات كبيرة، وإلقاء القبض على العديد من الخلايا الإرهابية، أو القضاء عليها باستخدام أسلحة متقدمة، زوّد بها جهاز الشرطة في مصر مؤخرا.

وقال محمد زكي الخبير الأمني، لـ"العرب" إن الأمن المصري يواجه الإرهاب من اتجاهات مختلفة، سواء الداخلية والتي تقبع في المدن وتتصدرها (القاهرة والجيزة)، أو الخارجية والتي تتركز على المحافظات الحدودية وتحديداً في شمال سيناء شرقاً ومحافظة مرسى مطروح غرباً.

وأضاف زكي أن حادث المهندسين كان متوقعا حدوثه، ومحتمل أن يتكرر، لأن الحرب أصبحت مفتوحة مع الجماعات المسلحة، ومصر لم تتصالح مع جماعة الإخوان، كما أن مواجهة قوات الأمن المصرية لأفراد تابعين لأكثر من تنظيم مسلح يضاعف من صعوبة مهمة القضاء عليهم، خاصة وأن هناك تنسيق واضح بين هذه الجماعات.

ولم يكن هذا هو الحادث الأول الذي يشهده حي المهندسين الذي يضم العديد من البنايات الدبلوماسية والشركات الاقتصادية، وتسكنه نسبة كبيرة من الأجانب من جنسيات مختلفة، حيث تعرّض من قبل إلى تفجير استهدف مقرا لشركة فودافون للاتصالات، نجمت عنه إصابة مواطن بجروح وحدوث أضرار بمقر الشركة.

وأشار اللواء محمد زكي إلى أن حادث اغتيال ضابط البحث الجنائي في منطقة شبرا بالقاهرة الأسبوع الماضي أثناء القبض على إحدى الخلايا، يؤكد أن قوات الأمن جادة في الاشتباك المسلح قبل وقوع الأعمال الإرهابية.

كروفر

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

المعارضة الشيعية اللبنانية يعاديها الخصوم ويهملها الحلفاء

ما مسؤولية السياسات العربية في تفاقم ظاهرة حزب الله

يعيش لبنان على وقع أجواء أزمة متفاقمة تذكّر البعض بفترة الحرب الأهلية (1975 – 1990)، فيما يذهب آخرون إلى اعتبارها أشدّ وقعا بالنظر إلى ملابسات الأزمة وتعقيداتها وارتباطها بالوضع الإقليمي العام وتغير معطيات كثيرة تحيط به؛ وكان متوقّعا أن تشتدّ الأزمة على لبنان كلما اشتدّ الوضع في سوريا. وضاقت الدائرة على لبنان، فكان لا بدّ من تدخل سعودي جديد، اختلف هذه المرة عن التدخل الذي أسفر عن نهاية الحرب الأهلية باتفاق الطائف، حيث فرضت الأحداث المترابطة في المنطقة وتداخل بعضها ببعض نتيجة السياسات الإيرانية وأيضا نتيجة ثغرات في السياسات السابقة للقوى الإقليمية، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، مراجعة المواقف والتدخلات وطرق التعامل مع الملفات الإقليمية ومكوناتها والأطراف المعنية بها. وكما صرّح خبراء لـ"العرب" فإن الدولة الوطنية، في لبنان، وأيضا في دول عربية أخرى، فشلت في احتواء مكوّناتها، وهذا السبب وفّر موطئ قدم لطهران لتتغلغل في كثير منها إلى حد وجب تصحيح المسارات وتغيير السياسات واتخاذ قرارات حاسمة حتى وإن بدت صادمة للحلفاء قبل الخصوم.

■ الاعتراض الشيعي في لبنان والسعودية: حكايات العتب!

■ على الرياض أن تدعم المعتدلين سنة وشيعة

■ ما تشهده المنطقة صراع عربي إيراني

العمامة تتغير ولبنان واحد

❑ **بيروت** – قبل أيام انشغلت الأوساط اللبنانية بالبيان الذي وزّعته أوساط قريبة من حزب الله نقلا عن مصادر أمنية لبنانية يزعم أن الناطق الرسمي بإسم الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي أفيخاي أدرعي بات يشرف بشكل دوري على ما يُنشر في موقع "جنوبية".

أتى هذا الانشغال ليس لصدقية في مضمون البيان، بل علامة خطيرة من علامات موقف حزب الله المقبل من منابر الاعتراض داخل الطائفة الشيعية، والتي بدا أن اتهامها بالتعامل مع إسرائيل، يحضّر لتدابير لإسكات الأصوات الشيعية المتمردة على إرادة الحزب، من خلال إلصاق تهم العمالة والتخوين، وما يحمله مضمون هذه الاتهامات من تحريض داخل الطائفة الشيعية ضد أطراف شيعية معيّنة.

يدير موقع "جنوبية" الصحفي اللبناني علي الأمين نجل العلامة السيد محمد حسن الأمين، والذي يشكّل وشريحة واسعة داخل الطائفة الشيعية ظاهرة اعتراض حاد ضد حزب الله. كانت أصوات الاعتراض الشيعي جزءا أساسيا من حراك "14 آذار"، ولطالما كيلت لها النعوت تلو النعوت مقللة من أهمية جهدها ووقع مسعاها. فقد اتهمت أوساط الحزب أصحاب هذا الاعتراض بأنهم ليسوا شيعة، أو أنهم شيعة السعودية والقاعدة، ونعتهم السيّد حسن نصرالله، أمين عام حزب الله، بأنهم شيعة السفارة، غمزا من قناة السفارة الأميركية في بيروت.

على أن حالة الاعتراض الشيعي عانت من عزلتين مختلفتين، عزلة عن عامة الشيعة الملتفين بقوة حول ما يطلق عليه بالثنائي الشيعي، حزب الله بقيادة نصرالله وحركة أمل بقيادة رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، وعزلة أخرى من خصوم حزب الله في لبنان، لا سيما المتجمعين تحت سقف "14 آذار"، ذلك أن هذا التحالف، وإن افتخر بوجود المعارضين الشيعة في صفوفه، إلا أنه اعتبرهم صوتا هامشيا، وأمعن في التعامل مع الثنائي التقليدي في عمليات إنتاج السلطة، سواء من خلال الانتخابات، البرلمانية والبلدية، أو من خلال تشكيل الحكومات.

> عندما يكون الصراع عربيا إيرانيا يتيح ذلك للمملكة العربية السعودية أن تتكلم باسم جميع المكونات العربية الإسلامية والمسيحية وتدافع عنها

لكن الإشكالية الأعقد هي التي واجهت شرائح الاعتراض الشيعي مع المملكة العربية السعودية، ذلك أن الرياض، والتي استثمرت الكثير في دعم حلفائها في لبنان، وفي مقدمهم تيار المستقبل وأحزاب مسيحية، لم تعر حالة الاعتراض الشيعي الأهمية الضرورية، مقابل الإمكانات الهائلة التي يتمتّع بها حزب الله. وبقي تعامل الرياض مع الشخصيات الشيعية المعترضة شكليا، لا يتجاوز، أغلبه، الدعوات التي توجه لشخصيات لبنانية لزيارة الرياض في مناسبات عامة. وإذا ما سجلت الأوساط المعترضة داخل الطائفة الشيعية دعما سعوديا معيّنا لخصوم الحزب، فإن ذلك كان يصل بشكل فردي ومزاجي تشوبه طقوس العلاقات العامة، وكثيرا تطال المنابر والأهداف الأقل تمثيلا لظاهرة الاعتراض عند الشيعة. في هذا الصدد وقف العلامة الراحل السيّد هاني فحص، وكان واحدا من الأصوات العالية المعارضة لحزب الله، على منبر أحد المؤتمرات التي دعي إليها في دولة خليجية، يشكر المنظمين على الدعوة الخجولة له لحضور المؤتمر، غامزا من أنّ اختياره ليكون آخر المتكلّمين في ذلك المؤتمر وفي ساعاته الأخيرة، يعكس رغبة تجميلية شكلية فقط لكسر الرتابة، من خلال حضور رجل دين شيعي. كان في ذلك يعبّر عن مرارة من تعامل الحليف بعد المرارة التي يعامله بها الخصم.

عتب على الرياض

مصطفى فحص، نجل السيّد هاني فحص باحث وكاتب سياسي يحمل لواء الاعتراض الذي حمله والده الراحل ويعبّر في حديثه لـ"العرب" عن حساسية العلاقة مع المملكة العربية السعودية وهو فوق ذلك يعتبر أن "العلاقة بين المعارضة الشيعية والسعودية علاقة جدلية أو معقدة أو مركبة". يقول مصطفى فحص إنه "من طبيعة المملكة في السّنوات السابقة، أنها كانت تتجه للتعامل مع من كانت تعتقد أنهم يمثّلون البيئات أو الدول أو الجماعات، باعتبار أنها تتعامل مع الجهات الرسمية، وهذا ما جعل المملكة تستثمر مع أحزاب لبنانية شيعية اعتقدت أنه بالإمكان التعويل عليها من أجل استقرار لبنان، أو في صون العلاقة الهادئة مع المملكة. لكن عندما اضطربت الأمور، ووصلت إلى هذا الحدّ، ذهبت هذه الأحزاب والشخصيات إلى عصبيّاتها المذهبية والطائفية وكأنّ كل العلاقة الإيجابية التي بنيت مع السعودية ودول الخليج لم تكن".

يعبّر الباحث السياسي الدكتور حارث سليمان عن عتب على السياسة السعودية مذكّرا بسلسلة من الحلقات التي أوصلت الأمور إلى مآلاتها الراهنة. يعتبر سليمان "أنه، وبعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري، فإن مجمل السياسات السعودية التي تم تنفيذها من قبل تيار المستقبل وبعض قوى 14 آذار، سواء هذه القوى كانت تريد هذه الخيارات أو كانت تنفّذ بطلب سعودي، كانت أيضا لا تستشعر الخطر الحقيقي من هذه السياسات ومن تنامي حزب الله في لبنان".

ويذكّر الدكتور سليمان، وهو أيضا عضو اللجنة التنفيذية في حركة التجدد الديمقراطي، بـ"التسوية التي عقدت عام 2005 مع حزب الله، فأصبح الحزب شريكا في الحكومة، وهو لم يدخلها أيّام الوصاية السورية. كان هذا برضى سعودي إيراني وبرضى 14 آذار". ويضيف سليمان أنه "أتت محطة التحالف الرباعي بعد ذلك، والذي عمليا استبعد المكوّن الشيعي الذي شارك في ثورة الأرز وفي انتفاضة 14 آذار، وذهب للاعتراف بحزب الله وحركة أمل بأنها يمثلان كل الشيعة. مما جعل حزب الله يستطيع التحدث باسم طائفة بأكملها وأن يتمترس داخل هذه الطائفة ويجعلها له غطاء، ليس سياسيا، وإنما غطاء مذهبيا".

يستفيض سليمان في التذكير بما حصل في الدوحة "من مشاركة سعودية قطرية أميركية، حيث تمّ الاعتراف بحقّ الفيتو لحزب الله داخل مؤسسة المجلس" والضغط على تيار المستقبل لإهمال خيار شخصية مرموقة هو باسم السبع وإمكانية انتخابه بديلا عن نبيه بري لرئاسة مجلس النواب.

يسرد الدكتور حارث سليمان سلسلة لا تنتهي لا سيما تلك التي جرت "بعد انتخابات 2009 التي فاز بها تحالف 14 آذار، حيث طُلب من سعد الحريري أن يمدّ يده إلى حزب الله للمشاركة في الحكومة، كما أُجبر على الذهاب إلى دمشق والنوم في قصر قاتل والده".

وفي ما يسرده سليمان، يضيف مصطفى فحص، وهو أيضا عضو الأمانة العامة لقوى 14 آذار، ما يعكس إهمالا سعوديا لخيارات داخل الطائفة الشيعية بديلا، أو حتى موازيا، للثنائي الشيعي التقليدي. يقول فحص "إن المعارضة الشيعية اللبنانية التي وجدت قبل عام 2005، عام اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري، والتي تعارض الثنائية الشيعية المسيطرة، لم تحظ بأيّ إيجابية حقيقية أو احتواء أو تعامل من قبل السعودية أو من دول الخليج أو من دول عربية أخرى".

ويخفّف فحص من وطأة هذا العتب مضيفا "أنا لا ألوم المملكة ولا ألوم الشّيعة المعارضين لكنّي أعتقد أنه المملكة لم يكن لديها مشروع، حتى، للسنّة سابقا ليكون لديها مشروع للشيعة في لبنان. ورأينا في السنوات الأخيرة ما جرى للحالة الداخلية لتحالف 14 آذار وتيار المستقبل، وكم تمّ إضعاف سعد الحريري لدرجة إشاعة أنه غير مرغوب فيه في الرياض".

يقول الدكتور حارث سليمان إن خيارات السعودية وتحالف "14 آذار" لم تثن المعارضة الشيعية عن الصمود والاستمرار في إعلاء صوتها، ويذكّر أنه "خلال تلك المراحل كان صوت الاعتراض الشيعي يتمظهر عبر حركات وشخصيات كثيرة. في 7 أيار برزت ردّة فعل السيّد علي الأمين مفتي صور الذي تمّ إخراجه من مقره وإبعاده ولم يجر احتضانه. ثم بعد ذلك جرى اعتراض شيعي كبير تجمع في الكومودور، ومع ذلك ورغم صدور بيان عن مئة شخصية شيعية ضد ممارسات حزب الله يدعم الجيش ويدعم الدولة ويريد الدولة المدنية، لم يلق هذا التجمع أيّ دعم ولم يجر أيّ تعامل معه. بعد انطلاق الثورة السورية تحرّك الاعتراض الشيعي، من خلال الشيخ صبحي الطفيلي، الأمين العام السابق لحزب الله، والذي جاهر باستنكار مشاركة حزب الله في سوريا والتحرك لتوعية حزب الله والرأي العام الشيعي. ثم الشيخان الجليلان المرجع السيّد محمد حسن الأمين والسيّد هاني فحص اللذان أصدرا وثيقة سياسية وفكرية حول الموقف الشيعي من تورط حزب الله في سوريا. تعرضت شخصيات الاعتراض لحملات التخوين لا سيما تلك الصحفية التي تولّتها جريدة الأخبار القريبة من حزب الله".

يقول سليمان في معرض آخر إنه تم تشكيل تجمع لبنان المدني، وهو يضم شخصيات من طوائف مختلفة بثقل شيعي، وأيضا لم يتم التعامل معه ولم يتم احتضانه من أحد. ورغم تصاعد وتيرة الاعتراض الشيعي، يلاحظ سليمان "فوجئنا منذ أشهر بما قاله الصحفي السعودي داوود الشريان من أن لا اعتراض شيعي على سياسة حزب الله، وكأنهم لا يرغبون أن يروا هذه المعارضة الشيعية".

قلق شيعي

من حديث الدكتور سليمان يرشح ما يفيد أن حالة الاعتراض تحتاج إلى دعم واحتضان وسقف عربي إذا ما أريد لهذا الاعتراض

☛

أن يقاوم الهيمنة الإيرانية على الشيعة في لبنان، فإمكانات حزب الله، حسب ما يراه، "لا تقتصر على الدعم الإيراني الكبير، بل أيضا على إمكانات الدولة اللبنانية، ذلك أن الوزارات والمؤسسات تُسخّر لتأمين خدمات يجيّرها الحزب داخل الطائفة الشيعية لتحسين وضعه واستدرار عطف الناس عليه. واستطاع الحزب أن يحوّل مال البلديات إلى مال سياسي وزعه على محاسيبه وفي سبيل خططه السياسية والانتخابية، حتى أن مؤسسة USAID الأميركية كانت تموّل مشاريع لصالح بلديات يسيطر عليها حزب الله".

ويطالب مصطفى فحص "بتصحيح العلاقة بين الشيعة ودولهم الوطنية. حق المواطنة هو حقّ للجميع. هناك دائما قلق شيعي مردّه أن دولنا الوطنية فشلت في احتواء مكوّناتها، وهذا السبب وفّر موطئ قدم لطهران لتتغلغل في كثير من الدول العربية حيث العلاقة متوتّرة بين الدولة وبين الشيعة".

ويرى فحص أنه "على السعودية أن تدعم المعتدلين من السنّة كما الشيعة، ولا خيار أمامها إلا دعم الاعتدال والقيام بخطوات جبارة وجريئة في البحرين وفي السعودية وفي أيّ مكان عربي من أجل دعم الاعتدال الشيعي في هذه المنطقة، وإلا فإنّ هناك مزيدا من التأزم ومن الصائدين في الماء العكر الذين سيستغلون هذه الظروف ضد المملكة لتتحول الأزمة إلى سنية شيعية وليست عربية إيرانية، وهذا ما يريح طهران ويدفع كل الشيعة إلى حضنها".

وفي السياق الحالي يرى الدكتور حارث سليمان أن "السعودية محقّة في تقديرها وتوصيفها للخطر الإيراني على المنطقة، ومحقّة في مجابهة هذا الخطر في كل الأماكن، سواء في اليمن أو في سوريا أو في العراق.. الخ. لكن السّياسة السعودية قبل 'عاصفة الحزم' كانت قد أدارت الظهر لهذا الخطر الإيراني في مواقع عديدة، لا سيما في العراق في مواجهة ما كان يسمّى بالتواطؤ الأميركي الإيراني في العراق، وتمّ تسليم العراق إلى إيران لقمة سائغة بعد احتلاله من قبل الأميركيين. ثم أخطأت في سياستها اللبنانية، بمعنى أن الوصاية السورية التي فرضت على لبنان خلال ثلاثين سنة كانت تتمتع برضى سعودي، ما مكّن إيران وسوريا من بناء منظومة كبيرة عسكرية سياسية إعلامية جماهيرية جعلت من حزب الله رقما صعبا في الساحة اللبنانية".

تصحيح المسار

يشاطر فحص سليمان في هذا السياق ويقول "تأخرت الرياض عن العراق عشر سنوات، وهذه السياسات جعلته بيد طهران. تأخرت الرياض عشر سنوات عن دعم وتطمين واستقطاب المعارضة الشيعية في لبنان فدفعت الشيعة بأن يكونوا الآن في غالبيتهم بيد حزب الله وطهران". يضيف فحص قائلا "الآن لا بد للأمور أن تتغير. السعودية مطالبة بأن تحمي جبهتها وبأن لا يذهب الكلام إلى صراع سنّي شيعي وأن يكون الكلام هو صراع عربي إيراني. فعندما يكون الصراع عربيا إيرانيا يتيح ذلك للمملكة أن تتكلم باسم جميع المكونات العربية الإسلامية والمسيحية وتدافع عنها".

يعود الدكتور سليمان إلى لبنان ليلاحظ بأنه "اليوم نرى استفاقة من سياسة أدارت الظهر لهذا الخطر. النهج الجديد اليوم يريد أن يحمّل لبنان وزر هذه السياسة. في الحقيقة وصل لبنان إلى هنا لأن هناك خللا في ميزان القوى وليس هناك توازن سياسي وعسكري واستراتيجي في لبنان. بين حزب الله وحلفائه والقوى المناهضة له. لذلك فإن الوعي بخطورة حزب الله والنفوذ الإيراني يتطلب إعادة النظر بالسياسات التي أوصلتنا إلى هنا. ما يتطلب وضع مشروع سياسي وخطة حقيقية عربية لتعديل ميزان القوى الداخلي في لبنان وفي الثورة السورية وتعديل ميزان القوى الإقليمي".

والواضح أن عتب المعارضة الشيعية يأخذ هذه الأيام أشكالا تتسق مع تبدّل المزاج السعودي إزاء لبنان، بحيث أن شريحة الاعتراض الشيعي تشعر أن الرياض تستجيب لخطاب المعارضة الشيعية، التي لطالما دعت للتعامل بحزم ووضوح لمقاومة تغوّل حزب الله ووقف التعامل معه بصفته حالة تمثيلية قدرية لا طائل من مواجهتها، إلى درجة تفاقم الأمور ووصولها إلى حدّ المواجهة التي تخوضها السعودية بالتضامن مع دول الخليج ومع الدول العربية، والذي تمثل مؤخرا بالتطور النوعي من خلال اعتبار حزب الله منظمة إرهابية. في ذلك تفريق رسمي علني من قبل البيئة العربية بين الشيعة العرب وشيعة إيران".

العلامة السيد علي الأمين: ليس لإيران ولاية على الشيعة

❑ دفع مفتي صور السابق العلامة السيّد علي الأمين ثمن مواقفه المعارضة لحزب الله، فأخرج من مقره ومن منطقته ومن منصبه، لكنه واصل إعلاء الصوت ضد حزب الله وممارساته. وقد توجهت "العرب" بسؤاله حول طبيعة علاقة الشيعة العرب مع أوطانهم ومع إيران، فأجاب "الموقف السياسي المعتمد عندنا على الموقف الفقهي أن الشيعة في أوطانهم جزء لا يتجزأ من شعوبهم، ولا يجوز أن تكون لهم مشاريعهم السياسية الخاصة، ولا يجوز أن يكون لهم ارتباط خارج أوطانهم على حسابها. وما يمكن أن يوجد بين الشيعة في العالم هو روابط مذهبية بين الشيعة في لبنان والشيعة في إيران، أو روابط بين شيعة الكويت والعراق، أو شيعة البحرين والسعودية، وغيرها. ولكن هذه الروابط لا تكون على حساب الأوطان. الرابط المذهبي هو عبارة عن علاقة ثقافية ومودة واحترام، ولا يعني أبدا رابطا سياسيا على حساب الأوطان.

والعلاقات في رأينا بين الدول يجب أن تكون من دولة لدولة. فشيعة الكويت هم كويتيون قبل أن يكونوا شيعة، وكذلك في لبنان والبحرين والسعودية وغيرها، ومشروعهم السياسي يجب أن يكون مشروع وطنهم وشعبهم، وأن يكون منبثقا من مصلحة وطنهم، وليس من مصلحة طائفية أو مذهبية، ولا يصح الارتباط بمشاريع خارجية.

والمشكلة التي أوجدت إشكالية بين الشيعة ومحيطهم وشركائهم في الأوطان أن بعض الأحزاب الموجودة في لبنان أو الخليج تحاول أن تجعل العلاقة بينها وبين إيران مباشرة، وهذا خطأ فادح. لأن العلاقة يجب أن تكون بين دولة ودولة، وليس بين طائفة ودولة، أو حزب ودولة. لسنا ضد أن يكون لشيعة لبنان مثلا علاقة ما مع إيران، ولكن يجب أن تكون من خلال الدولة اللبنانية. ما يحصل من مشكلات سببها بعض الأحزاب والجمعيات التي تحاول أن تجعل لنفسها ارتباطات خارج حدود دولها مبنية على أسس مذهبية، وهذا خطأ كبير.

وقد تكون حجة هؤلاء أن مرجعيتهم الدينية في إيران على أساس ولاية الفقيه، ولكن ولاية الفقيه ليست مرجعية دينية للشيعة في العالم، وهي أصبحت نظاما سياسيا في إيران يترأسه الولي الفقيه وهو مرجعية سياسية لشعبه ونظامه، والعلاقة معه هي علاقة سياسية وليست دينية ويجب أن تكون من خلال الدول، ولا يصح أن تحدد الأحزاب والطوائف تلك العلاقة، وإنما ترعاها القوانين والأنظمة. من هنا لا يصح أن يقال إن العلاقة مع الولي الفقيه هي علاقة الإنسان الشيعي مع المرجعية الدينية. والشيعة عبر العصور كانت لهم علاقة مع المرجعيات الدينية في العراق أو إيران، ولم تكن هذه الإشكالية قائمة. كانت مجرد علاقة دينية روحية. أما الآن، فإن مرجعية الولي الفقيه ليست دينية فقط، وإنما تعتبر ولاية الفقيه هي قيادة النظام الإيراني الذي لديه طموحات في المنطقة. والولي الفقيه هو رأس السلطة.

وولاية الفقيه السياسية برأينا ليست عابرة للحدود والقارات، بل هي ضمن الأراضي الإيرانية فقط. وليس لإيران ولاية على الشيعة في أيّ دولة أخرى، إنها ولاية على مواطنيها، فالولي الفقيه إذا اختاره الشعب في إيران حاكما، تكون ولايته على الشعب الذي اختاره. أما نحن الشيعة في لبنان والكويت والعراق والبحرين والسعودية فلم نختره حاكما، نحن اخترنا أنظمتنا السياسية وحكوماتنا والولاية علينا هي لهذه الأنظمة وللحكومات. وليس علينا أيّ ولاية من إيران وحاكمها".

ماذا فعل سماحة السيد حسن نصرالله

غلطة واحدة تكفي لتؤدي إلى الزوال

طراد بن سعيد العمري
كاتب سعودي

❑ يقول مايكل هوارد، أستاذ التاريخ السياسي، "تتعاظم القوة لدى القائد حتى يصاب بالعمى، عند ذلك يصبح كل شيء مفاجئاً". هذا ما حصل مع سماحة السيد حسن نصرالله، أمين عام حزب الله. فقد ارتكب سماحة السيّد غلطة عمره وأساء بغلطته تلك لنفسه ومكانته وحزبه ومذهبه وأنصاره وحلفائه من الأفراد والدول، وأساء إلى لبنان دولة وحكومة وشعباً. تكررت أخطاء الحزب وأمينه العام نتيجة الشعور بالقوة حتى حدثت الغلطة الكبرى، وهناك فرق كبير بين الخطأ والغلط، كما يقول الحكماء.

هذا الفرق يدركه سماحة السيد حسن تمام الإدراك ويعرفه حق المعرفة. كل سياسي أو قائد يملك في جعبته أو رصيده غلطة واحدة، أو طلقة واحدة، تكون هي القاضية، وهذا ما حدث لأمين عام حزب الله وسيد المقاومة. فقد أوصلت تلك الغلطة سماحة السيّد إلى نقطة اللاعودة، وفي ظننا أنه أصبح بعدها عبئاً على نفسه، وحزبه، والمذهب الشيعي في داخل لبنان وخارجه، وعلى الدولة اللبنانية بكل أطيافها وطوائفها، وعلى حليفته سوريا، وحتى على إيران الأب الروحي والسياسي لسماحة السيّد.

يغبط الكل إجمالاً، ويحسد البعض تقريباً، سماحة السيد حسن نصرالله، على عدة سمات أهمها سمتان: (1) حسن القراءة وتقدير الموقف السياسي الداخلي والإقليمي والدولي؛ (2) حسن الخطابة والبيان والمنطق وحسن صياغة المفردات. لكن أمين عام حزب الله فشل مؤخراً في الأمرين: القراءة؛ والبيان، فكانت مواجهته مع الدولة الخطأ، والرموز الخطأ، والحدث الخطأ، والتوقيت الخطأ، والظروف الخطأ، والمرحلة الخطأ، فحدثت "الغلطة الكبرى".

اتخذ أمين عام المقاومة موقفاً معادياً للسعودية منذ حرب العام 2006، وكان ذلك رأيه وموقفه ورؤيته، بصرف النظر عن صواب أو خطأ ذلك الرّأي أو الموقف أو تلك الرؤية؛ كما صعّد سماحة السيد من لهجة خطابه ضد السعودية والخليج منذ قرار حزب الله الدخول كطرف رئيسي في الأزمة السورية لكن ذلك شأن لبناني بحت يتحمّل هو والحزب والدولة اللبنانية أجر ذلك القرار أو وزره، ثم تصاعدت لهجة الخطاب ونبرة الصوت المعادي للسعودية ورموزها والتشكيك في مبادئها وقيمها منذ بدء "عاصفة الحزم" في اليمن حتى وصل الأمر إلى الخطاب الأخير فكان القشة التي قصمت ظهر البعير.

أوقفت السعودية الهبة التي سبق أن منحتها للجيش اللبناني والقوات الأمنية بعد موقف لبنان الدولة الخارج عن الإجماع العربي والإسلامي في استنكار وشجب الاعتداء الذي تم على السفارة والقنصلية السعودية في طهران ومشهد، وكان الإيقاف حقا أصيلا للسعودية كدولة مستقلة ذات سيادة بصرف النظر عن صواب أو خطأ المنح أو الإيقاف؛ منعت السعودية سفر مواطنيها الى لبنان، وطلبت من مواطنيها مغادرة لبنان كإجراء احترازي، وهذا أيضاً تقدير تختص به الحكومة السعودية للمحافظة على مواطنيها، بصرف النظر عن تأويل أو تهويل ذلك التقدير. ما حدث هو سجال سياسي وقرارات حكومية سيادية، وفعل وردّ فعل يحدث دائماً بين الدول ومن صميم العلاقات الدولية. لكن سماحة السيّد حسن نصرالله أقحم نفسه وحزبه من منطلق شعور ذاتي بالقوة وتعاظمها، ففوجئ بالقرارات السعودية ورأى فيها استهدافاً له وللحزب وللمقاومة ولإيران، فانبرى للهجوم على السعودية ورموزها والتشكيك في مواقفها ومبادئها وقيمها، فاضطرت السعودية إلى فتح ملف الحزب، الذي أجّلت فتحه طويلاً، وقررت تصنيفه منظمة إرهابية أسوة بالمنظمات المماثلة.

> كان بإمكان السيد حسن نصرالله، أن يكون جسر السلام والتفاهم والإخاء بين العرب وتحديدا بين السعودية وإيران في الأزمة السياسية الأخيرة، وتقريب وجهات النظر وجمع الحكماء في الدولتين

يزعُم سماحة السيد كأمين عام لحزب الله أنه عندما يتصرف منفرداً في الشأن الداخلي أو الخارجي إنما يقوم بذلك إكراماً لحلفائه وأصدقائه وعدم إحراجهم. حسناً، قد يكون ذلك التصرف مقبولاً كنوع من السجال والممارسات السياسية الداخلية أو لعب ما يسمّى تبادل الأدوار في الشأن الداخلي. فيتصرف فرد أو حزب سياسي معيّن بمعزل عن حلفائه لرفع العتب أو المسؤولية عنهم. لكن ذلك ممنوع ومرفوض بالمطلق في الشأن الخارجي. فالعلاقات الدولية تقوم على علاقة بين دول تمثلها حكومات، ونجزم بأن سماحة السيّد حسن نصرالله يعي هذا الجانب جيداً. الأخطر من ذلك، أن حزب الله ليس حزبا سياسيا فقط، بل مؤسسة عسكرية تملك أسلحة فعّالة ذات تأثير على ميزان القوى في الداخل اللبناني وخارجه، ونظن أن الأمر اختلط على أمين عام حزب الله، في الفرق بين ممارسة الحزب والدولة، كما سبق أن اختلط على الساسة في إيران التفريق بين ممارسات الثورة والدولة، وهنا مكمن الخطر والخطورة.

يقبل المجتمع الدولي بالعديد من الكيانات والمكوّنات خارج إطار الدول في المجال السياسي والحقوقي والقانوني والبيئي والفنّي والتقني ويطلق عليها "اللاعبون من غير الدول"، مثل منظمات حقوق الإنسان، وأطباء بلا حدود، والسلام الأخضر وغيرها. لكن المجتمع الدولي لا يقبل بحال من الأحوال أيّ كيانات أو مكونات ذات صبغة عسكرية، فامتلاك السلاح وشنّ الحروب هو خاصية تملكها الدول بشكل حصري.

ولذا قام المجتمع الدولي بتصنيف عدد من الكيانات والمكونات ووصفها بـ"الإرهاب"، مثل الإخوان المسلمين، وحزب العمال الكردستاني، والقاعدة، وتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وبوكوحرام، وحتى حزب الله، وكثير من الأسماء التي تنتشر في العالم. ولذا فإن تصنيف السعودية ودول مجلس التعاون ومجلس وزراء الداخلية العرب حزب الله كمنظمة إرهابية، كان منسجماً، حتى لو أتى متأخراً، مع عرف بات من ممارسات المجتمع الدولي.

حاول سماحة السيّد حسن نصرالله في خطابه الأخير أن ينهى بعضا من أتباعه وشيعته الذين نزلوا إلى الشارع أو يتفاعلون مع وسائل التواصل الاجتماعي، أن يحذروا السباب والشتائم والتعرض للرموز لأن ذلك حرام وفيه إساءة للذات قبل الغير. حسناً سماحة السيّد، كيف تتماشى تلك النصيحة مع السب والشتائم والإساءة التي وجّهتها أنت للسعودية وحكامها؟

وهل تقبل أنت يا سماحة السيّد، أن يكيل أحد السب والشتائم والإساءة لسماحة المرشد الأعلى في إيران باعتباره رمزا تفاخر به، أو للإمام موسى الصدر، أو أيّ من رموز المقاومة الذين ما فتئت تحيي ذكراهم، أو هل يقبل أتباعك أو محبوك أن تتم الإساءة لك؛ الجواب معروف، فلكل دولة وشعب وأمة، يا سماحة السيّد، رموزها الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية ولن يقبل ذلك الشعب الفصل بينه وبين رموزه أو الإساءة لهم. المثير، أن السيّد حسن ذهب إلى أبعد من ذلك، فأعلن توقه وغبطته لمواجهة السعودية والهجوم عليها أكثر من مواجهة العدو الصهيوني. لكن شاعرنا العربي يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم.

يشكل آل سعود، يا سماحة السيّد، في السعودية رمزاً من رموز الدولة والمجتمع على حدّ سواء، كما يشهد لهم التاريخ المعاصر أنهم من رموز العالم العربي والإسلامي والدولي بصرف النظر عن الحبّ والكراهية لهم كحكام أو للمجتمع الخليجي بشكل عام، من بعض الشعوب العربية الأخرى التي عملت الأنظمة الثورية والقومجيون العرب خلال عقدي الخمسينات والستينات الميلادية في الحواضر العربية: بغداد ودمشق والقاهرة، على تشويه صورة عرب الخليج (الأعراب) وحكامهم، فنشأت حالة شوهاء يمكن توصيفها بعلاقة "الحب/الكره"، واستمرت تلك العلاقة المتضادة والمنفصمة في أذهان وعقول قادة تلك المجتمعات حتى يومنا هذا، وقد تختفي تارة وتظهر للعلن تارة أخرى، لكنها واضحة جليّة في أحاديث الغرف المغلقة. الحب والكراهية، يا سماحة السيّد، هي مشاعر عاطفية لا يجب أن تؤثر على الأمانة والإنصاف والعدل. يقول الحق سبحانه وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (الآية 8، سورة المائدة).

غلطة الأمين باهضة

يمثل سماحة السيّد حسن نصرالله، شخصية سياسية كارزماتية، وخطيبا مفوّها، ووجها مشرقا للنضال لحقبة من تاريخ لبنان والعالم العربي المعاصر.

كما أنه قائد لحزب ينضوي تحته مئات الآلاف من إخواننا وأحبّائنا من الطائفة الشيعية في لبنان الذين يهيمون في سماحة السيّد حبا واحتراما وولاء كرمز نضالي. كما يرى فيه الملايين من الشيعة في الوطن العربي رمزية قد تعوّضهم نفسيا، على الأقل، في كثير من جوانب مظلوميتهم التي لطالما جاهروا بها.

وكان حرياً بسماحة السيّد، أن يكون صاحب موقف إيجابي لحزبه وأتباعه وللبنان والعرب وإيران أيضاً. كان بإمكان السيّد حسن نصرالله، أن يكون جسر السلام والتفاهم والإخاء بين العرب والسعودية تحديداً وبين إيران في الأزمة السياسية الأخيرة، وبدلاً من اتخاذ موقف صدامي مع السعودية حميّة لإيران، أن يكون رسول سلام لتقريب وجهات النظر وجمع الحكماء في الدولتين على طاولة واحدة. فالسعودية وإيران بحاجة ماسة للتهدئة والسلام والوئام، وفي ظنّنا أن مثل هذا العمل لو تم من السيّد حسن نصرالله، لأصبح أمين حزب الله، ليس سيّد المقاومة فحسب، بل وسيّد الإخاء والسلام. لكنه ضنّ بذلك على أمته. يقول الشاعر:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يُستغن عنه ويُذمم.

تضطلع السعودية اليوم بأكبر وأعظم وأخطر مسؤولية في تاريخها، فهي الدولة العربية الوحيدة المتبقية في النظام العربي، بعد خروج العراق وسوريا ومصر ولو بشكل مؤقت، في وقت تتكالب فيه قوى إقليمية، إيران وتركيا وإسرائيل، على جرّ دول عربية أو جزء منها إلى دائرة نفوذها، ومرحلة تتنافس فيه قوى عظمى، روسيا وأميركا، على اختطاف المنطقة وإعادة تقسيمها وتجزئتها.

فهل من المنطق الإستراتيجي أن يقوم سماحة السيّد حسن نصرالله في هذه الفترة بخلق أعداء، أو يكون المقوّض أو العدوّ من الداخل اللبناني والعربي ضد الجهود والمهمة السعودية، فيحرج لبنان وشعبها وتياراتها وطوائفها؟

ألم يطالب أمين عام حزب الله بالحياد الإيجابي إبّان حرب 2006، على مبدأ "قل خيراً أو اصمت"؟ ألم يقرأ سماحة السيّد حسن نصرالله التوجيه الإلهي في التنزيل الحكيم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (الآيتان 2 و3 سورة الصف)، ألم يسمع أمين عام حزب الله ببيت الشعر العربي: لا تنه عن خلق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم؟

كنّا قبل أيام في حوار مع الأستاذ إبراهيم بيرم، والأستاذ شارل جبور، في ضيافة الإعلامية المتميزة فدى بسيل على قناة العربي الفضائية نناقش حزب الله وتصنيفه منظمة إرهابية وانعكاسات ذلك على لبنان الدولة والمجتمع. قلنا حينها ونكرر، إن لبنان قويّ بحضارته وعقول رجاله الشرفاء المخلصين، الذين لديهم من مخزون الابتكار والإبداع ما يمكّنهم من صياغة أسس جديدة لسياسة جديدة تقوّي مفهوم الدولة والمؤسسات والمجتمع. فبعض الأسماء والأفرقاء الذين يحسبون أنفسهم على السعودية والخليج فشلوا في إدراك حساسية المرحلة وباتوا جزءاً من المشكلة ويتحملون الجزء الأكبر من المسؤولية في اختلال التوازن الداخلي، بل نقول إن صلاحيتهم قد انتهت، ومن صالح لبنان الدولة والشعب أن يغيّروا كل تلك الأسماء بربيع عربي سلمي أو بعصف ذهني رفيع يرفض الأفراد والأسماء ويبقي على الدولة والمؤسسات.

أخيراً، ارتكب سماحة السيّد حسن نصرالله العديد من الأخطاء نتيجة شعوره بتنامي القوة فأصيب قلبه ورشده بالعمى، يقول الحق سبحانه وتعالى: "... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ". (الآية 46، سورة الحج)، ومع العمى ارتكب أمين عام حزب الله "الغلطة الكبرى" فجاءت كل ردود الأفعال مفاجئة، عندها فقدَ سماحة السيّد قدرته على قراءة الأحداث وتقدير الموقف والإحساس بالمرحلة ودقتها وحساسيتها وانعكاساتها ومآلاتها.

ولذا فقد بريقه، وذاته، وسيفقد أنصاره ومحبيه وحلفاءه شيئاً فشيئاً، لأنه أضحى عبئاً ثقيلاً في رحلة ومسيرة دولية سياسية تحكمها المصالح، ولن تتوقف تلك المسيرة عند سماحة السيّد، أو حزب الله، أو لبنان، فالرحلة أكبر وأعقد وأعمق من ذلك كله. يقول شاعرنا العربي:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم.

ختاماً، آل سعود رمز من رموز الدولة السعودية التي وجدت في العام 1932 لتبقى، بالرغم من حملات التشكيك التي لم تتوقف منذ الخمسينات والستينات حتى اليوم. أما سماحة السيّد حسن نصرالله، فيعلم قبل غيره أن الدول تبقى لكن الأفراد والأحزاب تكفيهم غلطة واحدة لتؤدي بهم إلى الزوال. يقول شاعرنا العربي:

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم.

حسن نصرالله وهزيمة المشروع الإيراني في اليمن

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ لم يكن الخطاب الأخير للأمين العام لـ"حزب الله" السيّد حسن نصرالله هادئا، كما أحبّ الرجل أن يصوّر لمحازبيه من خلال طريقة إلقائه للخطاب. كان الخطاب الذي اتسّم بلهجة تصعيدية خطابا غريبا بكلّ المقاييس، خصوصا لدى المواطنين العرب الذين يعرفون ولو القليل عن اليمن وما يدور فيه، وقبل ذلك عن علاقة "حزب الله" باليمن.

لم يكن الخطاب الأخير يوم الأربعاء الواقع فيه الأول من آذار ـ مارس 2016 المناسبة الأولى التي يتطرّق فيها حسن نصرالله إلى الموضوع اليمني. سبق له أن هاجم المملكة العربية السعودية مرّات عدة بسبب اليمن. خصّص لليمن خطابا ألقاه بعد انطلاق "عاصفة الحزم" في أواخر هذا الشهر من العام الماضي. كان ذلك الخطاب، الذي ينقص عمره على اثني عشر شهرا بقليل، مناسبة للتصعيد مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي التي شاركت في العمليات العسكرية التي استهدفت انتزاع اليمن من الهيمنة الإيرانية.

اتضح الآن بعد أقلّ من سنة على انطلاق "عاصفة الحزم" كم كان ضروريا التصدّي لإيران في اليمن. هذا التصدي الناجح يفسّر ذلك الألم الذي يشعر به حسن نصرالله الذي اعتقد في مرحلة معيّنة أنّه نفّذ المهمة المطلوبة منه بنجاح منقطع النظير يستحقّ عليه مكافأة كبيرة.

في الواقع، لم يعد لدى "حزب الله" وأمينه العام سوى الصراخ لتبرير الفشل في اليمن. سارع المسؤولون الإيرانيون إلى الإعلان في الأيام التي تلت مباشرة سيطرة "أنصار الله"، أي الحوثيين، على صنعاء، أن طهران باتت تتحكّم تماما بأربع عواصم عربية هي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء.

صحيح أن طهران تتحكّم إلى حدّ كبير ببغداد وأنّ الميليشيات الشيعية المنضوية تحت مسمّى "الحشد الشعبي" صارت صاحبة القرار الأوّل والأخير في العراق، لكنّ الصحيح أيضا أنّ ثمن ذلك توفير حاضنة لـ"داعش" وأشباه "داعش" في كلّ المناطق التي فيها أكثرية سنّية عربية. هل إيران حليف لـ"داعش" أم لا؟ هل ما يشير إلى أن ممارساتها ذات الطابع المذهبي الفاقع في العراق وغير العراق تساهم في مواجهة "داعش" و الـ"دواعش" أم لا.. أم كل ما في الأمر أنّ المطلوب الاستفادة من "داعش" قدر المستطاع لتبرير نشوء ميليشيات مذهبية في كلّ المنطقة العربية، بما في ذلك اليمن؟

كان واضحا من الخطاب الأخير لحسن نصرالله فشل مشروعه في اليمن، وهو مشروع مكلّف به من إيران. وهذا ما يفسّر إلى حدّ كبير ذلك التوتر والتصعيد اللذين اتّسم بهما الخطاب. لم يكن طبيعيا أن يضع الأمين العام لـ"حزب الله" موقفه من السعودية بعيد انطلاق "عاصفة الحزم" في مرتبة أعلى من تصدّيه لإسرائيل في جنوب لبنان.

ليس هناك من يستطيع تجاهل تضحيات "حزب الله" في وجه الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، وذلك قبل السنة 2000، حين قرّرت إسرائيل الانسحاب وتنفيذ القرار الرقم 425، الصادر عن مجلس الأمن في العام 1978 لأسباب مرتبطة بمصالحها لا أكثر. كان الانسحاب الإسرائيلي سببا كافيا كي يعلن "حزب الله" أنه حزب لبناني وليس أداة إيرانية تستخدم حيث تدعو الحاجة إلى ذلك، أكان في سوريا أو لبنان نفسه أو العراق أو اليمن أو أيّ مكان آخر في المنطقة والعالم، خصوصا في البحرين.

كشفت "عاصفة الحزم" مشروع "حزب الله" في اليمن. تبيّن بكلّ بساطة، من خلال الخطاب الأخير لحسن نصرالله، أن الحزب متورّط في اليمن أكثر بكثير ممّا يعتقد، وعلى كل صعيد. هذا التورّط يفسّر إلى حدّ كبير مدى تضايق "حزب الله" من "عاصفة الحزم" التي، وإن جاءت متأخّرة، إنّما قضت على المشروع الإيراني في اليمن. هذا المشروع الذي لم يكن من هدف له سوى استكمال تطويق إيران للمملكة العربية السعودية والدول العربية الأخرى في الخليج.

من يستعيد المرحلة التي سبقت "عاصفة الحزم"، يكتشف أن إيران، مثلها مثل حسن نصرالله، كانت تعتقد أنّ العرب "تنابل" وذلك على حد تعبير الأمين العام للحزب. العرب ليسوا "تنابل". على العكس من ذلك تصدّوا للمشرع الإيراني في اليمن الذي كان يستهدف السيطرة على البلد كلّه وتحويله مستعمرة، كما الحال حاليا في لبنان، حيث يقاوم الشعب اللبناني كلّ المحاولات الهادفة إلى القضاء على البلد ونشر البؤس فيه من أجل إخضاعه بشكل نهائي.

وجد هناك من يساعد اليمنيين في المقاومة. هناك نواة لشرعية في اليمن ترفض الرضوخ لإيران. جاءت "عاصفة الحزم" بقيادة المملكة العربية السعودية لتفاجئ المشروع الإيراني الذي كان حسن نصرالله يلعب دور المتعهّد له.

يروي صديق يمني، من العارفين بخبايا الأمور، أنّ اليمن كان إلى ما قبل سنوات عدّة مسؤولية الخارجية الإيرانية والاستخبارات و"الحرس الثوري" في الوقت ذاته. وجدت إيران أخيرا أن أفضل ما يمكن عمله هو تلزيم اليمن لـ"حزب الله" الذي زرع عناصر كثيرة في البلد منذ سنوات عدّة.

عندما سيطر الحوثيون، "أنصار الله"، على صنعاء في الواحد والعشرين من أيلول ـ سبمتبر 2014، وجد من يعلن قيام نظام جديد في البلد. أعلن عبدالملك الحوثي زعيم "أنصار الله"، الذي كان يقلّد حسن نصرالله في تفاصيل التفاصيل، بما في ذلك رفع إصبعه لدى إلقاء خطبه، ولادة نظام جديد مستندا إلى "الشرعية الثورية". انطلقت ميليشياته في كلّ الاتجاهات وصولا إلى باب المندب، ذي الأهميّة الإستراتيجية الاستثنائية، وإلى مدينة عدن، ذات الميناء المعروف تاريخيا، والمناطق المحيطة بها.

قضت "عاصفة الحزم" على المشروع الإيراني في اليمن. هذا ما عكسه خطاب حسن نصرالله. وهذا ما جعله يفقد السيطرة على أعصابه والذهاب بعيدا في الحملة على السعودية، غير آخذ في الاعتبار مصلحة لبنان واللبنانيين من كلّ الطوائف والمذاهب والمناطق والطبقات الاجتماعية. بالنسبة إلى إيران، يظلّ اليمن بسبب قربه من السعودية أهمّ بكثير من فلسطين.

> قضت «عاصفة الحزم» على المشروع الإيراني في اليمن. هذا ما عكسه خطاب حسن نصرالله. وهذا ما جعله يفقد السيطرة على أعصابه والذهاب بعيدا في الحملة على السعودية غير آخذ في الاعتبار مصلحة لبنان واللبنانيين

يمكن المتاجرة بفلسطين وبالقضية وبالفلسطينيين أنفسهم في كلّ وقت وفي كلّ مناسبة، لكنّ السعودية تبقى شيئا آخر نظرا إلى أنّها قلعة عربية صامدة في وجه سقوط المنطقة.

يبدو ذلك سببا كافيا كي يخرج الأمين العام لـ"حزب الله" عن طوره. يبدو واضحا أنّه أدرك أنه لم يعد قادرا على تنفيذ بنود الالتزام الإيراني الذي أخذه على عاتقه.

كان الأجدر بحسن نصرالله الاعتذار من إيران، نظرا إلى أنّه لم يتوقّع "عاصفة الحزم" بدل أن يصبّ جام غضبه على السعودية. ماذا تستطيع المملكة أن تفعل غير الدفاع عن أمنها وأمن دول الخليج قبل فوات الأوان؟ هل كان لديها خيار آخر غير هزيمة المشروع الإيراني الذي يستهدفها بشكل في اليمن؟

مستقبل تيار المستقبل

أحمد عدنان
صحافي سعودي

❑ منذ عودة الشيخ سعد الحريري إلى بيروت وأداؤه أكثر من جيد، خصوصا على صعيد تواصله مع جمهوره ومحازبيه وبعض خصومه أو منافسيه السنة.
لكن المشكلة ليست هنا أو لم تعد في هذا المكان، لقد انتقلت إلى زوايا مغايرة، العلاقة مع الحلفاء، إضافة إلى التكتيك السياسي الذي يعاني أزمة واضحة.

على صعيد العلاقة مع الحلفاء، يقول الشيخ سعد بأن "المستقبل والقوّات واحد"، وفي المقابل يؤكد د. سمير جعجع بأن العلاقة مع المستقبل استراتيجية كما أن التحالف المبدئي فوق الاختلاف في وجهات النظر، لكن من يدخل إلى معراب أو إلى بيت الوسط سيلاحظ امتلاء القلوب، والمشكلة أن أصحاب الشأن ساروا في مبادرات مضادة، لذلك يريد بيت الوسط سحب ترشيح ميشال عون، ومعراب تريد سحب سليمان فرنجية، وهذه دوّامة غرقنا فيها بسهولة ونجد اليوم مشقة فوق مشقة للخروج منها.

السعداء بفتور العلاقة بين معراب وبيت الوسط هم محازبون صغار أو وجوه خفيفة، فالقضيّة أهمّ من هذه الزعامة أو تلك وهذا الحزب أو ذاك، القضية هي لبنان وقوى 14 آذار، والتنازل في هذا الإطار واجب على الجميع، وإنني أتمنى من الرياض تولّي مبادرة تصفية الأجواء وتدوير الزوايا بين الطرفين، لأنها الوحيدة المؤهلة لهذا الدور بحكم علاقتها المتينة بمعراب وببيت الوسط، مع العلم بأن مواضيع التباين واضحة وجوهرية، صناعة القرار الاستراتيجي في قوى 14 آذار والانتخابات النيابية والملف الرئاسي، وليس من الحكمة ترك ملفات بهذه السخونة لعامل الوقت الذي سيشعلها أكثر بدلا من معالجتها.

على صعيد الأداء السياسي العام، لا أجد أن تيار المستقبل استطاع مواكبة القرارات السعودية والخليجية والعربية بخصوص حزب الله بطريقة صحيحة أو ناجعة، والسبب الأساسي لذلك هو أن شبح 7 أيار ما زال جاثما على مخيلة أصدقائنا المستقبليين، ومن هرب من هذا الهاجس ابتلعه الخوف من اندلاع حرب أهلية، وفي رأيي أننا أمام تقديرات افتقدت الدقة لننته إلى تضييق مساحة الحركة السياسية أمام أنفسنا.

> مشاعر تيار المستقبل هي خوف على جمهورهم ولبنان من حرب أهلية أو 7 أيار محمودة، لكن هناك فرق بين الحرص وبين الاستسلام

الحزب الإلهي ليس من مصلحته في هذه اللحظة بالذات القيام بـ7 أيار جديدة أو إشعال حرب أهلية لغير سبب، مع احتساب اللاجئين الفلسطينيين والسوريين، نجد أن عدد سنة لبنان قد تضاعف مرتين، وهو ما لم يكن حاضرا في 7 أيار 2008، وهذا العدد الضخم معبأ بأعلى درجات الاحتقان من جرائم الحزب الإلهي وتصرّفاته، ولا ينقصه إلا عود كبريت لتسقط الخطوط الحمر بينه وبين ما يسمّى بحزب الله وجمهوره، وهؤلاء السنّة بالتأكيد ليسوا مسلحين أو مدربين كميليشيات إيران، لكنهم يستطيعون بأبسط الوسائل والإمكانات تشكيل إزعاج حقيقي وموجع للحزب ولبيئته الحاضنة.

على صعيد آخر، إن أعداد قتلى الحزب الإلهي وجرحاه جراء تدخله السوري مزعجة له وزيادتها ولو بفرد واحد داخل لبنان مشروع انتحار، لأن سقوط الأول لا يعني سقوط الأخير، وليس معقولا أن يكون الحزب المنغمس في حرب خارجية مستعد لفتح جبهة داخلية في هذا التوقيت.

وهناك زاوية أخرى لا بدّ من أخذها في الحسبان، إن القرار السعودي بوقف الهبة للجيش اللبناني هو في حقيقته رسالة تحفيزية لحلفائها اللبنانيين وللدولة اللبنانية كي يحرّروا أنفسهم من نفوذ الحزب، تزامن ذلك مع عقوبات وضوابط أميركية على المصارف اللبنانية لتجفيف الحزب الإلهي ماليا، وفوق ذلك اتخذ مجلس التعاون الخليجي ومجلس وزراء الداخلية العرب قرارا بتصنيف ما يسمّى بحزب الله منظمة إرهابية استنادا إلى أدلة دامغة، أي أن الصورة أمامنا هي حصار عربي ودولي يفرض تدريجيا على الحزب الإلهي، وتورط الحزب في أيّ منزلق داخلي سيدينه ويضعفه ولن يقوّيه، وبهذه الوقائع نقول أيضا: انعقاد مؤتمر تأسيسي في هذا التوقيت سيصبّ حصرا لمصلحة السنّة، فرئاسة الحكومة لم تعرف الفراغ، كما أنهم لم يحملوا سلاحا ولم يتطفلوا على شؤون غيرهم كما فعل الحزب الإلهي وحلفاؤه، ولنا في الحرب الأهلية ومؤتمر الطائف أسوة حسنة، من حمل السّلاح أو غطّى الفراغ تعرّض للإقصاء.

مشاعر تيار المستقبل هي خوف على جمهورهم ولبنان من حرب أهلية أو 7 أيار محمودة، لكن هناك فرق واضح بين الحرص وبين الاستسلام، وهناك فرق ناصع بين الضغط والمواجهة وبين إشعال الفتنة.

منذ عاد الرئيس سعد الحريري وهو يرفع شعار انتخابات الرئاسة، ولن يتمكن من خوض هذه المعركة من دون حليفه الأساس، حزب القوات اللبنانية، وتصريحات الشيخ سعد ليست كافية البتة لمعالجة الفراغ.

يتكئ الحزب الإلهي على مرتكزات أربعة لتغطيته ولحماية الفراغ، الأول هو الحوار الثنائي مع تيار المستقبل، والثاني يتمثل في مبادرات رئاسية رشحت حلفاءه، والثالث يتجسد في حكومة الرئيس تمام سلام، والرابع هو صمت الشارع عن ممارسات الحزب الإلهي ضد الدولة اللبنانية.

إنني أتمنى ذات يوم حضور جلسات الحوار بين تيار المستقبل والحزب الإلهي بسبب العجز عن تخيّل ما يمكن أن يقال فيها، ولقد فكرت مرارا في سبب انعقاد هذه اللقاءات الصورية، ولم أجد سببا مقنعا غير جودة "الشاي" و"القهوة" في دارة الرئيس نبيه بري وشخصيته الجاذبة، وحسب معلوماتي المتواضعة قدّم هذا الحوار معلومات مغلوطة لتيار المستقبل عن مسار قضية الإرهابي ميشال سماحة لتتفاجأ قوى 14 آذار بإطلاق سراحه عكس المتوقع. لذلك، هذا الحوار لا بد من إيقافه خصوصا مع استمرار جلسات الحوار الوطني برئاسة نبيه بري نيابة عن رئيس الجمهورية الغائب أو المغيّب بالفراغ، فتيار المستقبل مع حلفائه أقوى منه منفردا.

بعد المستجدّات الخليجية والعربية والدولية تحت عنوان محاصرة حزب الله، يصبح الاستمرار في المبادرتين الرئاسيتين ضربا من العبث، فهذا الحصار سببه اعتداء الحزب على مفاصل الدولة وسيطرة حلفائه على بعض الوزارات، فهل يعقل بعد ذلك أن نسلّمهم قصر بعبدا؟ والأدهى أن مرشّحي الرئاسة لا يحضرون جلسات الانتخاب، وحزب الله لم يبذل أيّ مبادرة تسهّل انتخاب أحد حلفائه، وبالتالي فإن رغبته في استمرار الفراغ ليست محل جدل، وهذا الحزب متورط في ملفات إجرام وفساد وإرهاب عابرة للقارات، وسيطرته على ما تبقى من الدولة سيحوّل لبنان كليا إلى دولة مارقة ككوريا الشمالية.

أصدقاؤنا المسيحيون يقولون إن الأغلبية المسيحية رشّحت للرئاسة ميشال عون، وبالتالي لا بد من انتخابه أسوة بما يجري مع رئاسة مجلس النواب ورئاسة الحكومة، وهذه الصورة تبدو صحيحة للوهلة الأولى، لكن الواقع في مكان آخر، الأغلبية السنية منذ إسقاط حكومة الرئيس سعد الحريري عاجزة عن إيصال مرشّحها أو زعيمها إلى السراي الحكومي وبعض ذلك حصل بتواطؤ المرشح "المسيحي" ميشال عون صاحب تصريح "ون واي تيكيت" الشهير، وشاهدنا حكومة يرأسها نجيب ميقاتي بقرار شيعي استند على القمصان السود وتغطية عون، وبعد الحكومة الميقاتية لجأ السنّة إلى التوافق وجاؤوا مكرهين بتمّام سلام، والسؤال هنا إلى عون: لماذا لا يقبل على نفسه ما رضيه لغيره؟

هناك صورة تنتشر بأن السنّة يهضمون الحقوق المسيحية وهذا غير صحيح، فتيار المستقبل لم يضع فيتو على وصول أيّ قطب من الأقطاب المسيحية الأربعة، في حين أن الحزب الإلهي وضع الفيتو على خصومه المسيحيين ويمنع انتخاب حلفائه، ويريد إلغاء الدروز بالقانون النسبي كما فعل بالسنّة مع رئاسة الحكومة، لتكون الجملة الصحيحة: ما يسمى بحزب الله يهضم الدولة وشعبها.

سليمان فرنجية في هذه اللحظة أمام مأزق التوقيت، لقد تكشفت أضرار ترشيحه تماما بعد هذه الأشهر، وأهمها شرخ ملاحظ في قوى 14 آذار وعجز هذا الترشيح عن معالجة الفراغ، فإذا كان ترشيح سياسي من قوى 14 آذار أو من قوى 8 آذار لم يعالج الفراغ، فالأولى إذن أن نعود إلى طرح مرشّح من ثورة الأرز. وما يثير الدهشة أن فرنجية وعون بعد ترشيحهما لم يتغيرا.

ما أقترحه أن يعلن د. سمير جعجع والشيخ سعد الحريري مهلة زمنية لتأييد مرشّحيهما تنتهي بالجلسة المقبلة في 23 آذار. نظريا، إن حزب الله وحلفاءه إضافة الى القوات اللبنانية يستطيعون إيصال عون إلى قصر بعبدا من دون الحاجة إلى تيار المستقبل الذي لم يضع فيتو على وصول عون، وكذلك الأمر، يستطيع تيار المستقبل إيصال فرنجية إلى قصر بعبدا، لذلك لا مبرر لعدم انعقاد الجلسة، و"غنج" حزب الله وأنانية عون يجب أن تكون لهما نهاية. وما لم تنتج جلسة 23 مارس رئيسا يطرح المرشّح الثالث. ولا يضحكني في هذا السياق إلا مطالبة الحزب الالهي بضمانات، معه السلاح ويطالب الآخرين بضمانات تماما كإسرائيل التي تمتلك قنبلة نووية وتطلب من الفلسطينيين العزّل ضمانات!

حكومة تمّام سلام تحمل على عاتقها كل كوارث لبنان، من أزمة النفايات إلى تحكم الحزب الإلهي بالدولة، ولا يستفيد أحد من استمرارها إلا حزب الله بتمرير أجنداته، لا بد من تلويح العصا بداية بالاعتكاف ثم بالاستقالة لسحب شرعية وجود حزب الله في الدولة التي يعطّلها.

نحن مقبلون هذه الأيام على ذكرى ثورة الأرز في 14 آذار، وقوة هذه الثورة تكمن في شارعها، الشارع رافعة تفاوضية أصيلة وممتازة، وبعودة 14 آذار إلى ساحة الشهداء ستخرج القوى الاستقلالية من شعور الاستضعاف إلى الثقة بالنفس، يجب أن يسمع الحزب الإلهي الشعب اللبناني هاتفا ضد السّلاح غير الشرعي، ويجب أن يعتصم اللبنانيون من أجل إنهاء الفراغ وتحرير الدولة من إيران.

مرة أخرى، هناك فرق بين الحرص وبين الاستسلام، وهناك فرق بين الضغط والمواجهة وبين إشعال الفتنة، والركون إلى الاستسلام – في هذه اللحظة الذهبية النادرة – بمثابة مشاركة الحزب الإلهي في القضاء على لبنان والدولة، فليجرّب تيار المستقبل التحرك الجدّي، فأن يقولوا "حاولوا وفشل" خير من أن يتساءلوا "أين تيار المستقبل"، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قوة 14 آذار في شارعها

تيارات تيار المستقبل وأزمة الحكومة الإرهابية

شادي علاءالدين
كاتب لبناني

❑ مثّل تيار المستقبل حالة نمت وترعرعت في انطلاقتها الأولى في أجواء نهاية الحرب، وقيام ورشة إعادة الإعمار التي ترافقت مع صعود نجم الرئيس الشهيد رفيق الحريري.

بعد اغتيال الرئيس الحريري، عرف تيار المستقبل انطلاقة ثانية، تمثلت في تشكيله عصب قوى الرابع عشر من آذار التي نجحت، وللمرة الأولى في تاريخ لبنان في تحقيق تغيير سياسي ضخم، من قبيل طرد الوصاية السورية الأمنية والعسكرية من لبنان تحت وطأة زخم شعبي عارم غير مسبوق. بعد ذلك شهد التيار حالة من التراجع والانكفاء إثر تراكم سلسلة من الظروف والأخطاء على المستوى الداخلي، وعلى مستوى العلاقة مع دول الخليج التي وصلت إلى تأزم غير مسبوق، ينذر بقطع الصلات المالية السياسية والتحالفية.

الأسباب التي أدت إلى وصول التيار السياسي الأبرز في لبنان إلى هذه الحالة كثيرة ومتعدّدة، لعل أبرزها يتعلق بفقدان الصلة مع الزخم الشعبي، وعدم تطوير إرث رفيق الحريري، والإصرار على التعايش المستحيل مع حزب الله، والحرص على تجنّب المواجهة معه بأيّ ثمن، والصراع المكشوف على رئاسة الحكومة بين عدة شخصيات مستقبلية، أو تنطوي تحت جناح تيار المستقبل. يضاف إلى ذلك قصور الرؤية، وسوء معالجة الأزمات مع دول الخليج عامة والسعودية خاصة، بسبب سيطرة نزوع عام عند التيار الأزرق يصر على الفصل بين الداخل والخارج، ويقرأ الواقع السعودي والخليجي الذاهب إلى مواجهة مفتوحة وجدية مع إيران وحزب الله على غير ما هو عليه، ويفترض أن لبنان سيبقى بمنأى عن تداعيات هذا الصراع داخليا، وأن المواجهة مع حزب الله تقتصر على الساحات الساخنة حربيا في حين يبقى التبريد سمة الموقف في الداخل اللبناني.

رؤساء حكومات تيار المستقبل

تتصارع في تيار المستقبل حاليا ثلاث حالات هي الحالة المشنوقية، والحالة الريفية، والحالة التي يمثّلها سعد الحريري. وزير الداخلية نهاد المشنوق الذي يطرب لوصفه بأنه من أبرز صقور المستقبل، يسعى للاستفادة من ظروف محلية وإقليمية لركوب موجة الترشح لرئاسة الحكومة كبديل مقبول من سعد الحريري.

يلعب من أجل تحقيق هذا الحلم لعبة مسايرة حزب الله، ورفع لواء التعبير الشرس عن الصّوت السني في آن واحد، وذلك من أجل محاولة تحقيق حد ما من الإجماع الداخلي والخارجي عليه. هذه التسوية المستحيلة أنتجت شخصية لا تحظى بقبول سنّي كبير في الداخل، ومضطرة تحت وطأة الضرورة لمسايرة حزب الله في المواقف التي تطلق في المحافل العربية. النتيجة النهائية لمثل هذه التركيبة كانت شخصية أطلق عليها الرأي العام السني تسمية نهاد صفا، نسبة إلى مسؤول الارتباط في حزب الله وفيق صفا الذي بلغت مسايرة المشنوق له حد مشاركته في الاجتماعات الأمنية في وزارة الداخلية.

صاحب التيار الثاني هو أشرف ريفي وزير العدل المستقيل احتجاجا على ممارسات حزب الله، وهو يصف نفسه بأنه حالة مستقلة عن تيار المستقبل، ولكنها متحالفة معه.

تياره يقوم على فكرة ضرورة تشكيل زعامة سنّية تواجه حزب الله، وتستجيب لمعطيات ومفاعيل الحزم العربي، وتحاول توظيفه واستثماره في بناء ردة فعل على سلوكيات حزب الله، تقطع مع كل أساليب المهادنة والمسالمة السابقة والتي أسّست، كما يرى ريفي، لحالة من الخضوع لأوامر الحزب، وتحويل الحكومة إلى مطيّة له. كذلك فإن هذا التيار يقول إنّ حزب الله ليس على هذا القدر من المنعة والقوة، وإنّ منعته ناتجة عن ضعف ردود الأفعال عليه، وليس انطلاقا من حجم قوّته الذاتية وحسب، ويرى أن لبنان عامّة والسنّة خاصة ما لم يتخذوا مواقف سريعة وحاسمة من حزب الله، فإنهم سيفقدون حاضنتهم العربية والإسلامية، وسيدرجون في الخانة نفسها التي يدرج فيها حزب الله. هكذا يمكن توصيف طموح ريفي بأنه يميل لكي يكون أكثر من رئيس حكومة بل يريد أن يكون زعامة سنية، بل الزعامة السنية، وساعتها ربما يصبح الكرسي السنّي الأول في لبنان حقا شرعيا له دون منازع.

يصر رئيس التيار الثالث سعد الحريري على اعتبار أن تياره لا يزال هو التيار الأصلي والأساسي. يتجاهل كل التيارات الأخرى التي باتت حركتها غير خافية عن أعين المراقبين، ويتعامل مع مطلقيها بوصفهم مجموعة من الموظفين الذين لا يستطيعون الخروج عن أوامره وتوجّهاته.

هذا التعامل برز بشكل واضح في كيفية تعامل سعد الحريري مع أشرف ريفي، حين خرج محتجا من جلسة حكومية على عدم إدراج بند إحالة ملف المجرم ميشال سماحة إلى المجلس العدلي دون التنسيق معه. ردة فعل الحريري التي شغلت وسائل التواصل الاجتماعي كانت عبر تغريدة غاضبة على موقع تويتر، اعتبر فيها أن أشرف ريفي لا يمثله.

هذه التغريدة فتحت مشكلة مستقبلية – مستقبلية إذا صح التعبير، فقد توالت بعدها ردود الأفعال من قلب جمهور تيار المستقبل الذي لم يرق له هذا الموقف، فرد على تغريدة الحريري بتغريدات مستنكرة تقول عكس ما قاله، وتعلن أن أشرف ريفي يمثلها. وكان سبق للأمين العام لتيار المستقبل أحمد الحريري أن أطلق مواقف غاضبة تستهدف ريفي، يعلن فيها أن لا صوت يعلو فوق صوت الرئيس سعد الحريري في تيار المستقبل.

ربما يكون ما قاله أحمد الحريري صالحا في ما يخص التيار المستقبلي الذي يمثله سعد الحريري، ولكن قد تكون إشاحة النظر عن التيارات المستقبلية التي تنمو على ضفاف التيار الأصلي نوعا من الإنكار الذي لا يفيد، بل يعقّد عملية إعادة اللحمة إلى تيار المستقبل وتوحيده.

تجميد إرث الرئيس الشهيد

لا تقتصر الأزمة التي يعاني منها التيار الأزرق في واقع تكاثر التيارات المستقبلية وحسب، بل في علاقة التيار بإرث الرئيس الشهيد رفيق الحريري حيث يتم التعامل معه بوصفه رصيدا لا ينفد مهما تم الصرف ببذخ منه، وهذا لسوء الحظ غير صحيح.

الرئيس سعد الحريري اعتاد في كل مفاصل حراكه السياسي على بث خطاب يقول بأنه يسير على درب الرئيس الشهيد، ولكن الهالة الرمزية التي كان يمثلها رفيق الحريري لم تنتقل بالوراثة إلى سعد الحريري الذي بات مطالبا في كل لحظة بتحقيق إنجازات تماثل وتضاهي ما كان قد أنجزه الرئيس الشهيد، وهو ما لا يبدو أنه قادر على تحقيقه. كذلك لا تبدو المرحلة والظروف التي تحيا فيها المنطقة صالحة لتشكيل مناخ يسهل مهمة سعد الحريري، بعد أن باتت الشعارات التي نسخها عن والده محتاجة إلى توظيف ذكيّ وفعّال يدرجها في سياق يتناسب مع التغيرات الكبرى التي تلت مرحلة الاغتيال، وهي تغيّرات لا شك في أنّ إثرها طاول المعاني التي تمثل تركة الشهيد، بحيث باتت تحتاج إلى إعادة تفسير، لأن ممارستها الحرفية لم تعد ممكنة.

إصرار سعد الحريري على قيادة تيار المستقبل في اتجاه الوفاء الأرثوذوكسي لتعاليم الرئيس الشهيد، صبّ في نهاية الأمر في مصلحة حزب الله، الذي عبّر في أكثر من محطة عن ارتياحه، لاعتدال تيار المستقبل، وحرصه على صيانة السلم الأهلي، وسدّ الفراغ في سدة الرئاسة.

معنى الاعتدال تمثّل واقعيا في السماح لحزب الله باختراق الساحة السنية، وتأسيس تيار مسلح يدين له بالولاء في قلب البيئة السنية، هو تيار "سرايا المقاومة" الذي يشمله القرار الخليجي القاضي بتصنيف حزب الله ومن يدور في فلكه بالإرهاب. كذلك تمثّل معنى الحرص على صيانة السلم الأهلي، بالقبول بأيّ سلوك من حزب الله على كافة المستويات الأمنية، والسياسية، والاقتصادية، ما دام يضمن عدم الانزلاق إلى مواجهة تتسبّب بحرب أهلية، فكانت النتيجة أن أحكم حزب الله سيطرته على كل مرافق البلاد وعلى خطابها السياسي الاقتصادي.

بات البلد مع هذا المنطق يعيش عمليا ما هو أسوأ بكثير من حالة الحرب الأهلية، التي لم تصل في أكثر فصولها سوادا إلى القدرة على خلق مشهد تغرق فيه العاصمة بيروت بالنفايات، وتتسابق وسائل الإعلام على عرض قائمة السرطانات والأوبئة التي يبشرنا بها السلم الأهلي المنيع والذي لم يخدش.

قطع الصلة مع الزخم الجماهيري

يعاني فريق 14 آذار عامة، وفريق المستقبل خاصة، من مشكلة كبيرة تتعلق بالصلة المقطوعة مع زخم اللحظة التي انطلق منها هذا التيار كتحالف واسع، برز مع صعود زخم شعبي عارم، وغير مسبوق إثر اغتيال رفيق الحريري. هذا الزخم التّأسيسي كان قد أثبت جدواه، وفعاليّته، وقدرته على إعادة إنتاج المواقف الإقليمية، والدولية، وصبّها في اتجاه دفع الوصاية السورية الأمنية والسياسية للخروج مرغمة في لبنانٍ.

الأزمة التي يعاني منها هذا الفريق ككلّ، وتيار المستقبل بشكل خاص لكونه يمثل عصب هذا التحالف وروحه، تكمن في فقدان الصلة بالزّخم الشعبي المستاء من توالي التنازلات تحت عنوان تجنّب المواجهة. هكذا تحوّلت الحالة المستقبلية من حالة نمت وترعرعت في أحضان الحماس الجماهيري إلى حالة مكتبية بيروقراطية، يديرها ويتحكم فيها مجموعة من الموظفين الإداريين الذين لا يعرفون، ولا يجيدون التعامل مع سلسلة الوقائع المتسارعة.

ثلاث حالات تتصارع في تيار المستقبل هي الحالة الريفية والحالة المشنوقية والحالة التي يمثلها سعد الحريري

لعلّ أبرز ما يدلّ على فقدان الصلة مع الزخم الشعبي، هو فكرة ترشيح الحريري لواحد من أقطاب فريق الثامن من آذار لرئاسة الجمهورية، تحت عنوان الضرورات التي تبيح المحظورات. اختيار سعد الحريري دعم سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية، فجّر الكثير من الجسور بينه وبين الجمهور المستقبلي، وخصوصا لأنّ هذا الجمهور يعتبر فرنجية مشاركا في التغطية على قتلة الرئيس الشهيد رفيق الحريري، كونه كان وزيرا للداخلية حين وقع الاغتيال، وقد أصدر حينها قرارا يقضي بإزالة الحطام من مكان الانفجار، بهدف تضييع الأدلة.

يقول سعد الحريري في تبرير هذا الاختيار لجمهوره إن رفيق الحريري لو خيّر بين الفراغ، واختيار أيّ شخصية لملء هذا الفراغ لكان فعل ذلك، وقبل بترشيح شخص من تيّار خصم، لأن الأولوية هي لمنع الشغور نظرا لما يتسبّب به من تفكيك للمؤسسات. هذا المنطق لا يبدو مقنعا للجمهور الذي يرى أن حليف المستقبل المسيحي الرئيسي سمير جعجع رشح ميشال عون فباتت الرئاسة حكرا على شخصية من 8 آذار، في حين أن حزب الله يجد نفسه مرتاحا كما تعبّر أدبياته إلى جرّ الخصوم إلى خياراته.

لا يجد الحزب نفسه متلهّفا لقطف انتصاراته، والمبادرة إلى انتخاب أيّ من هاتين الشخصيتين، ليس لأنّ الفراغ هو هدفه وحسب، ولكن لأنه يعتبر أن ترشيح الحريري لفرنجية، غير المقبول في الوسط الجماهيري المستقبلي، إنّما يأكل من رصيد التيار الشعبي، بينما يبيع الحزب لجمهوره هذين الترشيحين بوصفهما ثمنا لتضحياته في سوريا، التي أتاحت له السيطرة على الموقع الأول في البلاد.

تم الترويج لهذا الترشيح بوصفه مدخلا لتسوية شاملة تعيد الحريري إلى رئاسة الحكومة، وعبر فكرة مفادها أن حزب الله يخسر بمجرد انتظام الأمور، ولكن الحزب أظهر قدرة على استيعاب وتوظيف ترشيح الحريري لفرنجية لصالحه، في حين أن الحريري لا زال يدفع تبعات هذا الترشيح من تكريس فقدان الصلة بالزخم الشعبي.

سوء إدارة أزمة العلاقات

بعد موقف وزير الخارجية جبران باسيل الرافض لتجريم التهجّم على السفارة السعودية، يأتي موقف الوزير نهاد المشنوق برفض تصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية، بعد أن صنّفته دول الخليج كذلك. اللافت أن تيار المستقبل يتحمّل المسؤولية عن هذين الموقفين والتبعات السياسية والاقتصادية الناتجة عنهما. مرّة لأن الحكومة التي يرأسها تمّام سلام محسوبة عليه، وتاليا فإن مواقف أيّ وزير خصوصا في الشأن الخارجي تحسب على الحكومة ككل، وبشكل خاص على التيّار الذي ينتمي إليه الرئيس، ويتحمّل كذلك المسؤولية المباشرة عن مواقف المشنوق لأنه ينتمي إلى تيار المستقبل، لا بل يعدّ نفسه واحدا من الصقور فيه. هكذا تكون كل المواقف الرسمية المناهضة للتوجّهات السعودية والخليجية قد صدرت عمليا عن تيار المستقبل، الذي يعلن مرارا وتكرارا ليس عجزه عن المواجهة، ولكن عدم الرغبة فيها.

يستمر في الحوار مع حزب الله، ويصرّ على إبقاء الحكومة التي باتت في التصنيف الرسمي السعودي والعربي حكومة إرهابية، بحكم اشتمالها على تنظيم إرهابي. هكذا بات تيار المستقبل أسير تصور يرى فيه شريكا للإرهاب في لحظة لم يعد فيها الصراع مع إيران وحزب الله، يتخذ شكل خلاف سياسي وخطابي، بل بات معركة مفتوحة بكل الأساليب وفي كل الميادين. الامتناع عن اتخاذ مواقف عملية ومباشرة صار يصنف في خانة الانحياز للعدو، وهو معطى يرفض المستقبل الاعتراف به.

ما كشفته المعلومات ووجهات النظر التي تنتشر في أكثر من مكان، يقول إن السعودية لا تطلب من تيار المستقبل المستحيل، بل تفترض أنه يمكن على الأقل تصميم حالة شعبية فاعلة عبر مظاهرات شعبية حاشدة، يمكن من خلالها إقناع الرأي العام السعودي والخليجي الغاضب بأنّ لبنان لا يدور كله في فلك حزب الله.

المخاوف الأمنية، وضعف الصّلة مع الزخم الشعبي، جعلت التيار الأزرق غير راغب، وغير قادر على صناعة مثل هذا المشهد الشعبي. تاليا لا يبدو قادرا على الأقلّ في هذه اللحظة على تغيير النظرة العربية والخليجية، التي تعتبره في أقصى درجات التسامح الممكنة أسيرا سعيدا لدى حزب الله.

المشكلة بنظر الرأي العام العربي والخليجي أن المستقبل لا يريد الخروج من الأسر، ويطلب من الجميع تفهم خصوصيته، واعتبار الكلام الذي يصدر عنه شبيها بما يقوله الأسرى من مديح في حق الآسرين في التسجيلات التلفزيونية التي تجريها معهم الجهات الآسرة.

ربما يكون المستقبل محقّا في هذه النقطة، ولكن ما لا يفهمه أنه لا يحق للأسير التمتع بميزات المقاتلين.

> لبنان يعيش عمليا ما هو أسوأ بكثير من حالة الحرب الأهلية، التي لم تصل في أكثر فصولها سوادا إلى القدرة على خلق مشهد تغرق فيه العاصمة بيروت بالنفايات، وتتسابق وسائل الإعلام على عرض قائمة السرطانات والأوبئة التي يبشرنا بها السلم الأهلي المنيع

لها حنين فطري نحو العلوم

غادة المطيري

سعودية ثائرة في عالم الطب والأبحاث العلمية

فادي بعاج

«أتمنى أن أحظى بفرصة تقديم محاضراتي لفترة وجيزة سنويا في جامعات وطني الحبيب السعودية، لأشرح مدى أهمية البحث العلمي وقيمة الإنجازات العلمية التي تم التوصل إليها، وليس لدّي أي مانع في عقد ورش عمّل تثقيفية بالتعاون مع أكاديميي الجامعات لتثقيف الطالبات والطلاب»

❏ **عمان** – القراءة والاطلاع هما أفضل مصادر إلهامها، قرأت الكثير من الدراسات العلمية والبحوث لأشهر الشخصيات وفي مجالات مختلفة، ليساعدها ذلك على البداية في العمل الميداني لتخصص الكيمياء العضوية الفيزيائية، هي العالمة السعودية غادة المطيري التي كانت تقوم في طفولتها بادّخار جزء من مصروفها اليومي لتشتري الأجهزة الإلكترونية لفك رموز تركيباتها الداخلية، فقد تنبّهت حينها للحنين الفطري نحو العلوم الذي ظل يتبرمج في عقلها وهي تعيش سنواتها الأولى في صقيع أميركا، حيث كانت تلاحق الإلهام والإنجاز والإعجاز في بحوث شخصيات، وهي تتصفح سيرتهم ووجدت أنها لا تنسى البحوث التي تقرأ عنها رغم أنها لا تزال تدرس التعليم العام محاولة أن تستحدث في عقلها الأفكار وتخزّن معلومات عن كل ما قرأته، ولأنها سليلة أسرة علمية متعلمة مستلهمة، فأمّها أستاذة كيمياء وهي نجاة المطيري التي غرست حب العلم في غادة باكرا، والتي فتحت عينيها على أميركا ومعاملها وتقنياتها عندما كان والدها مطلق المطيري يطلق عنان فكره لنيل الدرجات العلمية في "إدارة العدالة".

الأم.. «المعلم الأول»

ولدت غادة في الولايات المتحدة عام 1982 حيث كان والدها مبتعثا هناك، ولكنها درست المرحلة الثانوية في السعودية، لتعود بعد ذلك إلى الولايات المتحدة لإكمال دراستها الجامعية، حيث تخرجت من جامعة أوكسيدنتال في لوس أنجلوس من كلية العلوم قسم الكيمياء، كما أتمت رسالة الماجستير في الكيمياء الحيوية من جامعة بيركلي في كاليفورنيا، وحصلت على درجة الدكتوراه في الهندسة الكيميائية في العام 2005.

لغادة المطيري ثلاثة إخوة ذكور وأخت واحدة، جميعهم من حملة الدكتوراه في أميركا والسعودية، وتقول إن الفضل يعود لأمّها نجاة المطيري التي نمت فيها وفي إخوتها مبدأ المسؤولية، فكانت رغم عملها وعلمها تعشق الجلوس بين أبنائها ولا تخرج إلا نادرا، ولا يمكن أن تحل الساعة السابعة مساء إلا وهي بينهم، مؤكدة أن والدتها التي كانت سراً من أسرار نجاحها وامتلكت خلطة سرية لتفوقها هي وأشقائها، الأم نجاة لم تلاحق العادات والتقاليد ولم تكن مطاردة لحفلات الزفاف حتى الفجر، إنّما كانت مستثمرة للوقت لجني ثمار سهرها وجدها وتعبها فخرجت بإنجاز خمس شهادات دكتوراه نالها جميع الأبناء الخمسة فكانت معلّمهم الأول.

تعمل غادة الآن أستاذة في جامعة كاليفورنيا في سان دييجو، فهي حصلت على جائزة الإبداع العلمي من قبل منظمة "إتش إي إن" لدعم البحث العلمي في الولايات المتحدة، حيث حازت على أفضل مشروع بحثي بالتنافس مع أكثر من عشرة آلاف باحث وباحثة.

أبحاث بالجملة

تقوم العالمة المطيري بالأبحاث والابتكارات بدافع داخلي وتصميم على تقديم شيء جيد للبشرية، فهي التي طلبت قبل 10 سنوات من جراحي القلب تحديد المشكلة الكبرى التي تواجههم، لتجد النسبة الكبرى أجمعت على أن المشكلة الأكبر هي انسداد الشرايين الذي يؤدّي إلى السكتات الدماغية، وتحديدا تراكم الدهون في جدران الشرايين مع التقدم في السن، ولكن المشكلة كانت أن المتخصصين في القلب لا يستطيعون تحديد هل هناك التهاب، خصوصا في المراحل المبكرة، وعملت غادة مع أخيها الطبيب المتخصص في عمليات التجميل، لإيجاد طريقة كيميائية جديدة لإزالة الدهون من الجسم.

تعاونت غادة المطيري في أول مشاريعها مع جامعة كاليفورنيا، حيث كانت مدته ثلاث سنوات، وهو مشروع تتطلع إلى أن تنتج من خلاله مادة تتميز بالمرونة والقوة وتساعد المباني على تحمل العوامل الطبيعية مثل الزلازل، ولم تكن المرة الأولى التي تعمل فيها في مجال غير الطب، بل سبق لها وعملت خلال عامي 2000 و2005 على تصنيع مادة بلاستيكية تتميز بالمرونة الشديدة كالعضلات وتخدم عدة مجالات في صناعة الروبوت مثلا، وهي مادة يستفيد منها الأطباء وروّاد الفضاء وحتى صناع الرسوم المتحركة.

مشروع المطيري يعتمد على جعل المباني أخفّ عبر ابتكار مواد خفيفة وقوية في نفس الوقت، ويتم تثبيتها ووضعها على الحديد بحيث لا تنفصل عنه وتمنحه مرونة عالية، وذلك ضمن التوجهات الهندسية المعمارية المبتكرة التي تعكف عليها الجامعة، فمجال عمل المشروع هو تطويع المواد الأساسية لخدمة الطب أو الهندسة أو أيّ مجال آخر.

ولكن غادة تركّز على استخدام المواد لخدمة المجال الطبي فهي تعمل حاليا بكاليفورنيا في مركز الأبحاث الذي ترأس فيه فريقا بحثيا يتكون من 13عالما من مختلف الجنسيات على ثلاثة مشاريع طبية أولها موضوع التطعيم، حيث أن هناك أمراضا لا يمكن التطعيم ضدها مثل الإيدز مثلا، لأن ميكانيكية التطعيم هي قتل الفيروس ثم إدخاله للجسم حتى يقاومه، إلا أن هناك أمراضا لا يمكن أن تجرى عليها هذه العملية، إلا أن المطيري بصدد إيجاد طريقة لذلك، بالإضافة إلى اعتزامها تغيير عملية التطعيم ذاتها من كونها تتم عبر استعمال الحقن إلى بخاخ عبر الفم .

مشروع المطيري الثاني يتمحور حول اكتشاف الأمراض مبكرا عبر رصد إشارات المرض، وفي هذا الصدد قالت المطيري في أحد لقاءاتها الصحفية "إن أيّ مرض قبل بدايته وظهور أعراضه بشكل واضح يتسبب للجسم بعدد من التغيرات الكيميائية، ونحن كفريق متخصص نتحدث مع الأطباء والمتخصصين حول هذه التغيرات ثم نصنع مواد تحدث تغييرا في بيئة المرض، بحيث نستخدم هذا التغيير ليعطينا إشارات لاحتمالية الإصابة بالأمراض المختلفة، وبهذا يمكننا توقع ماذا سيصيب أيّ شخص من أمراض بوقت مبكر".

مشروع العالمة السعودية الثالث أثار اهتماما دوليا أكثر من أيّ من الأبحاث الأخرى، ومن خلاله فإنها تعتمد على الخلايا الجذعية بحيث تؤخذ هذه الخلايا وتضاف إليها مواد وتشكل حسب ما يريد العالم، ويقول الخبراء إن هذه الفكرة تساعد في زراعة الأعضاء بحيث تضاف مواد على الخلية في وقت معين وبكمية محددة، فتنتج لنا خلايا كبد مثلا أو خلايا عضلة القلب أو خلية مناعية.

لا تتوقف أبحاث المطيري عند هذا الحد، حيث قامت إلى حد الآن بنشر أكثر من 25 رسالة بحثية، و ثلاث براءات اختراع، منها تطوير تقنيات تشخيصية باستخدام الضوء بدلاً من المبضع.

وتشغل حاليا منصب "أستاذ" في الهندسة النانوية وعلم المواد في جامعة كاليفورنيا سان دييجو، وتدير معملاً خاصاً بها قيمته أكثر من مليون دولار، وهي أيضاً مديرة مراكز التميز في طب وهندسة النانو بنفس الجامعة.

تلقت المطيري العديد من الجوائز والتكريمات أهمها جائزة معاهد الصحة الوطنية للاختراع، والتي أعطتها دعما لأبحاثها بقيمة 3 ملايين دولار أميركي، وتأمل العالمة السعودية في ربط معملها بنظرائه في المملكة العربية السعودية، ويكون حلقة وصل بين الجامعات الأميركية والسعودية.

مطالبة بارتداء حجاب

وقفت غادة مطلق المطيري على منصة منتدى التنافسية الدولي التاسع، الذي أقيم في الرياض في شهر يناير 2016، لتشرح جهودها في مجال الأبحاث الطبية، أمام المئات من الشباب السعودي والمختصين في هذا المجال، وتوضّح ابتكارها في استخدام الضوء بدلا من المبضع في العمليات الجراحية، ما جعل اسمها يظهر على لائحة المخترعين الجدد في أميركا، حيث استطاعت اكتشاف معدن يُمكن أشعة الضوء من الدخول إلى جسم الإنسان في رقائق تسمى "الفوتون"، بما يسهل معه الدخول إلى الخلايا دون الحاجة إلى عمليات جراحية، وبما يساعد على التحكم في أعضاء داخل الجسم دون الدخول إليه، كما يتحكم أيضا في وقت العملية، باستخدام نوع من الضوء من أسهل وأرخص أنواع الأشعة، يدخل إلى الجسم والأعضاء دون امتصاصه، فإذا كان هناك شخص ما لديه سرطان، يمكن عبر هذه الأشعة الدخول إلى منطقة المرض والقضاء على السرطان دون فتح الجسم وبلا ضرر.

وفي خطاب مفتوح وعبر العديد من المواقع الإلكترونية والإخبارية، طالبت المئات من نساء قبيلة مطير البروفيسورة غادة المطيري بالتوبة والرجوع إلى الله، ومناشدتها بعدم التبرّج والسفور لأن سر تميزها يكون في حجابها وعفافها، ردا على ظهورها في وسائل الإعلام السعودية والعربية أثناء تواجدها في العاصمة السعودية الرياض.

وجاء في الخطاب "لقد طالعتنا الصحف والقنوات الفضائية في الأيام الماضية بما حققته من إنجاز علمي، وقد سرّنا ذلك كثيرا إذ أننا نفرح بكل اختراع أو ابتكار يأتي من أيّ إنسان يخدم به الإنسانية، ولكن الذي أسفنا له وأحزننا كثيرا هو أن الطريق الذي سلكته للوصول إلى هذا المستوى العلمي جعلك تتخلّين عن تعاليم دينك الإسلامي، ولم تستطيعي الجمع بين الأمرين فقد خالطت الرجال ونزعت الحجاب وأقمت بين ظهراني المشركين وكل هذا مما يخالف أمر الله سبحانه وتعالى، ولا بد أن تعلمي أختنا الكريمة أن النجاح الحقيقي هو التمسك بالقرآن والسنة إذ أن الدنيا دار ممر إلى الدار الآخرة، وفي الآخرة يعرف الفائز من الخاسر".

واختتم الخطاب الموجه للعالمة غادة المطيري "اعلمي يا أختنا الكريمة أن الإسلام يدعو إلى العلم في كل المجالات ولكن دون أن تتخلى المسلمة عن دينها، وكم من امرأة صالحة في هذا العصر استطاعت أن تنجح في حياتها مع تمسكها بدينها وحيائها، وأقرب مثال على ذلك الدكتورة ريم الطويرقي عالمة الفيزياء التي ألقت خطابها في حفل نظمه معهد العالم العربي في باريس وجامعة أنتر ديسبلن وذلك بمناسبة العام الدولي للفيزياء، وقد كانت بحجابها ونقابها وقد كرّمت أثناء الحفل لأجل أبحاثها في هذا العلم فهي مثال رائع للمرأة المسلمة المتمسكة بدينها وحجابها، ولم يكن تمسكها بذلك عائقاً لها نحو التعلم والتميز والنجاح".

في حين رد الكثير من المثقفين السعوديين على الخطاب الأخير مدافعين عن غادة المطيري، واصفين إيّاها بالمفخرة السعودية، وأن عدم ارتدائها الحجاب لا ينقص من قيمتها العلمية والأخلاقية، وأن المسؤولين في المملكة العربية السعودية يقفون إلى جانبها، وأكبر دليل على ذلك هو استضافتها الرسمية في أرفع مؤتمر علمي سعودي، أما المطيري فقامت بتجاهل الخطاب وردت في مؤتمرها الصحفي بالقول "أتمنى أن أحظى بفرصة تقديم محاضراتي لفترة وجيزة سنويا في جامعات وطني الحبيب السعودية، لأشرح مدى أهمية البحث العلمي وقيمة الإنجازات العلمية التي تمّ التوصل إليها، وليس لديّ أي مانع في عقد ورش عمل تثقيفية بالتعاون مع أكاديميي الجامعات لتثقيف الطالبات والطلاب".

استخدام أشعة الليزر عن بعد

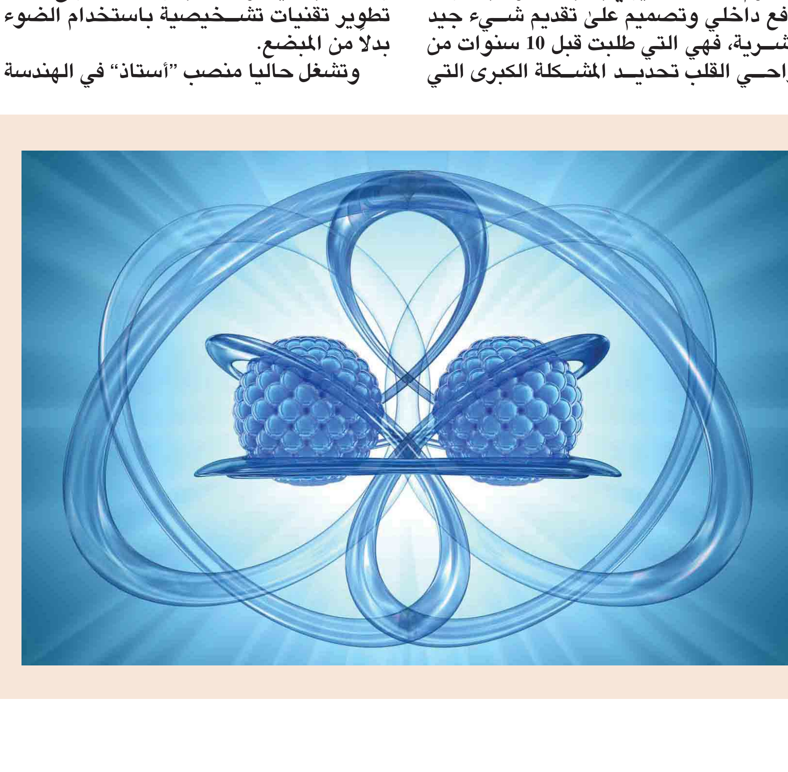

❏ اهتمام البروفيسورة غادة الأساسي هو إنتاج مواد نانوية جديدة لها خصائص فريدة يمكن تطبيقها في المجالات الطبية، و أحد أهم أبحاثها هو حول التحكم عن بعد في إطلاق مواد حيوية داخل الجسم حيث استخدمت أشعة الليزر الأحمر التي تنفذ من خلال الأنسجة الحية دون إيذائها، في هدم بنى مواد نانوية تحتوي بداخلها على مواد حيوية، كبروتينات مواد علاجية أو مواد تشخيصية، لا تتفاعل وهي بداخل تلك البنى النانوية، ولكن عندما يوجّه عليها أشعة الليزر، تتحرّر المواد في المناطق المحددة وتقوم بعملها، كما وصفت البروفيسورة غادة إنجازها بالقول "عندما أتممت هذه التقنية، لم أكن بعد قد عرفت كيفية تطبيقها في المجالات الطبية، ولكن لاحقا طرحت فكرة استخدامها لمعالجة التنكس البقعي عن طريق حقن الجسيمات النانوية التي تحتوي أدوية بداخلها ثم إطلاق الأدوية عن طريق إشعاع الليزر عن بعد، وأيضا عن طريق توظيف هذه التقنية في المجالات البحثية، حيث تمكّن الباحثون من دراسة التفاعلات الحيوية بأماكن معينة ودقيقة".

إحدى الأبحاث الأخرى التي عملت عليها غادة المطيري هي استخدام جسيمات النانو المكونة من الذهب في عمليات شفط الدهون، حيث تسخن تلك الجسيمات بمجرد تعرضها لليزر الأحمر وتسخن بشكل يمكن التحكم به بشكل بالغ الدقة، فلو تم حقن تلك الجسيمات في النسيج الدهني ثم تسخينها بشكل متحكم به لإذابة الدهون سيتم التخلص من الآثار الجانبية لعمليات شفط الدهون التقليدية، وأيضاً ستكون أسرع بكثير وتشد تلك الجسيمات البشرة بعد إذابة الدهون.

هوية مرسومة ورسالة من الذات إلى الآخر

الوشم
بين معانيه وشخصياته المتمردة!

علي سفر

❏ **اسطنبول** – كان لجدتي وَشْم ناعم في وجهها يقوم على نقاط دائرية في أسفل ذقنها، كما كان لجدي وَشْم آخر بين إبهام يسراه وسبابتها. الاثنان رحلا عن هذه الدنيا منذ زمن طويل. لكنني ورغم وجود صور قديمة لهما، أتذكر وَشْميهما قبل أيّ شيء، وكأن تلك النقاط الخضراء في وجهها وفي يده، قد انتقلت لتوَشْم ما يخصهما في عقلي مذ كنت صغيرا..!

في قريتي المتاخمة للبادية، شاهدت ريفيين كثرا وشموا أنفسهم بعلامات مازلت أحار في معناها، كما أن البدو الذين كانوا يأتون بمواشيهم ليرعوها في أراضي القرية، كانوا يحملون على وجوههم وأذرعهم وُشوما أكثر غرابة..! وهكذا كانت الرحلات الصيفية إلى القرية شرق مدينة السلمية في محافظة حماة السورية، تعني للصغير الذي كنته في جانب منها، جولات في عالم رسوم خضراء تزيّن ما يظهر من أجساد القرويين والبدو.

بعيدا عن هذا الفضاء كانت الوُشوم تختفي في المدن الكبرى، وبدلا عنها كانت هناك علامات نقوشية مبثوثة في زوايا دمشق المتعددة والمتنوعة. وكأن الحواضر المدنية لم تكن بحاجة لما يزيّن أجساد سكانها، بل كانت ومنذ نشوئها تحتاج إلى فضاء يريح أرواحهم، لتكتمل سعادة أجسادهم، فهل كان الجسد في الفضاء الريفي وما يعتريه مدخل لإرضاء الروح؟ لماذا كان الوَشْم منتشرا في الأرياف وغائبا في المدن آنذاك؟

المشاهدات التي أنقلها من سبعينات القرن الماضي، لم تبق تفاصيلها ثابتة دون تحوّلات، فالمدن السورية كما غيرها في العديد من البلدان العربية تريّفت، بينما بقيت الأرياف كما هي، لم تنمو كما يجب، وفقدت طيلة عقود سكانها الذين هجروها، وفي الطريق الذي سلكته أجيال من هؤلاء، كانت الوُشوم الريفية تسقط، وكأنها صنيعة أثرية، يجدر وضعها في المتاحف، أو على الأقل الركون لوجود أطيافها في ذاكرة بعض التعساء، الذين يحاولون التنقيب في إرث العلامات والرموز، وارتباطها بحياتهم ومشاعرهم، وكأنهم يقولون قول طرفة بن العبد في معلقته الشهيرة "لِخَولةَ أطْلالٌ ببُرقةِ ثَهمَدِ/تلوح كباقي الوَشْمِ في ظاهر اليَدِ".

الوشم: المعنى

أبسط تعريف للوَشْم يقول إنه "شكل من أشكال التعديل الجسدي ويتم بوضع علامة ثابتة في الجسم وذلك بغرز الجلد بالإبرة ثم وضع الصبغ عن طريق هذه الفتحات والجروح ليبقى داخل الجلد ولا يزول". ولكن الروائي المغربي وعالم الاجتماع الشهير عبدالكبير الخطيبي يتجاوز التعريف الإجرائي ويمضي بنا إلى مجازات يمثلها الوَشْم ويحتويها في آن معا، فيقول إنه "لباس مكتوب"، حيث لا يمكن فصل الكلمات عن الجسد..!

وللوَشْم أنواع عديدة في وقتنا الحالي، يمكن لمراجعتها توضيح ارتباط وجودها بغايات محددة في حياة البشر، فالطبيعي منه هو الذي ينشأ إثر جرح يتعرض له الإنسان فيتداخل مع لون ما يطلى به مكان الجرح فيبقى أثرا ثابتا على الجسد، أما التجميلي فهو ينتج عن فعل إرادي لرسم ملمح ما على الوجه كأن تقوم المرأة بوشم الحاجبين، وغير ذلك، أما الطبي فهو ينتج عن المعالجات الإشعاعية في بعض مناطق الجسم، حيث يؤدي تكرار تسليط الإشعاع على منطقة محددة إلى ظهور أثر دائم على الجلد.

أما وَشْم الهَوية، فهو النوع الأكثر عرضة للتحليل والدراسات، إذ يرتبط ظهوره كفعل يقوم به البشر، بارتباط المجموعات البشرية في زمن ما بـ"الطوطم"، أي الكيان الذي يمثل دور الرمز للقبيلة، وأحيانا يُقدس باعتباره المؤسس أو الحامي لها، والذي ترتبط به العبادة الطوطمية، التي تبنى على تقديس الطوطم، وعبادته، ومحاولة الاندماج مع وجوده المتخيل، وقد بدأت عملية الوَشْم من خلال الاعتقاد بضرورة أن يحمل كل فرد من أفراد الجماعة البشرية طوطمه معه، ولهذا يتم نقش صورته على جلد الإنسان لتختلط بدمه، وبما يحقق أعمق ارتباط ممكن بين الاثنين! وبالتأكيد فإن تعدد الطواطم واختلافها بين المجموعات البشرية، يعني بشكل أو بآخر تعددا بالوُشوم، ما يؤدي لأن يصبح الوَشْم رمزا لتحديد الانتماء. حيث يصبح لكل قبيلة وشمها الذي يدل عليها، يكفي النظر إليه ليتم تحديد انتماء من يحمله.

وشوم الموت

وتبعا لما سبق فإن استخدام الوَشْم ليكون أداة لتمييز الانتماء هو فعل نشأ بشكل طبيعي، ولكن البشر استخدموه بشكل متعمّد وقسري في أوقات لاحقة، إذ كانوا يَشِمون العبيد بعلامات تجارية بوصفهم بضَاعة يتم بيعها وشراؤها وتصديرها، وحين يُلقى القبض على عبد هارب كان الرومان يشمون جبهته بعبارة "أنا هارب"، وقد اتبع هذا الأسلوب في الأعمال الحربية، حيث كان يطلب قانونيا من الجنود الرومان وضع وشوم معينة على أيديهم، ليكون من الصعب إخفاء الشخصية في حال الانشقاق أو الفرار. وقد استمر استخدام الوَشْم في هذه الأعمال حتى قيام الإمبراطور قسطنطين الأول بحظر فعله على وجه الإنسان عام 330 ميلاديا. واستمر التوشيم في أمكنة أخرى من الجسم حتى قيام "مجلس نيقية الثاني" عام 787 ميلاديا بحظر رسم جميع العلامات على الجسد بسبب كونها ممارسات وثنية. ورغم ذلك استمر الوَشْم حاضرا في حياة الكثيرين ولا سيما أولئك الذين يحتاجونه من أجل تحديد هويتهم بعد موتهم، كالمقاتلين والبحارة وغيرهم.

غير أن أسوأ ما تحمله ذاكرة الإنسان عن الوَشْم جاء في أربعينات القرن العشرين، حين عمد النازيون إلى توشيم المعتقلين اليهود والغجر وغيرهم في معسكرات الاعتقال بأرقام وعلامات، حيث كان لكل سجين رقمه الذي يوشم به على ذراعه، فبحسب موسوعة الهولوكست؛ قام النازيون بتمييز السجناء الذين كانوا في المشفى أو الذين كان سيتم إعدامهم برقم تسلسلي في المعتقل، يوضع على الصدر بحبر لا يمكن إزالته. وعند إعدام السجناء أو موتهم بطرق أخرى، كان يتم التخلص من ملابسهم التي تحمل الرقم التسلسلي. وعلى افتراض كثافة معدل الوفيات في المعتقل ومع نشاط التخلص من الملابس، لم يكن هناك طريقة لتحديد الجثث بعد إزالة الملابس عنها. ولذلك قام السجانون بوضع الوشوم المرقّمة بغرض تحديد الجثث الخاصة بالسجناء المسجلين الذين لقوا حتفهم!

النوع الأخير من الوَشْم تصنيفيا هو التزييني أو ذاك الذي يغيّر في صورة الجسد الإنساني، وهذا النوع يقسم إلى جزأين، الأول ويحتوي محاولات الأفراد لإنشاء علامة ما على أجسادهم، كأن يكتب اسم حبيبته أو أمّه أو أيّ شيء آخر، أو أن يكتب اسم نجمه المفضل أو اسم قائده، بطريقة بسيطة دون عناية، وهذا النمط منتشر كثيرا في المناطق الشعبية، والريفية على العموم. والجزء الثاني الذي يقوم بتنفيذه فنانون محترفون، بناء على طلب الأشخاص، الذين يرغبون بوشم أجسادهم بعلامة محددة، وهذا النمط من الوُشوم هو السائد في عالم الشخصيات العامة.

فلسفة الوشم

بين سبعينات القرن الماضي وبين وقتنا الحالي، تحول الوَشْم من علامة شخصية، إلى موضوع عام يحمل بذاته قوام الشخصية التي تنطق عن صاحبها، فقد بات عنصرا حاضرا في حياة أفراد المجتمع، لا سيما وأنه صار ضمن حمولة ثقافية عولمية ضخمة تنتشر بين البشر، الذين باتوا يتواصلون مع بعضهم، ويتناقلون الأنماط السلوكية ذاتها، وعليه فإنه حين يحال موضوعه إلى مجرد مسألة جمالية كيفية، فإن الإحالة تبدو قاصرة عن الإحاطة بما يطرحه في سياق العلاقة بين الجسد وبين محيطه، وهنا يقترح علينا الباحث إبراهيم محمود الحديث عمّا أسماه بـ"التاتولوجيا: علم الوَشْم" إذ نجده يقول "لأنّ ثمة وقائع حية موزعة، تستدعي تكثيف الجهود للوقوف على هذا المتحوّل تاريخيا، وكيف يشكل سلعة محمولة ومرئية متداولة بالمعنى الرمزي هنا وهناك. وفي سياق التأريخ للوَشْم، جائز هذا القول الذي يؤصّل للوَشْم كقيمة اجتماعية من خلال قائمة متداخلة ومعقدة في بعض الأحيان، من الشعائر والمعتقدات والمناسبات في مجريات الحياة اليومية لهذه الجماعة أو تلك، مثلما يؤصّل له كقيمة ذريّة، أو انشطارية أكثر فأكثر كلما تقدمنا صعدا، فيختلف المودَع قيمة ودلالة فيه بحسب الأشخاص".

وبحسب الباحث فإن "الفنانين ونجوم السينما، والرياضيين، يعتقدون أن اتكاء ما، على وَشْم يتم اصطفاؤه أو ابتداعه كفيل بإضفاء صفة تمايزية عن أيّ منهم، فالنجومية تمثل التيار الأكثر صخبا في بلبلة مفهوم الوَشْم، لأن ثمة تصورا مركبا يتركز على الوَشْم، من ذلك وجود تلك القناعة الذاتية لدى الفنان النجم أو الرياضي الموشوم، على أنه بالفعل يختزن دفقا كاريزميا يعلي مقداره، وكون الوَشْم المعرَّف به يدخله في سياق الموضة، أو الاستعراض المفعَّل في أوساط شبابية أكثر من غيرها، ولأن ثمة رغبة تمايزية يجلوها الوَشْم وليس سواه".

إحدى النساء العاملات في مهنة الصحافة قامت بوشم عدة أمكنة بجسدها، تُحدثنا عن رؤيتها الخاصة للوَشْم فتقول "نظرتي للوَشْم تقوم على أنه جزء من شخصيتي، أحب أن يراه الناس على جسدي، ولهذا فإنني وضعته في أمكنة ظاهرة، إذ كلما كان مكانه مكشوفا أمام العيون كانت الشخصية أوضح، والوَشْم يبنى على كينونة حرّة لشخصية الموشم، ويؤشر إلى ثقة بالنفس، إنه رسالة من الذات إلى الآخر، بأن هناك فكرة ما أو جوهرا أو رؤية حياتية محددة يجب أن يعرفها عنّي. ولهذا فإن الوُشوم التي يرسمها البعض على المناطق الحساسة والمخفية من الجسد، بناء على رغبة الآخر، أو إرضاء لنزعاته، تشكّل فعلا يتضاد مع معنى الوُشوم الظاهرة، فهذه الأخيرة تعني الحرية، بينما تعني تلك المخفية انقيادا وأسرا وعبودية لرغبة الآخر، وبالتأكيد أنا لا أريد أن أربط جسدي بشخص ما، لأنه جسدي أنا..!".

> حضور الفن التقليدي كمادة ضمن حمولة الوشْم العامة في وقتنا الحالي، بات أكبر من مجرد عملية نقل للوحة من عالم القماش والزيت أو الورق إلى عالم جلد الجسد الإنساني، ليكون فعلا تبادليا بين المنجز في الماضي وبين الرؤية المعاصرة لحضور الوشم بوصفه فعلا مغايرا

وبالعودة إلى رؤية الأديان لفعل الوَشْم، فإنه فضلا عن تحريم الكنيسة له، فإن الإسلام واليهودية قد وضعا موانع شرعية أمام من يرغبون بتغيير صورة أجسادهم، ولهذا فإن فعل التوشيم الظاهري يصبح نوعا من المخالفة التي تنطوي على محاولة انعتاق ديني ومجتمعي في آن ما، لا سيما وأنه في العديد من البيئات التقليدية المحافظة يلجأ الشباب إلى رسم الوُشوم على أجسادهم في مناطق غير ظاهرة، وبما لا يحقق اكتمالا لفلسفة الوَشْم، بوصفه كلاما على صفحة الجسد..!

أيقونات الوشم

❏ يمكن تأطير علامات الوَشْم التقليدية، ضمن الإطار الاجتماعي الذي تتداول فيه، إذ رغم تحريم الأديان له، إلا أن الوُشوم الدينية حاضرة على الأجساد كنمط تقليدي، كما أن البيئة الحربية، ذات الطبيعة الصراعية المحتدمة، تجعل من العلم الوطني كمثال أيقونة حاضرة أيضا في سياقها، كما أن تقسيمات الصراعات والفرز التي تنطوي عليه تدفع بالأيقونات الدالة على المتصارعين، لأن تكون جزءا من صراع سيميولوجي يبنى على هذه المادة..! غير أن علامات الوَشْم غير التقليدية، والتي باتت شائعة جدا في وقتنا الحالي، تتميز عن غير التقليدية بأن منطلقها ومنتهاها يبنى على رغبة وقرار شخصي غير مرتبط بدوافع عامة، وضمن هذا المسار يمكن التمييز بين نوعين من الوُشوم، نوع لا يحمل قيمة فنية خاصة، متكرر وسوقي، ويمكن ببساطة إحالته إلى عالم الكيتش (الفن الهابط)، ونوع آخر يحمل خصوصية فنية من نوع ما، يختاره الشخص بناء على ذائقة مختلفة تبتعد عن السائد، وعليه فإننا قد نجد وَشْما قوامه جملة شعرية ما، أو صورة لوحة فنية، يرتبط وجودها على الجسد الموشوم بذهنية وأفكار صاحبه.

ولكن حضور الفن التقليدي كمادة ضمن حمولة الوَشْم العامة في وقتنا الحالي، بات أكبر من مجرّد عملية نقل للوحة من عالم القماش والزيت أو الورق إلى عالم جلد الجسد الإنساني، ليكون فعلا تبادليا بين المنجز في الماضي وبين الرؤية المعاصرة لحضور الوَشْم بوصفه فعلا مغايرا، وهنا يقترح علينا المصمم والمصور الفرنسي نيكولاس أميارد سلسلة من اللوحات الفنية الكلاسيكية الشهيرة بعنوان "فن الوَشْم"، فقد قام بوشم الشخصيات المرسومة فيها، ضمن تجربة تستحق التأمل، طالما أنها ترى بأن ماضي الفن لن يكون كاملا إن لم يتم توشيم الأجساد التي ربضت فيه. رغم أن أغلب الوُشوم التي رسمها على هذه اللوحات تبدو من النوع الهابط الذي لا يحمل أيّ قيمة فنية بذاته.

● الوشم تحول من علامة شخصية، إلى موضوع عام يحمل بذاته قوام الشخصية التي تنطق عن صاحبها

زوجة الشاعر التي يطاردها شبحه

هيلين الخال
الرسامة التي كتبت أجمل النصوص

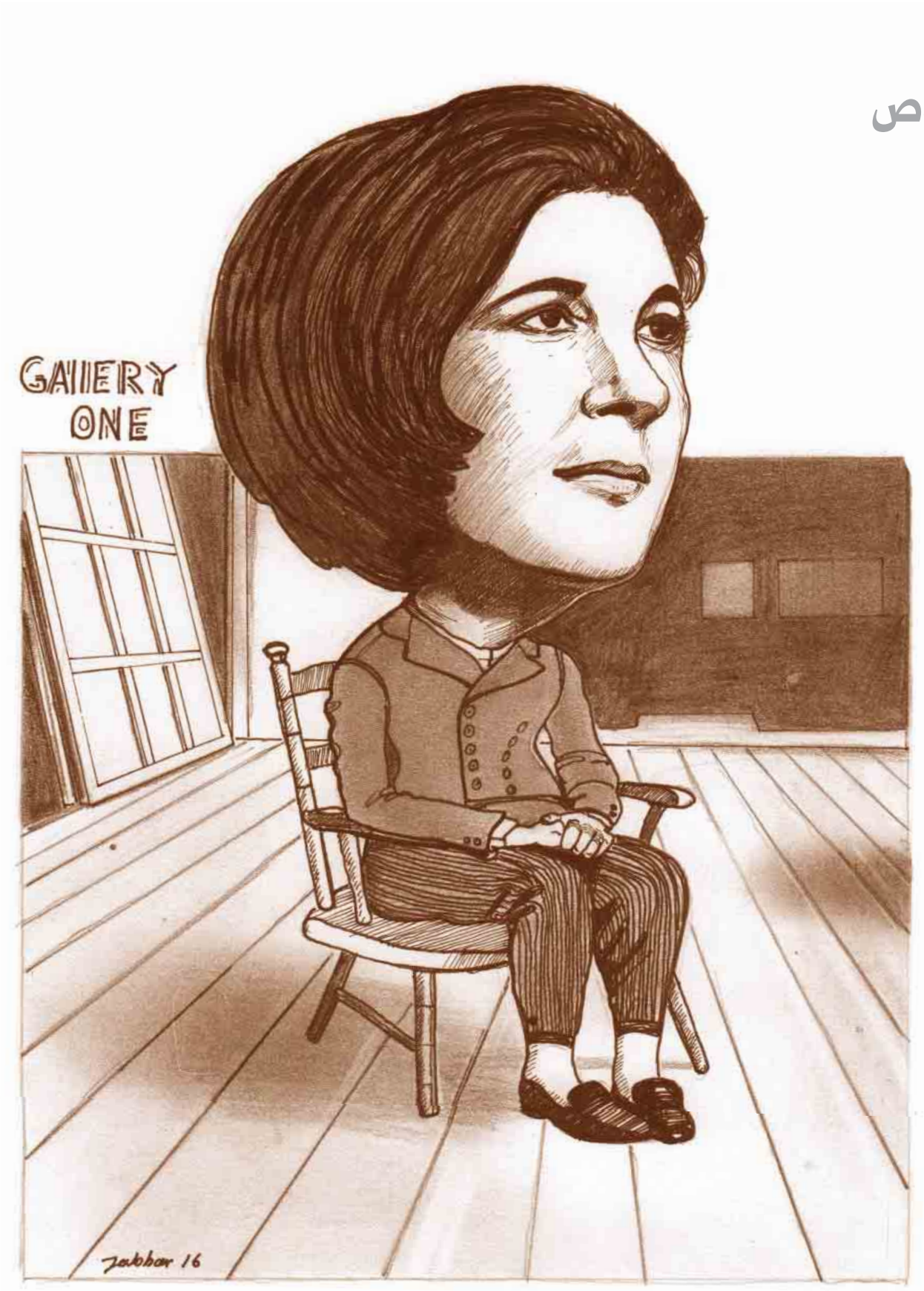

فاروق يوسف

> عقدة «زوجة الشاعر» كانت قد أربكت حياتها بعد أن أنهت حياة هيلين الزوجية. فكانت مضطرة إلى أن تعلن في كل مرة تتكلم فيها أنها لم تعد تقيم في الماضي. ولأن يوسف الخال لم يكن شخصا عاديا فقد لجأت هيلين إلى هدم أسطورته من خلال التقليل من قيمة شعره

❏ **لندن** - لو أنها كانت افتتاحية عصر فنّي فستكون واحدة من أهم رموزه. انتمت إلى ستينات القرن الماضي بالرّغم من أنها عمرا تُحسب على جيل الرواد المؤسسين لتيار الحداثة الفنية في لبنان.

المرأة التي رسمت لتكون صلة وصل بين جيلين وكتبت لتقوم برحلة اكتشاف في ما هو أنثوي في الفن. لا يزال كتابها "النساء الفنانات في لبنان" بمثابة سجل فريد من نوعه يؤرخ لمساهمة المرأة في تحديث النظرة العربية إلى الفن والتفكير فيه.

أمّا حين أغنت خيال الأنوثة باقتراحاتها النقدية فإنها انتقلت إلى المشهد الفني العام الذي تلمّست الطريق إليه عبر تحليل تجارب 82 فنانا لبنانيا من مختلف الأجيال، من غير أن تنحاز لأسلوب فنيّ بعينه.

انفتحت من خلال "غاليري وان" وهي القاعة الفنية التي أقامتها في بيروت عام 1963 على الفن العربي، فكانت تلك القاعة بمثابة الرئة التي تنفست من خلالها بيروت هواء المغامرة العربية الجديدة في الفن.

لم تكن هناك في بيروت قاعة لعروض فنية بمعايير الاحتراف قبل غاليري وان. غير أن الأهم أن تلك القاعة صنعت من بيروت ولو لأمد قصير عاصمة للفن العربي الحديث.

الرسامة والكاتبة ومديرة الصالة الفنية كانت في الوقت نفسه زوجة شاعر كبير. وهو ما أثقل كاهلها بالكثير من التكهنات التي سعت إلى تكذيبها، وصولا إلى اعلان براءتها من كل ما يتعلق بالإيمان بموهبة زوجها الشعرية الذي كان بحق (بابا) الشعر الحديث في العالم العربي.

هل كانت هيلين خطأ ارتكبه يوسف الخال حين استقدمها من نيويورك زوجة له فإذا بها تتمرد عليه بعد سنوات لينبّ غضبها منه على ريادته الشعرية؟

غير أن ما لا يمكن لأحد إنكاره أن تلك المرأة كانت رسامة وناقدة حقيقية.

الرسامة التي أصبحت زوجة لشاعر

ولدت هيلين الخال في ولاية بنسلفانيا الأميركية عام 1923 لوالدين لبنانيين مهاجرين من طرابلس. في الثانية عشرة من عمرها تعرفت على الرسم حين جلست موديلا في قاعة لتعليم الرسم. أما حين بلغت العشرين من عمرها فإنها ارتبطت بالرسم بطريقة مختلفة. يومها أقعدها المرض فصارت تجد في الرسم تسليتها الوحيدة. رسمت يومها صورة شخصية لأخيها. حين عادت إلى بيروت برفقة والدتها عام 1946 التحقت بالأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة (البا) ودرست الرسم لسنتين إلى جانب شفيق عبود وفريد عواد وإيفيت أشقر وميشال بصبوص وسواهم من الفنانين الذين قدر لهم في ما بعد أن يكونوا سادة المشهد الفني في خمسينات وستينات القرن الماضي. حين عادت هيلين إلى نيويورك استأنفت دراستها للفن لتعود عام 1960 إلى بيروت في ما بعد فنانة برفقة زوجها يوسف الخال الذي كان قد أصدر قبل سنوات مجلة "شعر" التي كانت رائدة في تبنّي تحولات الشعر الحديث التي بدأت في العراق. في عام عودتها إلى بيروت أقامت أول معارضها الشخصية. بدأت هيلين عام 1966 بالكتابة عن الفنانين اللبنانيين والعرب بالإنكليزية وهي المقالات التي شكلت مادة كتابها "رنين" الذي صدر بعد وفاتها عام 2009. أما كتابها الأول "النساء الفنانات في لبنان" فقد ألّفته عام 1976 يوم كانت تعلّم الرسم في الجامعة الأميركية ولم ينشر إلا في عام 1987 من قبل معهد دراسات المرأة في العالم العربي بالجامعة نفسها. هيلين لم تكن لبنانية تماما بسبب لغتها الإنكليزية في بلد، لغته الثانية هي الفرنسية. غير أنها لم تكن ترغب في أن تمثل دور المستشرقة حين كتبت عن الفن العربي الحديث كما عرفته من خلال ما عرضته في قاعتها من أعمال فنية عربية.

روح اللون التي تقود إلى التجريد

انتقلت هيلين الخال من التشخيص إلى التجريد بيسر شديد. كان اهتمامها بتفاصيل الجسد قد قادها إلى تأمل ما لا يُرى من تلك التفاصيل، فكان ذلك فاتحة للاستغراق في ما لا يمكن تشخيصه. تقول الفنانة وهي تصف طقسها في صناعة اللوحة "بداية أفتّش عن نظام داخلي في اللوحة. ومن ثم ألجأ إلى السيطرة عليه من خلال مشاهدة العين ثم تحديد اللون الذي يحمل في داخله روحا وحركة. كالإنسان الذي يملك روحا فإن للون روحا. حينها يستطيع اللون أن يتكلم وحده. وهذا هو هدفي في الفن التجريدي".

هيلين التي تبدو من خلال كلامها السابق منحازة إلى الفن التجريدي الذي ختمت به مسيرتها الفنية كانت قد جرّبت الرسم متأثرة بالانطباعية والتعبيرية والتكعيبية من أجل أن تصل إلى ذاتها. ما لم تكنه هيلين في رسومها كانته في حياتها. في وقت مبكر من حياتها أتيح لها أن تعلن عن موقفها المتمرد على الرسم التقليدي. ذلك لأنها كانت مديرة غاليري وان. وهو الغاليري الأول في بيروت، بل وفي العالم العربي وهي في الوقت نفسه زوجة بابا الشعر العربي الحديث. ولكن هيلين لم تأبه كثيرا حين أغلقت قاعتها الفنية وانفصلت عن زوجها. كانت أقوى من أن تكون تابعة لأحد ولم تكن الخدمات التي قدمتها للفنين اللبناني والعربي إلا جزءا عارضا من مسيرتها الفنية. ما فعلته هيلين الخال بعد أن أغلقت أبواب قاعتها وانفصلت عن زوجها كان الأهمّ في حياتها. لقد أقامت العديد من المعارض الشخصية في العالم كما أنها ألقت محاضرات الفن في العديد من الجامعات العالمية.

كتابها "رنين" الذي لم تره، ذلك لأنه صدر بعد وفاتها يكشف عن تلذذها في الكشف بحميمية عن ذاتها التي تتلصّص بحب على ما يقوم به الآخرون. لم تكتب عن فنان إلا لأنّها أحبّت أعماله. ربما رغبت في تشجيع ذلك الفنان، غير أنها في الوقت نفسه كانت ترغب في التعلم منه.

شبح زوجة الشاعر

لم تتخل هيلين عن لقبها الذي اكتسبته بسبب الزواج. كانت دائما هيلين الخال. غير أن عقدة "زوجة الشاعر" كانت قد أربكت حياتها بعد أن أنهت حياتها الزوجية. فكانت مضطرة إلى أن تعلن في كلّ مرة تتكلم فيها أنها لم تعد تقيم في الماضي. ولأن يوسف الخال لم يكن شخصا عاديا فقد لجأت هيلين إلى هدم أسطورته من خلال التقليل من قيمة شعره. حرب لم تكن متكافئة. ذلك لأن الخال وقد طواه الموت لم يكن قادرا على الدفاع عن نفسه غير أنّ منجزه الثقافي كان أقوى من أن تهده أفكار امرأة، ترغب في الانتقام منه شخصيا.

ربما سعت هيلين من خلال هجومها على المنجز الإبداعي لزوجها السابق إلى أن تؤكد استقلالها. وهو ما لم تكن في حاجة إليه. ما أنجزته الفنانة التي توفيت عام 2009 في مختلف مراحل حياتها يؤهلها لكي يبعد عنها شبح زوجة الشاعر الذي تخشاه.

هيلين الخال الرسامة والكاتبة هي أكبر وأهم من زوجة (بابا) الشعر العربي الحديث.

● هيلين الخال المرأة التي رسمت لتكون صلة وصل بين جيلين. انتمت إلى ستينات القرن الماضي بالرغم من أنها عمرا تحسب على جيل الرواد المؤسسين لتيار الحداثة الفنية في لبنان.

حملة الأقلام وحملة التوابيت

هل جددت العواصف أسئلة الثقافة العربية

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❏ ما جرى على الأرض العربية، ومازال يجري، مهول في صوره وأخباره، هزّ شجرة الفكر العربي ورجّ الرؤوس بالأسئلة وأصاب الوجدان بجروح غائرة يبدو أن لا شفاء قريباً منها. فهل إن هذا الشيء العظيم الذي ارتج له الشرق، وتشظت صور مأسيه حتى بلغت العالم شرقاً وغرباً، قد جدد في شيء أسئلة الثقافة العربية، بعدما أصاب من وجود العرب ووجدانهم ما أصاب.

أهو سؤال مبكر، أم سؤال متأخر؟

هل أسقطت العاصفة الأوراقَ الصفراءَ في شجرة الأسئلة؟ هل جدد نهر الدم في تطلعات المثقفين، هل أضافت المحن بعظائمها سؤالاً جديداً جامعاً يلهم المفكرين والمبدعين ويحرّضهم على الذهاب أبعد في مغامرة الرؤية والكتابة والموقف، بما يمكن أن يخلق حالة وعي عربي يزحزح صخرة الحاضر عن أفق المستقبل.

***

قبل زلزال السنوات الخمس كنا قد ظننا أن زمن الميوعة العاطفية والصوت المتضخم، والأنا المتعالية إلى درجة الألوهة انتهى، وانتهت معه قصيدة "المتنبي الحديث" البائس المتورّم، لصالح قصيدة الشاعر الإنسان ابن الأرض، وابن المدينة، المتسلح بطاقة خلاقة تمكّنه من خوض مغامرة أنضج مع اللغة، تتلمس العالم، مشتملا على المرئي وما وراءه، مدفوعة بشغف إعادة اكتشاف الحواس والرؤى والميول ومعها اللغة التي تكتب الذات في عالم لم يعد بالإمكان وصفه بالبساطة. لا أتكلم، هنا، على تجارب شعرية أفصحت آثارها عن حذلقات لغوية ولا على رطانات الشعر اليومي وتبذله، وإنما على صنيع شعري مختلف يتيح للشاعر أن يمتلئ بفكرة أنه "يمشي بين الأيام ووراء الأيام"، وأن لديه بلاغة حديثة إنما هي ندّ للبلاغة القديمة، التي استمرت تأسر الشاعر العربي الحديث وميوله من أحمد شوقي وحتى شعراء الموجة الأولى من موجات شعر الحداثة في أربعينات وخمسينات القرن الماضي.

في عرف الشعراء الجدد يتولد اليوم يقين بأن الطبعة العربية الواحدة للحداثة قد هلكت، وخرج من حطامها شعر حرّ منفتح على عالم شاسع يأبى أن يُؤسر، أو يقنّن استناداً إلى مفاهيم للشعر صدرت عن تجارب سبقت.

***

ولطالما رأيت في كتابات عن الشعر أن معضلة تاريخ الشعر العربي أنه يحفظ لنا، إلى جوار السطور الشعرية العظيمة التي احتجب شعراؤها، شعراء يتقدمون على قصائدهم. في العصور الحديثة يبدو الشاعر المتفوّق على قصيدته، المتهافت بشخصه على الضوء، أشبه ما يكون بمتسول بائس يعتاش على الاسم، بينما قصيدته تنتحب في الظل!

إنه شخص يستثمر إرث الشاعر النبوي، الشاعر الناطق باسم جماعة، أو ثقافة، أو فكرة، الشاعر الأسطع من شعره.

هناك، بيننا إلى اليوم، شعراء أنانيون إلى درجة تستدعي الشفقة، وهؤلاء هم، غالبا، أشخاص مضطربو الدواخل، يشكّون في قدرة نصوصهم على البقاء، فإذا بهم يكثرون من الكلام الكبير عن الخلود، ومن الكلام الطائش عن "موت الشعر" و"موت اللغة"، و"موت البلاغة"، و"موت المعنى" في الآثار الجديدة. ولعل إلحاحا كهذا على مفردة الموت إنما يعكس، سايكولوجياً، أزمة شعور مفرط به عند هؤلاء الشعراء. إنهم أشبه بحملة توابيت ومؤبّني موتى منهم إلى مغامرين أحياء في أرض الشعر.

والمثير للتأمل أكثر من أيّ شيء آخر مع هؤلاء الشعراء هو تلك العقدة التي تشي بها خطاباتهم، وأعني بها، ما سبق وأطلقتُ عليه في كتابات سابقة لي "عقدة قتل الابن" بين دوافعها، بالتأكيد، ضرب مرير من اليأس من المستقبل. إنه مسّ من جنون العظمة، ولوثة من بطريركية مُهلكة أصابت الشاعر، لتعكس استسلاما محزنا إلى بطريركية اجتماعية وسياسية أبّدت نفسها في مجتمع شرقي لم يتخلّص من طبائع الاستبداد. فهل يليق بشعراء كهؤلاء أن يقرن شعرهم بفكرة الحرية التي طالما قرن بها الشعر الحديث، وقرنت بها الآثار الأبية للحداثة؟

في وسع شعراء ظهروا قبل شعراء أن يعتبروا اللاحقين عليهم أبناء لهم، لكن المسألة ليس مسألة رغبة، فإذا لم تتأكد هذه الأبوّة عبر روابط جمالية وفكرية حقيقية تتجلى في النصوص ويمكن العثور عليها في المغامرة الشعرية، فلا قيمة لمثل هذا الادعاء، بل إنه يتحوّل إلى شيء فكاهي: أب يفتش عن ابن يتبناه! هذه واحدة أخرى من عوارض مرض، بطاركة الشعر الفانين، بفكرة الخلود.

لعل فكرة أن الجيل لا ينتهي إلا بموته الجسدي هي فكرة صحيحة إلى حد كبير. لكن المحزن في ثقافتنا العربية أن تموت الأرواح وتبقى الأجساد تتحرك سابحة في فلك يوهم بالحياة الخالدة.

يجب أن نعترف أن نوعا من التناكر الغريب يحكم العلاقات بين الأجيال الشعرية العربية، لم ينج منه، على المنقلب الآخر، بعض أفضل الشعراء الجدد من ذوي التجارب المؤثرة.

* تخطيط: ساي سرحان

***

بعض ما يحملني على هذا التوصيف النقدي الجارح هو تلك الاتهامات الباطلة التي تصدر، بين وقت وآخر، عن شعراء يبست عروق شعرهم، والتي تكيل للأصوات الشعرية الجديدة ذات التجارب المؤثرة تعريضا بنقائصهم، لا سيما ما يقال عن "نقصان الخبرة الوجودية" لديهم. هذه الاتهامات وغيرها تبقى متوقّعة في منعطفات يموت فيها شيء ويولد شيء آخر. إنما هي تسمّم فضاء الشعر، وتكشف حقيقة أن مطلقيها يعانون من أزمات نفسية أليمة، وما كلامهم المجازف بالحقيقة، والمتجنّي على الجمال الشعري الجديد سوى ضرب من بلاغة التعبير عن الاحتضار. فالرقعة الشعرية العربية عريضة وهائلة وتشير إلى خصوبة أرض الشعر، وإلى إمكان تعايش الجماليات المختلفة، بل والمتناقضة. طالما كانت الثقافة الشعرية العربية على امتداد قرون قابلة للتنوع وجدل الاختلاف.

وما أظنّ إعراض البعض عن الأخذ به، اليوم، إلا تعنّتا لا يسنده تاريخ الشعر ولا حتى بأمثولة واحدة قيّمة. فحتى ما يسمّى بعصور الانحطاط العربي كانت هناك مساحات للاختلاف وتعايش الاتجاهات ولقاء الأساليب بين الشعراء والأدباء، وربما تعدّد الرؤى والتطلعات.

ولو نحن ضربنا صفحاً عن القلة الخائفة من الجديد، فإن الكثرة من الشعراء الأذكياء تتلقى الآثار الشعرية الجديدة، على ألوانها المختلفة، بفرح وصفاء وبشيء كبير من القدرة على التمييز والاغتناء. هناك، إذن، ما يموت، والموت حق وجودي، ومن طبع المحتضر أن يتحشرج.

***

نخلص إلى استنتاج مفاده أن عدم القدرة على المشاركة والحوار والإقرار بوجود الآخر المختلف في الثقافة الشعرية العربية، لهو ضرب من التلوّث بالذات ووقوع في شرك فرادتها القاتلة، وهو من عوارض ثقافة الاستبداد. أما الموت كما عنيته بوصفه حقاً، فهو شيء لا يمكن لأمنياتنا أن تمنع وقوعه، بل إنه شرط من شروط التطور، وعلامة من علامات الحيوية في الثقافات الحية.

وإن كان بعضنا يعتقد أن "جديد" بعض الشعراء كفّ عن أن يكون مبتكرا ومبدعا، فإن ذلك لا يطال بحال جديده القديم الذي ولد في سياق وتاريخ مختلفين، ولربما يبقى حاضرا في الذائقة المعاصرة.

***

أعود إلى السؤال الأول، عمّا إذا كانت عواصف زمننا قد عصفت بأفكارنا وقناعاتنا، كما عصفت بوجداننا الجماعي وتركته مضرّجا بدم الحاضر؟ ما من دليل يقود إلى إجابة شافية إلا ونجده في تلك الآثار التي تترى اليوم حاملة رسائلنا وخطاباتنا عن حاضرنا الدامي، وقراءتنا للحال، وتطلّعنا نحو مستقبل عربي مختلف. ولعل في ما أقبلت "الجديد" على نشره، حتى الآن، بعض ما في قلق الروح والفكر، وكثير من اعتمالات الوجدان في انفعاله الأرقى دفاعا عن وجود أمّة يراد لها أن تصير حطاما بين الأمم. وهو، بالتالي، فعل دفاع ومقاومة حضاريان أدواتهما أقوى ما جمع العرب وجعل منهم أمة تليدة: اللغة والرؤى والموقف والخيال.

* افتتاحية عدد آذار / مارس من «الجديد» وتنشر بالاتفاق مع المجلة

> هل أسقطت العاصفة الأوراق الصفراء في شجرة الأسئلة؟ هل جدد نهر الدم في تطلعات المثقفين، هل أضافت المحن بعظائمها سؤالاً جديداً جامعاً يلهم المفكرين والمبدعين ويحرضهم على الذهاب أبعد في مغامرة الرؤية والكتابة والموقف، بما يمكن أن يخلق حالة وعي عربي يزحزح صخرة الحاضر عن أفق المستقبل

التأمل في واقع دموي

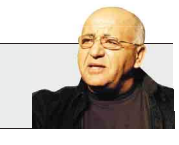

سلمان ناطور
كاتب من فلسطين

❏ ماذا يكتب الروائي في لحظة الدم؟ السؤال الذي يسبق هذا العنوان: هل ينتظر الروائي في الكتابة إلى أن يجري الدم ويختفي؟ تاريخنا العربي دموي، وسيظل هكذا ما دام قول أبي تمام "السيف أصدق إنباء من الكتب"، دستورًا في حياتنا ومصدر وحي وانتصار على عمورية. ولو انتظرنا إلى ما بعد الدم لما كتبنا رواية ولا وصفنا حالة. والمأساة في حياتنا، نحن الكتّاب العرب، أننا لسنا مرفهين بحيث نكتب عن الحدث في زمن ما بعد الحدث ولا نملك الوقت والخيال لإعادة إنتاج واقع دموي متخيّل خارج دائرة العنف والموت الواقعيين، والواقعيين جدًا جدًا. أتمنى لو أنني أستطيع الكتابة روائيًا في خلق ووصف حالة عربية إنسانية تخلو من كل الإشارات والرموز التي تدل على عنوان عربي. أن أكتب عن دكتاتور بلا هوية محددة إلا صفة القمع والقتل ولا يحضر في مخيلتي أثناء الكتابة دكتاتور عربي لا يزال على عرشه أو استبدل بآخر في السنوات الخمس اللعينة الأخيرة أو قبلها وأخشى مما بعدها. في هذه الحالة تشدني الكتابة نحو اختزال عناصر الدكتاتور في الرواية بشخص محدد فتفقد الكتابة بعدها الإنساني المطلق والكوني. هذه الحالة من اغتصاب الواقع للكتابة تقود إلى الكتابة الروائية التسجيلية أو التوثيقية التي تكتسب شرعيتها الفنية من لغتها وصياغتها وعمق النظر إلى المشهد الدامي.

أنا أميل إلى هذا النوع ليس فقط في ما أكتب بل أيضا في ما أقرأ. في زمن الدم يحق للروائي أيضًا ألا يكتب. هو بحاجة إلى التأمل في الواقع الدموي، إلى معايشته بمشاعره وأحاسيسه وإلى وقت وجهد للبحث عن الزاوية التي يريد أن ينظر منها إلى واقعه. يحق له أيضًا أن يتأنّى في الكتابة لكي يحضر في ذهنه ووجدانه ايقاع الكتابة. فالزمن الدموي له إيقاع يختلف عن أيّ زمن آخر. هو صاخب وصارخ وهمجي وفوضوي والكتابة فن السلاسة وتتابع الصور والمشاهد بمنطق وانتظام وضرورة. في زمن الدم يحق للروائي أن يعفي نفسه من الكتابة الروائية لكي يتجند بجسده وروحه في المعركة لوقف الزمن الدموي. عليه ألا يفعل ذلك اضطراريًا بل اختياريا بإرادته وقراره. لا أن يساق إلى المعركة، بل يندفع إليها، وبهذا يغني تجربته ويشحن مشاعره ويرهف أحاسيسه وعندما تحين لحظة الكتابة يندفع إليها أو تدفعه هي كشلال أو كنبع منفجر.

الكتابة في زمن الدم أولًا لوقف شلال الدم، ثم تأتي عناصر الرواية.

* تخطيط: ساي سرحان

* المنشور هنا هو آخر ما كتبه الراحل وخص به "الجديد". ويدور حول "ماذا يكتب الروائي في اللحظة الراهنة، لحظة الدم.". والنص ينشر بالاتفاق مع المجلة.

ترياق النفوس الموجوعة

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ الكتابة عمل متفرد يكشف عن الخصائص العقلية والنفسية للكتّاب، وتعد الرواية النوع الأدبي المحبوب والأكثر جاذبية وقدرة على التجديد والتنوع اللامحدود في رصدها لأحوال المجتمعات وملاحقتها المعارف الحديثة وتأطيرها للنزعات البشرية المتنوعة واستفادتها من الحكاية والموروث الأسطوري والتطورات العلمية المتواترة. ولغنى العمل الروائي وتنوع مضامينه يمكن لبعض الروايات أن تكون علاجاً في حالات خاصة ومن بينها الاضطرابات الذهانيّة كحالة (الذهان الهوسي – الاكتئابيّ) تلك الحالة الشائعة التي تدمر حياة الأفراد وبخاصة أولئك الذين يتوفّرون على قدر عال من الذكاء والألمعيّة وتتسبّب حالتهم المرضية في إعاقة قدراتهم على نحو خطير.

هناك حالات موثّقة حكى فيها بعض كتّاب الرواية عن تجاربهم الشخصية وكيف ساهم انغماسهم في كتابة العمل الروائيّ على تخطّي الأطوار الصعبة من اضطراباتهم الذّهانيّة المدمّرة التي عجز عقار (بروزاك) عن علاجها وهو العقار الذي أصبح سمة بارزة لثقافة العصر حدّ إطلاق اسم (ثقافة البروزاك) على الثقافة الغربية.

ذهب بعض الأطبّاء السايكولوجيّين إلى إمكانيّة اعتماد الكتابة الروائيّة كوصفة علاجيّة – في حالات محدّدة بعينها–، وربّما يكمن السبب وراء قدرة الكتابة الروائيّة على اجتراح علاج لبعض الاضطرابات الذهانيّة في الطقوس الملازمة لعملية الكتابة والانضباط والصرامة ومتعة التخييل التي يتطلبها كلّ جهد روائيّ. وقد تؤدي كتابة الرواية إلى كبح التشويش الخارجيّ والضوضاء الصاخبة السائدة في مجتمعاتنا وتدفع الأشخاص نحو التركيز البالغ على سماع أصواتهم الداخليّة الثريّة المدفونة تحت غبار الإهمال و التجاهل، ويساعد هذا الأمر في أحيان كثيرة على تنشيط النواقل العصبيّة الدماغيّة (مثل السيروتونين والدوبامين) التي تتحكّم في الكيمياء الدماغيّة المكيّفة للمزاج البشريّ وتقلّباته وتدفع به نحو آفاق النشوة والإحساس الغامر بالسعادة غير المرتبطة بمؤثّرات فيزيائيّة خارجيّة، وقد تتماهى تجربة الكتابة الرّوائيّة في هذا الإطار مع الكشوف العرفانيّة والفيوض التصوّفية المقترنة بها والتي تحدث عنها عرفانيّونا الأكابر والمعتزلة الأجلّاء، وربّما يدعم هذا الرأي كون أغلب الكُتّاب – وبخاصّة الروائيّات والروائيّين – المُجيدين والمميّزين ذوي تجارب مفارقة للوعي البشريّ العاديّ وأقرب إلى استجلاب البصيرة بطرق غير مألوفة، ويمكن تعداد الكثير من الأسماء الروائيّة في هذا الميدان: هيرمان هسّه، دوريس ليسنغ، نيكوس كازانتزاكيس، ولم يغفل هؤلاء عن توثيق تجاربهم الكاشفة القريبة من الفيوض العرفانيّة في بعض الحالات. وقد أسهمت الكشوفات السايكولوجية الحديثة في تثوير المشروع الروائيّ وتعزيزه وأعادت تشكيل مفاهيم العقل، والحتميّة، والإرادة الحرّة، والدوافع والحاجات، وربّما تكون السايكولوجيا الماسلويّة (نسبة إلى عالم النفس المعروف أبراهام ماسلو) هي الإنجاز الأكثر أهميّة وسطوة في الميدان السايكولوجي في القرن الماضي –نظرا لتأثير السايكولوجيا في الرواية الحديثة– بعد أن جاء ماسلو بمفهوم التدرّجية الهرميّة للحاجات الإنسانيّة. كما كشفت السايكولوجيا الحديثة عمّا يسمى بالطبيعة الروبوتيّة الشبيهة –بوضعيّة الطيّار الآلي– والتي يعيش معظم البشر حيواتهم تحت سطوتها وهم يعانون من أقصى درجات الضجر واللامبالاة وكأنهم روبوتات مبرمجة لأداء أفعال مكررة. ومن الطبيعيّ أن تكون مفردات كالحاجات الإنسانيّة المتدرجة والضجر واللامبالاة موضوعات دسمة أمام الرّوائيّ المنشغل بالحياة ومعضلاتها السائدة.

المخلص محبوس في مستشفى الأمراض العقلية

المفكر مراد وهبة يرد على منتقديه: نقدكم اختزال مخل

أثارت مجلة "الجديد" في عددها الصادر في ديسمبر (كانون الأول) العديد من القضايا والإشكاليات حول عدد من الآراء التي أبداها المفكر المصري مراد وهبة، في الحوار المنشور في العدد ذاته، وتبعه مقال سجالي آخر بقلم عبد الرحمن بسيسو نشر في العدد التالي الصادر في يناير (كانون الثاني)، واهتمت تلك الأقلام بالعديد من الأفكار والتصورات التي أبداها المفكر المصري في حواره حول العلمانية والأصولية والتعليم واللغة العربية ومكانة الفلسفة وغيرها من القضايا المثارة على نحو بيّن في العالم العربي.

"الجديد" واجهت مراد وهبة بعدد من الانتقادات التي أثارها المشاركون في السجال ليعرض وجهة نظره، ويتحدث بمزيد من الوضوح حول عدد من القضايا الإشكالية التي اختلف فيها معه عدد من الكتاب، لكنه في الوقت ذاته اعتبر أنه رغم ما أثارته هذه المقالات النقدية من مناقشات إيجابية، إلا أن الكُتّاب كانوا في مناجاة مع أنفسهم وليسوا في مناقشة حقيقية تعتمد على قراءة واعية ومتكاملة لأعماله وأطروحاته خلال ستين عامًا تمثل مسار فكره، لافتًا إلى أن الفهم الحقيقي لآرائه وأفكاره يتبدى واضحًا من خلال القراءات الواعية والمتكاملة لأعماله.

❏ من المسائل التي أثارت اللغط هو حديثي عن أسباب فشل المؤسسات التربوية في تخريج أجيال واعية، ورد ذلك إلى سيطرة جماعة الإخوان المسلمين على المؤسسات التعليمية، وعدم إمكانية تعميم ذلك على كافة الأقطار العربية. في كتابي "فلسفة الإبداع" تحدثت عن الإبداع والتعليم، وأظن أن الذي دخل معي في الحوار لم يقرأ هذا الكتاب، مسألة الإبداع كبديل عن الذكاء نشأت في أمريكا في 1950، عندما قال رئيس الجمعية النفسية في أمريكا إنه قد جاء الأوان لأن ندرس الإبداع، ومن هنا جاء اهتمامي بالمسألة.

في تعريفي للإبداع أقول إنه هو قدرة الإنسان على تكوين علاقات جديدة من أجل تغيير الواقع، وهذا تعريف غير مسبوق للإبداع؛ إذ أن التعريفات الأخرى للإبداع تكتفي بمسألة تكوين علاقات جديدة، إنما هنا يوجد ربط بين تكوين علاقات جديدة وتغيير الواقع، أي يتضمن عنصري الجدة والتغيير، فإن كانت هناك جدة بدون تغيير يكون إبداع مرضي.

في هذا الصدد ضربت مثال برجل مختل عقليًا في مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية، يتوهم أنه إله وبدأ يبرهن أسبابه ويدلل لي على صحة ما يقول بالاستعانة بالفسيولوجيا والفيزياء، كان مثقفا على درجة عالية لكن ثقافته أودت به إلى التوهم أنه إله، وطلب مني أن أنشر في جريدة "الأهرام" خبر مفاده أن الإله محبوس في مستشفى الأمراض العقلية ولابد أن يخرج، وكنت أعتذر له كل أسبوع اعتذارات وهمية لأنه شيء غير ممكن، فقال لي إن لم ينشر الخبر في الأسبوع القادم ستنقطع علاقتي معك، فقلت له باعتبارك إله يمكن أن تستخدم معجزاتك في الخروج من المستشفى، قال لي لا، أنا إله نظام ولست إله فوضى، لكنه عاجز عن الخروج أي التغيير، وبالتالي الإبداع غير مكتمل.

الحضارة الإنسانية نفسها نشأت بالإبداع؛ ففي عصر الصيد الذي استمر حوالي أربعة ملايين سنة ونصف السنة، أودى اعتماد الإنسان الكلي على صيد الحيوانات وذبحها إلى إصابته بأزمة طعام، خاصة أنه لم يكن لديه علم باستئناس الحيوانات، فبدأت الحيوانات تندر، بالإضافة إلى تغير المناخ في جنوب البحر المتوسط وشماله، ما أدى إلى عجز الحيوانات عن الحياة في هذه المنطقة، فهاجرت وهاجر معها الإنسان واستقروا في وديان الأنهار في كل من مصر وآشور وبابل واليمن. في مصر ابتدع الإنسان المصري التكنيك الزراعي لكي يحقق فائض طعام ويتغلب على أزمة الطعام، ومعنى ذلك أن الحضارة اعتمدت على الإبداع، بعد ذلك تكونت المجتمعات داخل المجتمع الزراعي ونشأت ثقافات متنوعة وفقا للظروف الجغرافية لكل بلد.

أصبح المعيار في تقدم الشعوب بالنسبة لي يتحدد "على قدر ما تقترب الثقافة من المسار الحضاري الذي يبدأ من الفكر الأسطوري ويتجه نحو الفكر العقلاني أقول إنها ثقافة متقدمة، والثقافة التي تبتعد عن المسار الحضاري أقول إنها متخلفة"؛ فالمسألة مترابطة ومتشابكة في إطار الإبداع لا علاقة لها بثقافة بلد دون أخرى.

عندما نتحدث عن الشرق الأوسط نجد أن تيار جماعة الإخوان المسلمين نشأ في القرن العشرين وتأثر بفكر الفقيه ابن تيمية في القرن الثالث عشر. ويتمركز فكر ابن تيمية حول رفضه إعمال العقل في النص الديني لأنه ضد ابن رشد الذي يطالب بإعمال العقل في النص الديني، وبناء عليه يقول ابن تيمية "نكتفي بالسمع والطاعة، وأن العقل يهبط إلى مستواه الحسي"، ومن هنا نشأت فكرة الإجماع في العالم الإسلامي، ومن هنا أصبح فكر ابن تيمية مسيطراً على الدول العربية. كيف يمكن مقاومة هذا الفكر؟ المقاومة عن طريق العلمانية وهو يمنع إعمال العقل. والعلمانية مطاردة في العالم العربي.

الإبداع والاستبداد

الحديث عن العوامل الأخرى التي أدت إلى فشل المؤسسات التربوية والتعليمية في العالم العربي يأتي في إطار المسار المعرفي الذي أحلل الأمور من خلاله؛ فأسلوبي في التفكير ابستمولوجي إذ انشغل بمسار العقل والمعرفة، وبناءً عليه يمكن النظر إلى العوامل الأخرى في ضوء الابستمولوجيا. فعلى سبيل المثال، عندما وصلت جماعة الإخوان إلى الحكم، بات الحديث عن الظروف السياسية التي دفعت بهم إلى الحكم من الأحاديث الشعبية والدارجة، بل انشغل بصلب فكر الجماعة الذي يقوم على فكرة الحاكمية. وبدون التركيز على الإبداع لن يكون هناك حل لأي مشكلة. الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي هو أول رئيس في العالم العربي يقول إن المشاكل تحتاج إلى إبداع وليس تفكير تقليدي، رئيس دولة كبرى يقول ذلك وأنا أريد من يعترض على ما أقول أن يرد على ذلك.

وانتقالًا إلى الحديث عن دور الاستبداد في تأصيل المشاكل التي تفاقمت في العالم العربي أعود لأتحدث عن دور الإبداع في مقاومة الاستبداد، وهنا أسأل كيف قاوم العقل المبدع الاستبداد؟ المقاومة إن وجدت فإنها كانت محكومة بفكر تقليدي، ولذلك لابد من التأسيس لعقل مبدع في مواجهة الاستبداد، وشرط الاستبداد غياب الإبداع لأن المستبد يؤسس لإجماع ورفض للخروج عن ذلك وإلا يتم تكفيره، وبالتالي المواجهة تكون بعمل تيار مبدع يساهم في القضاء على الاستبداد.

الفلسفة ورجل الشارع

فيما يتعلق بما أثير عن التفاؤل المفرط في محاولة جعل الفلسفة تقف على قدميها بدلًا من رأسها وما يعنيه ذلك من تفاؤل مفرط كونه يتجاوز الكثير من العقبات الاجتماعية وتبسيط مخل يصل حد الوقوع في الاختزال، فأنا أؤمن أن الفلسفة قادرة على تغيير ذهنية رجل الشارع ما يجعله يقاوم الكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية، إذ تجعله شريكًا في الحل.

في المؤتمر الذي عقدته بعنوان "الفلسفة ورجل الشارع" قصدت تقريب الفلسفة إلى رجل الشارع لكي يفكر بطريقة عقلانية ومنطقية، وقتها اتهمني المثقفون بتخريب القيم، وشنّت جريدة "الأهرام" حملة شعواء ضدي. كيف سنتحدث عن مقاومة الاستبداد في ظل عمليات تغييب العقل التي يعاني منها رجل الشارع؟ الاستبداد يتفاقم كلما كان رجل الشارع عاجزًا عن استخدام عقله ما يسهل عملية التأثير عليه، عندما حاورت بائع البطاطا في المؤتمر، كانت لديه مجموعة من المفاهيم الراسخة في ذهنه كحقائق مُسلّم بها مثل "المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين" ما يعني اقتناعه بعدم قدرته على تغيير حياته إلى الأفضل، وبالمناقشة اقتنع بخطأ أفكاره، لكن أمام الهجوم العنيف أجهض المؤتمر.

إذًا فالحديث عن كيفية تجاوز الأمية التعليمية والثقافية إلى المناقشات الفلسفية ما هو إلا تساؤل يُعبّر عن كسل فكري، فلابد من تغيير العقل واستخدامه في حل المشكلات بطريقة غير تقليدية. الطريقة التقليدية في التفكير تفترض أن هناك أسباباً سياسية تمنع رجل الشارع من التفكير في مشاكله الاجتماعية، وهو ما يجعله في عملية انتظار مستمرة، لا بد من إدخال رجل الشارع في عملية التغيير عن طريق الفلسفة.

وأنا هنا لم أتجاوز الفجوة التاريخية بين الماضي والحاضر في دعوتي لإنزال الفلسفة إلى الشارع مثلما كان عليه الحال مع سقراط الذي كان ينزل إلى أسواق أثينا ويحاور رجل الشارع. الفجوة التاريخية غير متجاوزة لأنني أوضحت مرارًا في كتاباتي أن السوق في زمن المعلوماتية والتكنولوجيا هو القنوات الفضائية، والتي يجب أن تحمل على عاتقها مسؤولية تنوير رجل الشارع عن طريق إجراء مناقشات بينه وبين الفلاسفة والمفكرين، وبإنتاج مسلسلات فكرية بديلة عن تلك القائمة على النميمة الاجتماعية.

الثورة العلمية والتكنولوجية أفرزت مصطلح الجمهور "mass"، ورجل الشارع في الوقت الراهن من إفرازات تلك الثورة، فلا بد من توفير الفرصة له باستثمار الثورة التي نشأت من أجله في القنوات الفضائية لأنها قنوات جماهيرية يشاهدها الملايين، فإنتاج برنامج لمحو أمية الجماهير من الأفكار الإبداعية التي تساهم في حل المشاكل.

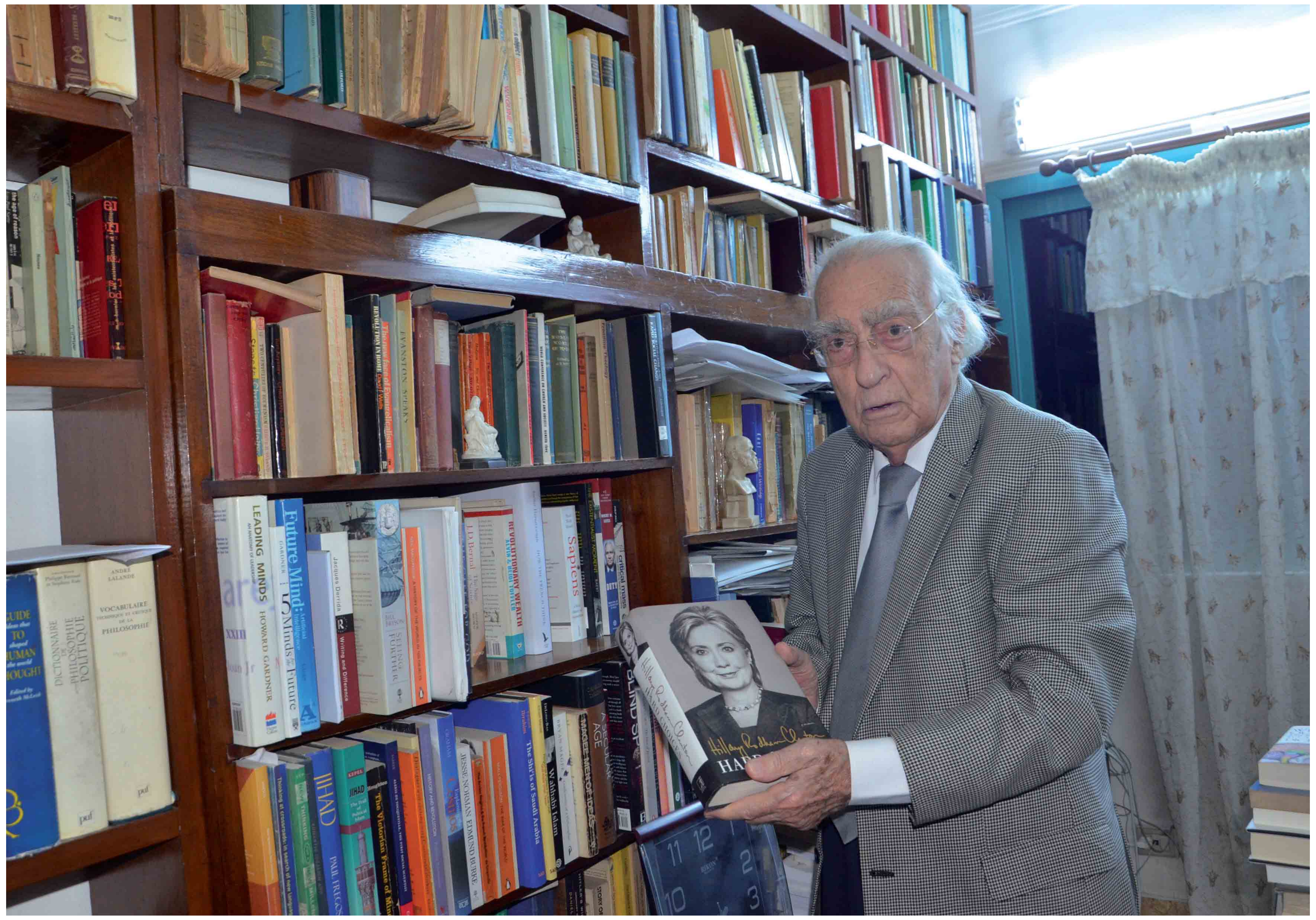

شرطا الاستبداد غياب الإبداع ومواجهته تكون عن طريق تكوين تيار مبدع

الخطاب الضائع

بخصوص الحديث عن الخلط بين الفكر الأصولي الذي يعيش في الماضي ولا يعترف بسنن التطور والفكر العقلاني الحداثي الذي يطرح تأويلًا حديثًا للدين، فهنا يجب التوضيح أن المقصود بحديثي عن الأصولية هو ذلك التيار المهيمن، فحديثي يتمركز حول التيارات المهيمنة وليس الاتجاهات الفردية التي لم تنجح في تشكيل تيار مقاوم للأصولية الدينية، فالتيار الأصولي يحكم العالم الإسلامي ولا يوجد تيار قوي استطاع أن يواجهه.

لم أتجاهل المجددين، ولكن "الفرد" لا يستطيع بأي حال مقاومة "تيار" راسخ ما لم ينخرط في تيار، أكبر دليل على عدم تجاهلي للمجددين اهتمامي بالشيخ محمد عبده الذي يعد من أبرز المجددين الذين تم اضطهادهم، وكتبت أنه كان هناك مفكر انجليزي يدعى كوكوريل، كان صديقًا للشيخ محمد عبده، وقال له أنت مصلح ديني مضطهد من السلطة الدينية وفي الغرب يوجد تولستوي وهو مجدد ديني مضطهد من الكنيسة، ولا بد أن تتواصلا معًا لعمل تيار يساهم في إنقاذ البشرية، فكتب محمد عبده خطابًا لتولستوي باللغة العربية وفي آخره كتب سطراً يقول فيه "أيها الحكيم عندما ترد أرجو أن يكون ردك باللغة الفرنسية لأنها اللغة التي أجيدها"، وكان أستاذي عثمان أمين يتعجب من عدم تلقي الشيخ محمد عبده لأي رد من تولستوي على خطابه، فقلت له أعتقد أن تولستوي قد رد على الخطاب لأنه كان الأب الروحي للشعوب المستعمرة، وآلاف الخطابات تصل له ويرد عليها، وليس من المعقول ألا يرد على خطاب محمد عبده، وعندما كنت أعمل في موسكو كأستاذ زائر في الجامعة قمت بزيارة متحف تولستوي وطلبت من المديرة إحضار جميع خطابات تولستوي المتبادلة مع آخرين في الشرق الأوسط، ففوجئت بوجود صورة من خطاب تولستوي إلى الشيخ محمد عبده، فأين الأصل؟ تم حرقه لأنه في خطاب تولستوي إلى الشيخ محمد عبده سأله عن البهائية، ومن المرجح أن يكون الخطاب قد وصل إلى الشيخ محمد عبده وقرأه، ولكن مستشاريه اقترحوا عليه حرق الخطاب منعًا لإحراجه وإثارة المزيد من اللغط.

> من المفترض أن تكون دراسة التراث على أساس أنه رؤية مستقبلية رحلت إلى الماضي فالوضع القائم المأزوم يحتاج دوما إلى رؤية مستقبلية للتخلص من الأزمات

كتبت أنا وعثمان أمين عن هذا الخطاب الذي عثرنا عليه بعد ستين عامًا، وتجاهل المثقفون العرب هذه المسألة تمامًا وقالوا رسائل متبادلة بين محمد عبده وتولستوي، ولم يشيروا إلى أن الخطاب أُحرق، هنا تم إجهاض الفكر التنويري للشيخ محمد عبده، الذي قيل أنه مات مسمومًا، ومنعه من عمل تيار إصلاحي.

مثال آخر نصر حامد أبو زيد، وهو صديق حميم لي، كنت ألازمه في قضيته وكنت أطالبه بتأجيل الصدام حتى يحصل على الأستاذية، لكنه رفض وفجّر القضية في الصحافة، في هذه الأثناء عقدنا مؤتمر دولي بعنوان "ابن رشد والتنوير"، ودعوت للمشاركة فيه أستاذاً في جامعة أوتريخت، بعد المؤتمر قال لي هذا الأستاذ أنه سيؤسس كرسياً لابن رشد في الجامعة، وسيضع فيه نصر حامد أبو زيد، ولكن من الغريب أن نصر حامد أبو زيد اهتم بابن عربي ولم يهتم بابن رشد.

اللغة العربية

انتقالًا للحديث عما أثير في الحوار عن وضع اللغة العربية في الوقت الراهن؛ بداية أنوّه إلى أن ما أقوله هو اجتهاد من قبل عدد من علماء اللغة العربية على علاقة بي، وضعوا تصوراً لتقليص قواعد اللغة العربية إلى قواعد أساسية قليلة، فأنا أرى أن القواعد دخيلة على اللغة، وقد كانت اللغة العربية في فترة من الفترات بدون قواعد.

في مرحلة الثانوية كان هناك اعتماد في الإنشاء على السجع، وكنت ضد تلك المسألة لأنه لا يتعدى رصا لألفاظ بمعاني جوفاء، وقد قرأت فيما بعد لكبار الأدباء أمثال طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وجبران خليل جبران، وتكون عندي ما أسميه "جرس موسيقي" في اللغة العربية؛ وهو ما يعطيني إحساس بأن هذه التركيبة صحيحة نحويًا، ولي عبارة أقول فيها إن "ضبط اللغة مرهون بضبط الفكر".

قمت بزيارة إلى معهد الصم والبكم والمكفوفين في موسكو، الذين يجرى تعليمهم بطريقة يستطيعون فهمها، وقتها أردت أن أتاكد من فكرتي حول وجود قوالب في العقل الإنساني تساهم في تحويل الإحساسات إلى معرفة؛ فطلبت منهم أن يحضروا لي طفلًا لم يدرس قواعد اللغة الروسية ويحكي لي قصة باللغة التي لم يدرسها، وحكى لي الطفل القصة ولم يخطئ في عمل التركيبات ومن ضمنها قواعد اللغة دون أن يعرفها، إذًا الإحساس بالمعنى هو الذي يحدد اللفظ والمسار المنطقي للألفاظ التي تليه، فكل ذلك منشأه العقل، أنا درست اللغة الروسية وكنت أتقن قواعدها، لكن عندما أكتب تكون لدي كمية لا حصر لها من الأخطاء لأن المعاني غير واضحة في ذهني، وافتقد الجرس الموسيقي وهو المطلوب في أي لغة.

الرؤية المستقبلية

وفي ما أثير بشأن الرؤية المستقبلية من حيث أن المستقبل زمن لم يحدث، وقد لا يحدث، وليس من الحكمة أن نتوسل بما لانثق في حدوثه في حل مشكلات الوضع الراهن، هنا أقول أن من كتب ذلك يرد على شيء متخيل عنده ولم يقرأ شيئًا مما كتبت، فأنا أقول إن الزمن مكون من ثلاث آنات: ماض وحاضر ومستقبل.

وكان السؤال من أين أبدأ؟ من المستقبل أم من الماضي، فأجبت بأنه أي فعل يقوم به الإنسان له غاية، وهذا يعني أن الفعل غائي يتجه نحو المستقبل. لأن الغاية تكون في المستقبل وليس في الماضي، وعندما أبدأ من المستقبل ما وضع الماضي؟ عند حدوث أزمة في الوضع القائم نستدعي الوضع القادم، وعندما يتم حل الأزمة يصبح الوضع القادم من الماضي، وبالتالي كان الماضي في أساسه مستقبل سحبت منه السمة المستقبلية وأصبح ماضيًا، لذا فمن المفترض أن تكون دراستنا للتراث على أساس أنه رؤية مستقبلية رُحِّلت إلى الماضي، فالوضع القائم المأزوم يحتاج دومًا إلى رؤية مستقبلية للتخلص من الأزمات.

المحرمات الثقافية

وعند حديثي عن المحرمات الثقافية وهيمنتها على العقلية العربية والانتقادات المثارة حول أنه لا يصح أن نوسم العقل العربي ككل بذلك لما يتضمنه ذلك من تعيمم، هنا أود التنويه إلى أنني أتحدث عن "تيار" المحرمات الثقافية الذي يجتاح العالم العربي، والدليل التكفير والقتل، العالم كله صار مهتمًا بمسألة القتل الجماعي، والمحرمات الثقافية في صلب الحضارة الانسانية، وبالتالي ظاهرة اجتماعية وسياسية، ولا توجد ظاهرة أخرى مقاومة لها، فالمقاومة الموجودة لا تتعدى كونها إدانات وشعارات ولكن التكفير والقتل بناء على فكر لابد من مواجهته بفكر مقاوم.

بناء عليه لابد من إصلاح العقل لأنه محكوم بالأصولية الدينية ولابد أن يكون هناك تيار مقاوم للأصولية الدينية وهو العلمانية، وهذا هو الدور المنوط بالمثقفين القيام به في مواجهة الاستبداد، فالمثقفون نجحوا في نقل المجتمعات من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة.

كتبت أن ابن رشد من جذور التفكير الأوروبي، هنا ابن رشد محرم ومتجاهل، إنما المتحكم والمهيمن هو ابن تيمية.

وفي حديثي عن أنه لا فصل بين السياسة والثقافة، وما اعتبره البعض اخضاع الثقافة للسياسة تحت شعار "لاسياسة بدون ثقافة"، فلا بد من التأكيد على أن خضوع المثقفين للسلطة لا يمثل عيبًا في السلطة، لكن الخطأ يقع على عاتق المثقف الذي رضي بأن يتم إخضاعه. في عصر الرئيس السادات كنت من المقاومين والمعارضين له، وقلت إن مصر محكومة بالأصولية والرأسمالية الطفيلية وبناء عليه تم فصلي ولم يقف معي أحد، ما يعني انحياز المثقفين للرأسمالية والأصولية، فمن المفترض أن يكون المثقف فاعلًا وله حق الرفض والمقاومة.

الطغمة العسكرية

وفيما يتعلق بثنائية الجيش والإخوان، فأنا أقول إن وجود الجيش على رأس الحكم في مصر كان هو البديل الوحيد المتاح في مواجهة جماعة الإخوان، لم أقل إنه لا بديل عن الجيش في المطلق، فمنذ ثورة 1952 وحتى الآن كانت المؤسسة العسكرية على رأس السلطة، ولا يوجد تيار قوي مواجه لها سوى جماعة الإخوان المسلمين، والخروج من هذه الثنائية يتطلب تأسيس تيار علماني قوي وراسخ يستطيع المقاومة، وهذا غير موجود.

في ثورة يناير، كانت ثورة شباب ساخط على نظام مبارك وكنت أتوقع أن تحدث هزة ولم أكن أرى علامات تشي بأكثر من ذلك، واستمرت الثورة لتدمير الوضع القائم المأزوم وفي اليوم الثالث خرج الإخوان من المعتقلات وسرقوا الثورة وأقنعوا الشباب أن الجيش ضدهم.

الأصح هنا ألا نقول أننا تحت حكم عسكري، لكن يجب أن يقال إننا الآن في نظام معاد تماما للإخوان المسلمين، الجيش أنقذ مصر من حكم الإخوان، الصدام سيظل موجودًا بين الجيش وجماعة الإخوان، لأن الجيش نشأ على عقيدة وطنية هي الدفاع عن الوطن، لكنه لا يفتعل معركة في الخارج، على عكس جماعة الإخوان الذين يريدون من الجيش الحرب خارج الوطن لتأسيس الخلافة الإسلامية على كوكب الأرض، لذا فالصدام حتمي في ما بينهما.

أما الحديث عن صعوبة تأسيس العلمانية في ظل نظام يضيق بحرية الإبداع، ففيه الكثير من الاستكانة، دور المثقف هو المقاومة، الآن جريدة "الأهرام" فتحت حواراً بيني وبين المثقفين، لابد من المقاومة، وإلا ما هو دور المثقف حيال ما يحدث؟!

تيارات فكرية

وبشأن ما أثير عن فكر ابن تيمية والحكم المطلق على أفكاره بأنها ظلامية ووصفه بأوصاف متسرعة تنم عن عدم إطلاع على فكره، فأعود لأقول أن حديثي يتمركز حول التيارات المهيمنة وليس على الأفكار الفردية غير السائدة، ابن تيمية أسس تيار الوهابية والإخوان المسلمين، لكن الحديث عن التطبيق الخاطئ لأفكار ابن تيمية ليست قضيتي، أتحدث عن التيار ورؤية الاخوان والوهابيين لابن تيمية. لا يعنيني التصورات المختلفة عن فكر ابن تيمية، لأنه لا يمثل تياراً، وعندما يؤسس ذلك لتيار يمكن دراسته.

> على قدر ما تقترب الثقافة من المسار الحضاري الذي يبدأ من الفكر الأسطوري ويتجه نحو الفكر العقلاني تكون ثقافة متقدمة وعندما تبتعد الثقافة عن المسار الحضاري تصبح متخلفة

والحديث عن قولي بفشل ثورات الربيع العربي فهو أمر غير صحيح، قلت إنها أجهضت، وقفت عند مرحلة وتم اختطافها من قبل جماعة الإخوان في يومها الثالث، وبالتالي المناقشة تكون في مدى صحة ذلك لأن ذلك هو ما قلته ولم أدّع أنها فشلت أو أحكم بذلك.

المثقف والسلطة

لم أتنصل من الدور المنوط بي القيام به كمثقف، وهو الدور الذي أطالب به المثقفين في الوقت الراهن. كتبت الكثير من المقالات والكتب وشاركت في العديد من المؤتمرات على مستوى العالم، الحكم ضدي دون قراءة ما أنجزته على مدار الستين عامًا الماضية لا يجوز. لقد دفعت ثمن أفكاري وما أدعو إليه؛ تم فصلي في عهد الرئيس السادات، وجُردت من ألقابي في عهد عبد الناصر، ولم أكتب في جريدة "الأهرام" إلا بعد ثورة يناير.

أما الحديث عن العلاقة المراوغة بين المثقف والحاكم، ولماذا لا تتحول ثقافة السلطة إلى سلطة الثقافة، فلا بد للسائل أن يشكو نفسه بدلًا من أن يشكو السلطة، إن كانت سلطة الثقافة مؤثرة ستسود، وكونها غير سائدة يعود إلى أنها غير مؤثرة.

وبخصوص القول المثار بأن ابن رشد في علمانيته كان ممثلًا للخاصة، ومن ثم فإنه ليس مستعدًا للتنازل عن عرش الفلاسفة للعامة، وهو ما يتناقض مع ما أدعو إليه، فإنني أزعم أن من كتب هذا الكلام في حالة ثبات دوغماطيقي ولم يقرأ شيئا مما كتبت، فابن رشد كان له منطقان: منطق النخبة ومنطق الجماهير، منطق النخبة يعتمد على استعمال العقل، ومنطق الجماهير يعتمد على التجربة، وهو يؤكد على ضرورة رفع مستوى العامة إلى مستوى النخبة لكي ننقلهم من منطق التجربة إلى منطق العقل.

العقل الجمعي

العقل العربي متهم بالعجز والعيش في سجون الماضي. ما المقصود بالعقل العربي هنا؟ هناك الكثير من الكتب عن العقل الجمعي في كل شعب من الشعوب، فهناك كتب عن العقل الياباني، والعقل العربي والعقل اليهودي، والعقل البدائي، وكتب أخرى عن عقول أخرى. هناك عقل عام موجود بحكم التاريخ ومسار المجتمعات. ويتكون عقل يحتضن الأفكار المشتركة، مثل قولنا: عقل فرعوني وحضارة فرعونية. علينا أن نحلل العقل الجمعي، عندما نقول الثقافة العربية فهذا يعني وجود عقل عربي، كل الفئات متداخلة وتكوّن شيئًا مشتركًا يتم دراسته.

الفنون والتغيير

فيما يتعلق بعجز الفنون عن التغيير، فلا بد لمن ينتقد رأيي أن يقرأ كتابي "قصة الجمال"، الفن يعتمد على العاطفة أكثر من العقل، ويعتمد على الإحساس أكثر من المجرد حتى في الفن التجريدي. الفن أول شيء اخترعه الانسان قبل الحضارة الزراعية، إنسان عصر الصيد كان يدخل الكهف ويرسم حيوانا بدون رأس، يعني بذلك أنه قتل الحيوان، عجز عن قتله خارج الكهف فقتله في رسوماته لأن الأسطورة كانت تتحكم.

* حرر المقال في القاهرة: حنان عقيل

* تخطيط: ساي سرحان

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الألكتروني

هل فجر الفيلسوف ميشال أونفري نفسه؟

حميد زناز
كاتب من الجزائر

❏ لم يمض سوى يوم واحد على مجازر باريس الأخيرة حتى طلع علينا الفيلسوف ميشال أونفري بتغريده أقل ما يقال عنها في أول وهلة إنها متسرعة، لقد كتب مغردا يوم 14 نوفمبر "لقد زرع اليمين واليسار في فرنسا الحرب ضد الإسلام السياسي على المستوى الدولي وها هما يحصدان حرب الإسلام السياسي على المستوى الوطني". تبدو الفكرة تبسيطية جدا في اعتمادها على جدلية الفعل ورد الفعل في تفسير ما يحدث، ولكن يمكن لمن لم يكن متابعا لأطروحة أنفري حول داعش وحربها والحرب عليها أن يجد عذرا للفيلسوف إذ لا يمكن له أن يتجاوز كلمات معدودات في كل تغريدة، ومن هنا لا يمكن الحكم عليه من خلال التغريد فقط. والحقيقة أن تلك التغريدة التي أطلقها بعد التقتيل الذي قامت به داعش في باريس اعتبرها الكثير من المثقفين الفرنسيين عبارة عن زغرودة بررت بوعي أو بدونه ما ارتكبه الدواعش. فهل بعدما اتهم الفيلسوف بالإسلاموفوبيا ثم الاقتراب من أطروحات اليمين المتطرف، جاءت مرحلة الدعوشة؟

لقد اعتمدت داعش في أحد فيديوهاتها الدعائية مباشرة بعد جريمة باريس على ميشال أونفري صوتا وصورة لتبرر اعتدائها على المدنيين الفرنسيين حيث يظهر في الشريط منتقدا التدخل العسكري الفرنسي ويطالب بالكف عن قصف مواقع داعش. وهو ما يدعو إليه الفيلسوف منذ مدة معتبرا أن لا حق للغربيين في التدخل في شؤون البلدان العربية. ولئن كان محقا في القول إن هدف الغرب ليس ترسيخ الديمقراطية ولا الدفاع عن حقوق الإنسان في البلدان العربية، فمن الصعوبة الادعاء بأن داعش تذود عن حمى المسلمين أمام الضربات الغربية وترد الصاع صاعين، وأن الأمر لا يعدو أن يكون سوى دفاع عن النفس!

لا يخفى على صديقنا الفيلسوف أن داعش أفقرت وهجّرت وقتلت الآلاف من المسلمين في كل من العراق وسوريا، وفعلت مناكر وفظائع ربما لم يتجرأ حتى الاستعمار على فعل مثلها. أليس من الغريب أن يطالب أونفري التفاوض مع داعش؟ فماذا يمثل هذا الكيان الإرهابي؟ وهل من المعقول أن نتفاوض مع كل من يحمل السلاح ويرهب الآمنين؟ لم يترك صديقنا فرصة إلا وتهجّم فيها على الفيلسوف جان بول سارتر وكان محقا في أغلب انتقاداته لمسيرة بابا الوجودية، ولكن ها هو يتبنى اليوم ربما أسوا ما في آراء سارتر ألا وهو تبرير الإرهاب الأعمى باعتباره سلاح المظلومين الوحيد كما كتب بالحرف الواحد في التقديم الذي وضعه لكتاب فرانس فانون "المعذبون في الأرض"!

من المحزن أن ينظر فيلسوف بحجم ميشال أونفري إلى حركة إرهابية كداعش على أنها حركة مقاومة. وهو الحزن الذي نقلته إليه مباشرة عبر الرسالة القصيرة التالية "صديقي العزيز.. كثير من أصدقائنا في الوطن العربي الكبير، والذين لا علاقة لهم بالفكر الديني، بل الذين يناضلون بكل ما أوتوا من قوة كيلا يطبّق ما يسميه أعداؤهم الإسلاميون 'شريعة'، هؤلاء الذين لا يجدون في خطاب داعش وأفعالها غير الشر، هؤلاء يا صديقي لم يفهموا تصريحاتك بعد الجرائم التي ارتكبها التنظيم الإرهابي في باريس، لأنهم لا يرون بأن مجرمي داعش هم من يمثل العالم العربي ولا هم من يدافعون عنه، بل هم يدافعون عن أيديولوجية إجرامية دموية، ويحاربون كل ما تدعو إليه في فلسفتك المتعوية. فكيف، قال لي بعض أصدقائنا، يمكن لصديقنا ميشال أن يجعل منهم طليعة تدافع عن العالم العربي-الإسلامي؟ كيف يمكن رفع هذا اللبس صديقي العزيز؟".

وكان رد صديقنا الفيلسوف هكذا سريعا مقتضبا نافيا ما يستطيع كل الناس مشاهدته على الإنترنت حيث تتوفر كل فيديوهات تدخلاته ونصوصه "عزيزي.. هل قرؤوا ما كتبت؟ أو استمعوا إلى ما قلته بكل وضوح؟ أخاف أن ذلك لم يحدث.. أين ومتى قدّمت داعش كطليعة؟ وأين وضعت الإسلام كله في نفس الكفة مع داعش؟ ومع ذلك، هل يمكن الفصل المطلق بين الأفعال الإرهابية والدين الإسلامي؟ أظن أن الناس لم يعودوا يفكرون أصلا، وأن الإنترنت والإعلام يفكران في مكان الأغلبية. وذلك علامة من علامات التوتاليتارية. تريد الصحافة اغتيالي والتخلص مني وأنا لا أطلب شيئا سوى الحكم عليّ انطلاقا مما أقوله وأكتبه وليس انطلاقا مما يقول الآخرون عني وما ينقلون. فلا مجال للشك، فأنا معكم، ولتبق صداقتنا متينة".

لا أحد حكم على الفيلسوف انطلاقا ممّا ينقله عنه الآخرون فهو لم يترك إذاعة إلا وقال عبر أثيرها كل ما يريد ولا بلاطو تلفزيونيا إلا وشرح فيه مواقفه بكل وضوح وهي أفكار بسيطة جدا في هذا الموضوع لا تتطلب العلم الوفير لفهمها. وربما أخطر ما جاء على لسان من يتهم الآخرين بعدم التفكير هو ترديده لمقولة كثيرا ما يرددها الأصوليون إن لم تكن فكرتهم الفلسفية الوحيدة هي: لماذا نريد فرض فلسفتنا وقيمنا على المسلمين؟

أولا لا يقبل أيّ عربي أن تفرض عليه قيم مهما كان مصدرها، وثانيا هل يعتبر الفيلسوف أن الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية هي قيم غربية لا تصلح لغير الغربيين، أم هي كونية يحلم بها كل إنسان سويّ في بداية هذا القرن الحادي والعشرين؟ ذلك هو السؤال المحير! لقد اعتاد وبكل تألق تفجير القنابل الفكرية مثلما فعل مع فرويد وكامو وغيرهما. ولكن لا أريد أن يفجر في هذه المرة نفسه فكريا كما يفعل الدواعش في تفجير أجسادهم، إذ أحتفظ للرجل بكل الود والاحترام ولا أنسى أبدا شجاعته النادرة في الوقوف أمام الثلاثية الظلامية في وقت صمت فيه أغلب المثقفين في أوروبا والعالم العربي. ولا ينبغي أن نلوم السيد أونفري، فربما نحن سبب تلك الصورة التي يحملها الغربي عنّا عموما إذ بات يعتبرنا كلنا دواعش لأننا لم نستطع إيصال الصوت العقلاني الحداثي العربي إلى الرأي العام الأوروبي.

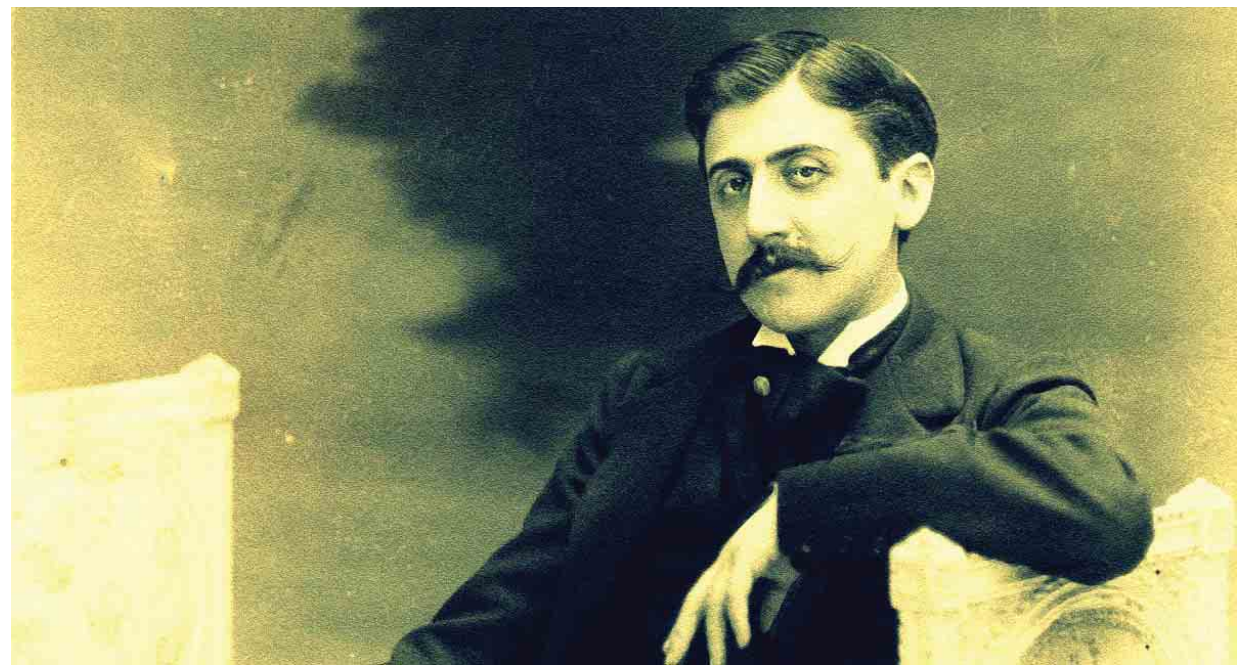

مارسيل بروست كان يكتب في السرير

مهابط الكلمات ومعارجها

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❏ ما الذي يجعل المرء قادرًا على استدراج الكلمات إلى فخاخه في مكان ما دون غيره؟ وما الذي يجعله مستعدًا لخضّة الكتابة ورجفتها في وقت محدّد، أو في وضعيّة جسدية معينة دون سواها؟ سؤالان لا تكمن إجابتهما الشافية، إن كان ثمّة، إلّا في سياق الكلام عن الإلهام، في عين ذاته، وما تطاير حول ذلك من أدخنة كثيرة، وما صاحبه من قرع طبول كثير.

كان الإلهام الشعري (والفنيّ عمومًا) عند الإغريق حالة من النشوة يغيب فيها القلب عمّا حوله، طائفًا من الملكوت العلوي. يدخل الشاعر، في تلك اللحظة، في نوبة إلهية، أو في ما يسمّونه الجنون الشعري (furor poeticus): يغيب في ما وراء عقله غيبةً لا يعود منها إلّا وقد قذفت في روعه كلمات الآلهة.

ولم تشذ عن تصوير الإلهام الشعري، كقوة غيبيّة، المرويات العربية القديمة. فوادي عبقر هو المكان الذي يسكنه شعراء الجنّ، ومن يبيت ليلة في بطن ذلك الوادي يأتيه شيطان يلقنه الشعر. ويذكر أبو زيد القرشي في "جمهرة أشعار العرب" حكايات عن وجود أقران من الجن لفحول الشعراء كانوا ينطقون بالشعر على ألسنتهم: من لافظ صاحب امرئ القيس، وهبيد صاحب عبيد بن الأبرص، وهاذر صاحب النابغة الذبياني، ومسحل السكران صاحب الأعشى، إلى جالد صاحب عنترة.

وفي عصر النهضة، تم الحديث عن الجذل النشوان ولحظة الانخطاف التي كانت تصاحب الشاعر وكيف أنه ملهم من السماء. وأمّا في عصر الأنوار، فقد تنافست الأفكار السيكولوجية الوليدة مع الاحتفاء المتجدد بالطبيعة الباطنية الملغزة التي تكتنف الإلهام، والتي تكاد تقترب، في جوهرها، من لحظة الوجد الصوفيّ. ففي الوقت الذي تحدث فيه الفيلسوف الإنكليزي جون لوك عن أنّ الأفكار تتداعى في العقل البشري مرتبطة ببعضها في تناغم فجائيّ، وأنّ الفكرة المجلجلة هي التي تكون قادرة على قدح الذهن بشررها المتطاير، إلّا أنّ كبار شعراء الرومانسية، كرالف والدو إمرسن، قد عدّوا الإلهام حالة جنون لا تختلف كثيرًا عمّا جاء به الفكر الإغريقي؛ فيما رفع صموئيل تيلر كوليردج وبيرسي شيللي، الشاعر إلى مرتبة "النبيّ" الذي تكون روحه قادرة على استقبال الرؤى، متناغمة مع "الرياح الإلهية". وفي العصر الحديث، يربط سيغموند فرويد الإلهام بالعقل الباطن، وأنه قد يتدفق فجاة من اللاشعور. تبنى هذا المفهوم السرياليّون، فنشدوا الإلهام في الأحلام والكتابة الآلية.

وسواء كان الإلهام مرتبطًا بقوى غيبيّة، أو متمركزًا في اللاشعور وينجم عن صراع سيكولوجي أو صدمة طفوليّة، إلا أن الكتّاب قد سعوا إلى استقباله، ضمن طقوس مقرّرة، وفي أماكن معلومة، ووضعيات بعينها. فنرى مطرح الإلهام ومهبط الوحي ينتقل من وداي عبقر في الأساطير العربية القديمة، على سبيل المثال، إلى السرير والكفن المفتوح وغرف الفنادق وحوض الاستحمام في الحقبة المعاصرة.

فحين قرر الشاعر والروائي الفرنسي فكتور هوغو كتابة "أحدب نوتردام" حبس نفسه في بيته، ولكي يحرم نفسه من المغادرة، لم يترك متاحًا من ثيابه سوى شال رمادي كبير يلتف به ليكتب. وكانت الشاعرة الإنكليزية إديث سيتويل، ملهمة "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب، تصعد إلى كفن مفتوح، وتتمدد فيه لبرهة، قبل أن تشرع في مشاريع كتابتها اليومية. وأمّا جورج برناردشو، صاحب جائزة نوبل في الأدب للعام 1925، فكان يكتب في كوخ بناه في حديقة منزله على قاعدة متحركة ميكانيكيًا تسمح له بملاحقة أشعة الشمس أنّى ذهبت خلال النهار. فيما كان الروائي الأميركي ترومن كابوتي لا يكتب إلّا مستلقيًا، ولا يبدأ أيّ كتابة ولا ينهيها في يوم جمعة، وكان يصرّ على تغيير غرف الفنادق التي تتحوي أرقام هواتفها على الرقم 13، وكان لا يسمح بوجود أكثر من ثلاثة أعقاب سجائر في المنفضة، واضعًا ما يزيد في جيب معطفه. وأمّا الروائي الروسي فلاديمير نابكوف فكان يفضل الكتابة في سيارة مركونة، وكان أيضًا يترك قصاصات بيضاء تحت وسادته لكي يدوّن عليها ما يختلج في صدره حين يجافيه النوم. ولم يكن الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو يقدر على الإتيان بفكرة ما قبل أن يتمشى لمسافة طويلة، فالجلوس إلى مكتب كان يصيبه بالغثيان. بيد أنّ الروائية الألمانية ألفريده يلنيك، الحائزة على جائزة نوبل في الأدب للعام 2004، تحتاج إلى أن تكون في أماكن فسيحة كي تستطيع الكتابة، أو مجرّد النظر إليها من نافذة غرفة ما. فيما كانت الشاعرة الأميركية غيرترود ستاين تكتب قصائدها في مقعد السائق في السيارة، وكانت الشاعرة الأميركية مايا أنجيلو لا تكتب إلّا في غرف الفنادق. أما الروائي الإنكليزي دي. إتش. لورنس فقد كان يفضل الكتابة تحت شجرة ما؛ والشاعر الأميركي كونراد إيكن يفضل الكتابة على طاولة في غرفة الطعام؛ والشاعر الإنكليزي روبرت غريفز في غرفة مؤثثة بأشياء مصنوعة يدويًا.

وأمّا الروائي الفرنسي بلزاك، فكان يلتهم وجبه دسمة في الخامسة صباحًا، وينام حتى منتصف الليل، ثم ينهض للكتابة على مكتب صغير في غرفته لست عشرة ساعة متواصلة، تشحن طاقته أكواب لا تنتهي من القهوة. وكان الروائي الأميركي إيرنست هيمنغواي لا يكتب إلّا واقفًا، ضاربًا حكاياته على الآلة الكاتبة؛ وكذلك كانت الروائية الإنكليزية فيرجينيا وولف، تفضّل الكتابة في وضعية الوقوف. فيما كان الشاعر الأميركي والاس ستيفنز لا يطيق الكتابة وهو جالس، مفضلًا نظم قصائده على قصاصات وهو يسير، ثم يدفعها إلى سكرتيرته كي ترقنها على الآلة الكاتبة.

ولم يكن الروائي الفرنسي مارسيل بروست هو الوحيد الذي كان يكتب في السرير. فالقائمة تضم أيضًا الشاعر الإنكليزي وليام وردز وورث والروائي الأميركي مارك توين والروائية والرسامة المكسيكية فريدا كالو والروائي الأيرلندي جيمس جويس والقاصة الأميركية إديث وارتن والمفكر الصيني لين يوتانغ الذي كتب في مديح ذلك قائلًا "إنّ الكاتب يستطيع العثور على مزيد من الأفكار في هذه الوضعية الجسدية أكثر من الجلوس بإصرار أمام مكتبه صباحًا وعند الأصيل، حيث يكون متحرّرًا من عاديّات الحياة اليومية وتفاهاتها، فيرى الحياة عبر ستارة خرزيّة كما هي، وهالة من خيال شعري مطروحة حول عالم الأشياء الحقيقية، نافخة فيها جمالًا سحريًا". ثم يكمل قائلًا "إن الكاتب حينئذ لا يرى الحياة في فجاجتها، بل وقد استحالت، على حين غرّة، إلى صورة أكثر واقعية من الحياة نفسها".

وفي مقالة له بعنوان "سرّي"، يعترف الشاعر الأميركي تشارلز سيميك بأنه لا يكتب إلّا في السرير، في فوضى من الملاءات والأغطية المتشابكة، لا ممددًا في أريكة، ولا مرتاحًا على كرسيّ هزاز، "فالشعر، كالحُبّ، يصنع في السرير"، كما يقول أندريه بريتون في إحدى قصائده، و"لا شيء أكثر طبيعية من خربشة قصيدة حُبّ بقلم حبر جاف على ظهر حبيبتك" وهي ممددة إلى قربك عارية في السرير.

مايا أنجيلو لا تكتب إلا في غرف الفنادق

بلغ سلامي لتجديد الخطاب

عمرو خالد وقتل العقل الناقد

وليد علاء الدين
شاعر من مصر مقيم في الإمارات

❏ من الوهلة الأولى نفرتُ من أداء الداعية الشيك عمرو خالد، كان ذلك منذ سنين طويلة، من خلال لقطات شاهدتها له هنا وهناك أحسست أن تركيبته في مجملها تستفز مشاعر سلبية بداخلي وتقول لي إن هذا الرجل ليس كما يريد أن يبدو؛ نبرة صوته، مبالغته في الأداء، إصراره على التباكي -الذي سمعت بعد ذلك أنهم استخرجوا له دليلًا من السنة النبوية(!)-، الشكل النهائي لوجهه بتأثير اختياره لقصة الشعر وطريقة ترتيب اللحية والشارب.. إلخ.

الخلاصة، نفرت منه - كما أنفر عادة من كل مبالغ في أدائه-؛ يحضرني كمثال هاني شاكر في أغنياته الأخيرة بعد أن تحول إلى شحاذ يتسول الحب بوردة، وهو في الواقع يتسول نجاحًا بلون نجحت منه أغنية كان فيها صادقًا، يحضرني كذلك الدكتور عطية الذي يحمل دائمًا وردة ويتحدث بطريقة لا تليق، هي ليست مشكلة مع حُب الزهور ولكنها مشكلة مع عشق الظهور الذي يدفع الناس إلى الادعاء والمبالغة.

بعد مرور فترة طويلة، اكتشفتُ أنني لم أمنح نفسي فرصة الاستماع إلى هذا الرجل -أعني عمرو خالد- لكي أقف على الأقل على أسباب موضوعية تبرر هذا النفور الذي ربما يقف عند حدود المظهر والأداء الخارجي، لم أكن أطيق الاستماع إليه عشر دقائق متصلة، خاصة حين يرتدي عدة الشغل وينهمك في إلحاق القصص ببعضها لصنع الحالة التي يريد من خلالها التأثير في الشباب وبسطاء الناس.

قررت أن أمنح نفسي فرصة لكي أكون موضوعيًا، فاستهديت بالله وجلست لأستمع لحلقة كاملة من حلقاته. كان الرجل يتحدث عن "الطاعة"، تخيلوها من فضلكم منطوقة بنبرة صوته وأدائه الخاص.

لا بأس فلنر ما الذي يريد داعيتنا أن يتعلمه الناس حول الطاعة.

راح الرجل يُجهد حلقومه في بيان معنى الطاعة وأثرها العظيم في استقرار المجتمعات، ويبين أهميتها وحكمتها وحكمها وغير ذلك من أمور، ثم انتقل إلى سرد ما جهزه من قصص الرسول وصحابته لكي يعزز بها ما "فرشه" من أفكار في البداية.

وقع اختيار الرجل على "علي بن أبي طالب" وهو اختيار شديد الحساسية، ليس من وجهة نظر الدين فحسب، بل من وجهة نظر الأدب والبلاغة والحكمة والحساسية الإنسانية التي يمثلها هذا الصحابي الجليل خاصة لدى محبي الأدب والبلاغة.

فما القصة التي كان بطلها رجل بعقل علي بن أبي طالب؟

قال عمرو خالد وهو يستدعي طبقة السوبرانو في صوته إنه خلال واحدة من غزوات الرسول، أراد أن يرسل بعثة استكشافية تستطلع أمر العدو، فاختار لذلك علي بن أبي طالب ورجلين معه، وطلب منه أن يذهب ويعود محملًا بالأخبار، وأكد عليه "ولا تولينّهم ظهرك أبدًا".

حتى الآن يبدو الأمر منطقيًا، ويمكن تخليصه من كل خلفياته العقائدية وغيرها ليصبح الحديث عن قائد في حالة حرب يختار من بين رجاله من يراه الأكفأ لتنفيذ مهمة.

يقف عمرو خالد عند وصية الرسول لعلي: ولا تولينّهم ظهرك أبدًا، ينغّمها ويلوّنها بصوته، قبل أن ينتقل إلى الفقرة التالية من القصة، وهي الفقرة التي يستهلها ببيان طبيعة الجو في ذلك الزمن من حرارة ورمال أو رطوبة..، وحالة الجهد والتعب التي كان يعانيها المحاربون.. إلى آخر ذلك من مشهّيات لها هدفها الذي سيتضح بعد ذلك. فماذا حدث؟

ما حدث أن علي بن أبي طالب، بعد أن قطع مسافة طويلة في عمق الصحراء -وقد عرفنا كيف كانت الأجواء صعبة!- تذكر رضي الله عنه أنه نسي أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئًا، ودون هذا الشيء فإن المهمة لن تكتمل أو ستنعدم فائدتها.

فماذا يفعل بابُ مدينة العلم علي بن أبي طالب في هذه الحالة؟ هكذا جلجل عمرو بالسؤال في طبقة السوبرانو وهو يستدعي ذرات الفضول المتناثرة في دماء الشباب وبسطاء المشاهدين، ماذا يفعل عليّ وقد أوصاه الرسول بأن لا يولّينّهم ظهره أبدًا؟ كيف يعودُ إلى الرسول من دون أن يشقَ عصا الطاعة في هذه الوصية (..).

صحيح ماذا يفعل؟ يخبرنا عمرو خالد في أداء تمثيلي بارع أن علي بن أبي طالب، أستاذ البلاغة أعلم العرب بالفَرق بين مجاز الكلام ومعناه، لم يجد حلًا لورطته سوى أن يعود المسافة الطويلة التي قطعها في الصحراء باتجاه العدو ممتطيًا ظهر جواده بالمقلوب (..)، أو كما راح الدكتور عمرو خالد يُصوصوها بصوته في انفعال بالغ "بضهره.. بضهره يا جماعة، بضهره شوفوا الطاعة يا إخوانا!".

كل محاولة عاقلة لتحليل هذه القصة -التي أشك أن يكون نسبها إلى علي بن أبي طالب صحيحًا- تشبه السير في حقل ألغام، فهؤلاء الذين يخلطون بين الأشخاص والأفكار لن يُمهلوا أنفسهم فرصة التفكير في "الفعل" لقياس مدى معقوليته بصفة عامة، فطالما اقترن بالشخص الذي لا يقبلون فيه كلمة، فسوف يستكثرون عليك أو على غيرك أن يراجع فعلًا قام به أو نُسب إليه، لأنه بلا شك يتضمن حكمته حتى لو تجلّت لك أو لغيرك عدم معقوليته وغرائبيته، ثمة حكمة تخفى علينا دائمًا عندما يكون الفاعل في أذهان محبيه أكبر وأعلى من أن يقوم بما يمكن لأمثالنا مراجعته!

> ما يفعله عمرو خالد -ومن على شاكلته من دعاة القصص والسير الدينية- هو فرض لنمط فكري مغلق تذوب فيه الفواصل بين الأخلاق والدين والأشخاص، وهي الخلطة السحرية المثلى لتفريخ التعصب الأعمى

فإذا خلصت من هذا الفريق، وقعت بين يدي فريق آخر لا "عقل ناقد" لديهم، إنما فقط "عقل لاقط" مستعد للتعاطف والتعامل وتبنّي كل خطاب ملوّن يجيده شخص تفرغ لتجويد أدائه وحبك خلطته وتشبيعها ببهارات سمع بصرية تاريخية دينية.

وإذا خلصت من أولئك وهؤلاء، وقعت في أيدي من لا يستطيعون فهم أن هذه القصة لا تحث أبدًا على مكارم الأخلاق، إنما تدعو إلى تغييب العقل وتسليم القياد وتقديس الخطوات والمظاهر مهما بدت غريبة وشاذة ومنفصلة عن النتائج والأهداف المرغوبة.

ما يفعله عمرو خالد -ومَن على شاكلته من دعاة القصص والسير الدينية- هو فرضٌ لنمط فكري مُغلق تذوب فيه الفواصل بين الأخلاق والدين والأشخاص، وهي الخلطة السحرية المثلى لتفريخ التعصّب الأعمى الذي يمكن تعريفه بأبسط كلمات بأنه الحالة التي لا يستطيع معها الإنسان التفرقة بين هذه المكونات الثلاثة بالتحديد: الأخلاق والدين الذي ينتمي إليه والأشخاص الذين يمثلون هذه الأخلاق وهذا الدين؛ شخص مصمت غير قابل للتواصل، كل نقاش معه في الأخلاق يستدعي حميّته الدينية، وكل تساؤل عن الأشخاص يستدعي حميّته للنموذج كله؛ ليظل النموذج مغلقًا.

هل يظنون أنهم بذلك يحمون الشباب؟ إنهم يجردونهم من وجودهم، إنها دعوة للتعصب الأعمى وإن تسترت بكافة أشكال التسامح والتواضع. إنها عملية قتل عمد للعقل الناقد في التكوين الثقافي للشباب، وهو -بالفعل- يلفظ أنفاسه الأخيرة في المجتمع المصري منذ عقود، وكنا نأمل أن تستعيده ثورة الوعي التي انطلقت في الخامس والعشرين من يناير.

ولكنني شخصيًا قد تنازلت عن هذا الأمل بعد أن قرأت هذا الخبر على صفحات الجرائد المصرية "بدأ الموقع الرسمي لوزارة التربية والتعليم نشر عدد من الدروس الصوتية للداعية الإسلامي، عمرو خالد في إطار حملة 'أخلاقنا'، التي تهدف لإعادة الأخلاق للشباب والشارع المصري بمشاركة وزارات الشباب والرياضة، والدكتور على جمعة".

وبلغ سلامي لتجديد الخطاب وخطاب التجديد.

قداس جنائزي لأنسي الحاج

الزائر الغريب أنت

عبده وزان
* شاعر وناقد من لبنان

❑ الليلُ شاسعٌ أمامكَ
لتسهر حتىٰ الفجر
وتُسامر في وضح الظَّلام
كائنات برقة الهواء
ملائكةٌ وقدّيسين
الظلامُ ساكنٌ من حولكَ
لتُساهر أرواحاً علىٰ عتبات فردَوْس
شعراءً خرجوا للحين من مَطْهرِهم
رعاةً لم يضلوا طريقهُم
أطيافاً تتهادى بألفة
لديكَ متسعٌ من صباحَات
لتنام بهُدُوء
وتنسَىٰ لحظات احتضارٍ
أقضَّ جسمكَ النحيلَ
لتكتم صرخات مزّقتْ علياءَ رُوحكَ
لتغفو مثل طفلٍ لم يُولد
وتُغمضُ عينيكَ بابتسامة ناقصَة
لديكَ فائضٌ من نهارات
لتستريح من سَفَرٍ طويل
لتُلقي عن كتفيكَ
أحمالاً تنوءُ بها منذ دهْر
وتطفئ نارَ أرقٍ
كان ظِلاً لك
وتتخلّص من قلق ساوَرَكَ
مذ فتحتَ عيناً عَلىٰ السَّماء
لديكَ المزيد من الأمَاسِي
لتكتُبَ علىٰ الهواء
كلمات مضمّخة بعطر أزليّ
قصائدَ لا يقرأها سوىٰ الله
يَدْمَعُ لها أو يَفْرَح
لترسُمَ خواتمَ من ذهَب
لتفتح صفحة المُسْتحَيل
وتجْترحَ مُعْجزةً من دم وخمر
أمامكَ الكثيرُ من الفراغ
لتنتظر عودة وجوه غادرتْ
لتكتشف وجهاً آخرَ لعزْلتكَ
لتقرأ أحلامكَ التي أبْصرْتَها
وتفكَّ أسرار حياة عَبَرَت كالبرق
وتكشفُ كنوز مجهول يُسمَّىٰ الموت
الموتُ الذي نسيَ المَوْتَ
المَوْتُ الذي لم يبقَ هو الموتُ
أمامكَ حفنةٌ من النّجُوم
لتُقامر مثل قدّيسٍ علىٰ شفير هاوِيَة
لتُخاطر بأيَّام لا تُعدّ
وَتَفتَح باباً مَّن عَاج
لتَرْمُقَ الشّيْطان جَهاراً
منتصراً للملاك الذي كانَهُ
أمامكَ صفحاتٌ بيض
لترمي نرد قَدَرِكَ
لتنثر زهرة الخُسْرَان
وتغسل وجهكَ بماء مقدَّس
وتطأ أرضَ جنّة لم تُبْصرهَا يوماً
لديكَ فائضٌ من الزّمن
لتفرّ مثل سيّدٍ من الأَسْر
لتهرب من نفسكَ إلىٰ نفسكَ
من ماضٍ إلىٰ أيامٍ ستكونُ
من يقظة إلىٰ يقظة أشدّ ابتهاجاً
من ظِلالٍ أرض إلىٰ سماء لا تحصرها ظِلاَلٌ
يمكنُكَ الآنَ أن تصرُخَ بملْء جَوارحكَ
لنْ ولنْ ولنْ
أن تعاتب الله وتسألَهُ
أن تكسر زجاجَ صمتِه
أن تكشف له عن جرحٍ في راحتكَ
أن تنقذه من مقتلة تقْرع الأَجْراسَ
وتدعُوه إلىٰ الوليمَة
يُمْكنُكَ أنْ تُسلّم الرّأس المَقْطُوع
علىٰ طبق من غَيْم
وتُطلق زَفْرَةً من القَلْب
"كم هذا اللَّيْلُ"
كم هذا اللّيل البارقُ
الذي لا سقْفَ لهضابه
المضيء كرُخامة قبْر
العابر أنتَ كالعاصفَة
العابر بصمت كالفَضيحة
كاهن الأضاليل المقدَّسَة
المستبدّ برقّة ملاك
الحالم المشعَّ كجوْهَرَة
الصارخ في بريَّة
المألوم من شدّة الدَّهْشة
المنقسم بين أمومة وشهوة
الخارج إلىٰ شمس الهاوية
العائد من هزيمة الأَمْسَ
الآكل خبزَ الجنّةَ
الشارب خمرَ الجحيم
الأبواب التي فُتحتْ أمامكَ
لن تغلقها ريحٌ
العتباتُ التي تجتازُها لن يعلُوها عُشْب
الزُّرقة ستَكُون رحبةً أمامَ ناظِريكَ
وإلىٰ الوراء لن تلتفت
المملكَة تشرع غمامَها
وقمر القصيدة يتموَّجُ
كلّ ما أبصرتَه بالسرّ
تُبصره الآنَ ملْء عينَيكَ الواسعتيْن
تبصر القَدَرَ متفتحاً كوردة
الماوراءَ مفتوحاً مثل كتاب
الأبدَ شمساً في مرآة
تبصر ملائكةَ الصُّدفة
كأسَ المعجزَة
المسيحَ بوجه أمٍّ
شجرةً سانت ريتا
هضبةً ترتفع عليها منارَةُ
طيفاً لكَ هائماً في بستان
"سوف يكُون ما سوف يكون"
ما لم يكُن سوف يكُون أيضاً
الزائر الغريب أنتَ
أغدقتَ علىٰ العالم إكسيرَ غيابكَ
لئلا يبقىٰ هو العَالم
والأرضُ التي ضاقت بقلْبكَ
لم تبقَ الأرض التي كانت
الماضي الذي أسدلتَ عليه وشاحاً
لم يبقَ هو الماضي
والحاضرُ مشغوفٌ بجروحِ
الأيام الآتية
"كمَا للآخرين سماءٌ وبيتٌ"
ستكون لكَ سماءٌ هنَاك
سيكون لكَ بيتٌ
ستكون امرأةٌ تفتح نوافذ السماء
امرأةٌ تغلق نوافذ الجحيم
الأرق سيطير مثل قشّة
السأم سيضحي بلا لون
أما القصيدة فلن تبرح تطرُق
ولا يُفتَح لها
لم تدرِ القصيدةُ أنكَ أصبحتَها
ذاتَ غَلس
أنكَ أمسيتَها في ضوء قمر
أنكَ أشرقتَ علىٰ سُفُوحها
وصقلتَ جوهرة ظلامها
البيت لم يبقِ بيتاً مذْ غادرتَه
لكنّ طاولتكَ تحفظ ذكرى يديكَ
الأوراقُ طارت عنها
لكنّ القلم لا يزالُ
خاتم الفيروز لا يزالُ
النظّارتان الباردتان
وفنجانُ قهوة المسَاء
كأس أوج السَّهرة
العاشق المغلوب أنتَ
الذي أحبَّ حتىٰ الانكفاء
الذي حتىٰ رحيق الشهوة
وأثير الرغبة المَستحيلة
العاشَق الذي كتب قصّة التَّكوين
بلا شجرة تفّاح ولا أفْعَىٰ
ومثل حواء حمل في جوفه
خطيئة الصعود إلىٰ الأعالي
العاشق الذي خرج من السَّيْف
مجروحاً لا ماردا
دامعاً ومألوماً
فريسةَ حبٍّ سماويٍّ
يشعّ لوعةً وشبقاً
هل أبصرتَ
سواحل يمحوها غمام
هضاباً تغرب فوقها شمسٌ من لؤلؤ
كاتدرائيات تحتدم قبابُها في اللازورد؟
هل انفتحتْ أمامكَ أبوابُ اللامرئيّ
لتلمح خلفها جنائن معلّقة
وأشجاراً من ذهب؟
هل شاهدتَ كائناً
يُدعىٰ آدم وحوّاء؟
هل سألتَ دانتي
أن يدلّك إلىٰ فردوس تقطنه دانايَ؟
هل شربتَ من ماء صَخور الأزَلْ؟
هل عبرتَ نهراً بلا ضفّتيْنَ؟
هل قطفتَ تفاحةَ ملء الزّمَن
وعلىٰ ورد ونعناع
استلقيتَ بعينين متوقّدتيْن؟
هل تحلم الآنَ أم بكَ يحلم حلمٌ؟
أيّ كتاب تكتب الآنَ؟
ألم تصبَّح أنتَ كتاباً
تترامىٰ في ثناياه أيّامٌ عبرت غفلَة؟
العالم كلّه علىٰ مقربة من يديكَ
كلّ ما أحببتَ وما لم تُحبّ
كلّ ما كان كلّ ما يكُون
كلّ ما ارتكبتَ من فضائل
من آثام جزيلة البياض
من هفوَات تامّة الحكْمَة
الكلّ من حولكَ كما من قَبْل
الوُجُوه والابتسامات
أيقوناتٌ مترنّقةُ النظرات
نشيدُ أناشيد الرَّغبة
توراةُ الشهوة
إنجيلُ الحبِّ
الماركيز دوساد قبل أن يقع في حفرة
صرخة أنطونان أرتو في ليْل
نسوة بول غيراغوسيان قربَ السُّور
ليلىٰ في مقتبل ربيعها
أغنيةُ فيروز بذَهبها الملمَّع
بئْرُ يوسف الخال
مزامير داود
هاملت المطعونُ بكلماته
بنفسجاتُ جورج شحادَة
جنّاز موزار

مملكـة الأخوين عاصي
ومنصور
مسدّس أندره بروتون
إشراقاتُ رامبو
فراديسُ بودلير
سفر أيّوب
غَانياتُ أبي نواس
خواطرُ باسكال
بيداءُ المتنبي
مصطفىٰ جبران
زرادشت نيتشه
أوفيليا التي أطلقت النَّارَ علىٰ نفسها
الزانيةُ التي انقلبتْ قدّيسة
القدّيسة التي تنتظر ليلةَ عِشْق
نقلوكَ إلىٰ جميع اللّغات
لتقرأكَ امرأةٌ بعينين مخضَّبتيْن
لتأسركَ امرأةٌ بنظرة محتجبة
لتغسلكَ امرأةٌ بنار ثَدْيها
لتسمعكَ امرأةٌ في منتهىٰ رغْبتها
في حُقول الصَّمت المأهُول
نثروا ياسمين بياضكَ
لتقرأكَ امرأةٌ علىٰ ضفَّة
لتخبّئ أنفاسكَ في منديلها
وتغسلَ وجْهكَ بالزّوفىٰ
وجهكَ يلمع مثل بلّورَة حظٍّ
ملء مقلتيكَ يلمع زِيح الشغف الأزْرَق
كلّما قلتَ كلمةً حَمَلكَ شعاعٌ
كلّما حدّقتَ طارت يمامةُ
أيها الغريب الأوضَحُ من ابتسامة
الأغمض من شجرة في البرد
العاشق الذي أمسَىٰ شعوباً من عشَّاق
الذي تبكيه امرأةٌ بعيدَة
التي بكاؤها كحياته جميلٌ
التي شمسُها تسطع في كآبة رُوح
مَن كان يظنُّ يوماً
أنكَ ستصرخ علىٰ سرير احتضاركَ
كما صرختْ مرةً بلهفة مجروحة
"الأوجاع الأوجاع الشّخصية
لا أحد يعرف كيف"
الأوجاع التي انتهبتْ بقية جسمكَ
الأوجاع التي جعلتْكَ تركع كأمٍّ
التي أراقتْ خمرة قلبكَ
وأحنتْ رأسكَ بلا رأفَة
الأوجاع التي أشعلتْ نظرتكَ الكسيرة
التي جرحتْ روحكَ بنارهَا
الأوجاع التي كلّلتْ حقويكَ بالشَّوْك
التي خطفتْ ملاكَ نومكَ
وكريشة عُصفور رمتكَ
في هواءِ الرَّمق الأخير
في هواءِ رمق نظْرتكَ
"مسكينةٌ أيتها الأرض، الوداعُ"
وكما أسلمتَ روحكَ أسلمتَ رُفاتكَ
ومنه "فاتحِ جنّةً" وانساب "حنانُ جَحيم"
مَن كان يظنُّ
أنكَ في ظَلام النِّهاية
ستكتب بدايةً لا نهاية لهَا
أنّ الضوء سيكتبكَ علىٰ لوح العَالم
أنّ قلبكَ المستوحشَ ورُوحكَ الحمراءَ
سيُصْبحان أبيضَين
أنّ الذهب والوردة سيهبّان في غفوتكَ
أنّ الظلال سترتمي علىٰ سريركَ
أنّ الأماكن ستتسع لطيفكَ الذي من ريح؟
مَن كان يظنُّ
أنكَ ستسمع كالنَّائم وترى كالأعْمَىٰ
أنكَ ستنزلُ مع النَّدى وحيداً
ووحيداً ترتفع مع الهَواء
أنكَ ستنتهي حارساً لغابة الصّنوبَر
نسراً فوق قبّتها ومَلاكاً بين أفيائها
صديق القصعين والوزّال والطيّون
سارق عشبة الخلود
التي ذوت في حُلْمٍ جلجامش؟
مَن كان يظنُّ يوماً
أنكَ ستنتهي مثلما بدأتَ
حلماً في بال قَصيدة؟
أن تُرقد بين الأشْجار
تُطلّ من أعلىٰ الرَّبوة
علىٰ أحراج قيتولي
وإذا ضجرتَ
تعدّ الغُيوم العابرة
تلك التي ناديْتَها "يا غُيوم"
تنَام عندَ شُروق شَمس الأزل
تصحو قبل سدول ليل الخليقة بقليل؟
ماذا تقول أيُّها الرَّجل الغامضُ
الرَّجل التامّ الوُضوح
أيّها الهاربُ من خوف إلىٰ حريّة
الجالسُ في عتمة رُوحكَ
المستيقظُ في العتمة شديدة النَّقاء
الحاملُ العتمة بين ذراعيكَ؟
هل تصالحتَ الآن مع السَّماء
هل صالحتَ بين سماء وجَحيم؟
الليلُ المنبسطُ أمامكَ
لم يكنْ سوى ليلكَ
البازغ من أعمق نقطة ضَوْء
في قلبكَ
ليل جَوارحكَ
ليل ملائكتكَ
ليل شياطين اللذَّة
المطرودين إلىٰ نَعيمكَ
هل حقاً آن الأوانِ لتسلّم ورقةً أخيرةً
وتنفض عن ثيابكَ غبار أيام مَشيتَها
لتنتهي في كتاب المُستحيلِ؟
أتذكر كيف صرختَ: أخافُ
في أوْج ربيع قاس؟
كيف خاطبتَ الدَّم المُرتفع مثل حائط؟
كيف واجهتَ عدوى لعنَة الشُّعراء
شاهراً القصيدة الملعُونة
النازلة لحينها من سماء الجَحيم؟
المتلبّد أنتَ كخمرة عتيقة
المشرق في أوْجِ الاحتدام
المعتم كالسرِّ
الأعنف من طعنَة
الأرقّ من صفحة دُخَان
الأعذب من جلد فتاة
الأشفّ من جَناح فراشة
كان للجميع وقتٌ فصبرُوا
لكنّ زيارتكَ كانت عاجلة
وسَفَرُكَ الطويل لم يدَعْ لكَ
وقتاً لتصبر
لتنتظر رُجُوع يمامة بغصن زَيْتون
لتبصر العالم يطفو علىٰ ماءٍ وضوْء
وأمام بوّابة الموت
كنتَ أوّل الواصلينَ
دخلتَ وعلىٰ رأسكَ إكليلٌ
والعالمُ من ورائكَ
العالمُ من ورائكَ
يحترق في "شمس العَوْدة".

* (في الذكرى السنوية الثانية لرحيل الشاعر أنسي الحاج)

* تخطيط: ساي سرحان

تعبير ذاتي حزين عن الفنان والعالم

تيرنس ديفيز المولع بالتطلع إلى الماضي

تيرنس ديفيز.. مهموم بالأسرة كشاهد على التغيرات الاجتماعية

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ شهد مهرجان برلين السينمائي الأخير العرض العالمي الأول لفيلم "عاطفة هادئة" A Quite Passion للمخرج البريطاني الكبير تيرنس ديفيز. وكان مهرجان لندن السينمائي قد عرض فيلمه السابق "أغنية الغروب" (2015)، أي أن ديفيز الذي لم يكن قد أخرج سوى ستة أفلام روائية طويلة وفيلما تسجيليا طويلا و3 أفلام قصيرة منذ أن بدأ الإخراج السينمائي عام 1976، انتفض فجأة فأخرج فيلمين في أقل من سنة واحدة، ليصبح رصيده ثمانية أفلام روائية طويلة.

ولعل ما يلفت النظر في فيلمي ديفيز الأخيرين أن هذا المخرج المتمرّد على الفيلم التقليدي، صاحب الأسلوب الشعري المميز، يعود في هذين الفيلمين إلى عالم الأدب، فهو يستمد "أغنية الغروب" من رواية الأديب الإسكتلندي لويس غيبون التي تدور أحداثها في مزرعة بإسكتلندا في أوائل القرن العشرين، بطلتها فتاة تفضل إنكار ذاتها من أجل الحفاظ على كيان الأسرة في ظروف شاقة، ويستند الفيلم الثاني إلى حياة وأشعار الشاعرة الأميركية إميلي ديكنسون من القرن التاسع عشر، التي عرفت بتزمتها البيوريتاني وانطوائها الاجتماعي، رغم موهبتها الشعرية النادرة، التي لم يعرفها العالم سوى بعد وفاتها في 1886.

يطغى الطابع الأدبي على الفيلمين، ولكن دون أن يغيب تماما عن كليهما الاهتمام بالشعر، سواء على مستوى الصورة، أو على مستوى البناء. ولا تغيب عنهما أيضا الفكرة المؤرقة لديفيز منذ بداية عمله بالسينما، أي علاقة الفرد بالعائلة. فقد كان دائما مهموما بالذاكرة، بالعنف العائلي، وأساسا بالعائلة كأساس اجتماعي صلب يجسد من خلاله التغيّرات التي تحدث في المجتمع الكبير.

الأصوات البعيدة

فيلمه الروائي الطويل الأول "الأصوات البعيدة.. مازال حيا" (1988) عمل لا يشبه غيره من الأفلام. إنه عالم بصري وسمعي قائم بذاته. وقد جرى تصويره على مرحلتين يفصل بينهما عامان، على أن يكون العمل ضمن فيلمين مختلفين، وباستخدام نفس الممثلين. ولكن ديفيز قرر الجمع بينهما في فيلم واحد (85 دقيقة) ورغم تناوب اثنين من المصورين العمل فيه إلا أنه جاء منسجما ومتناغما بشكل مدهش حقا.

تدور أحداث الفيلم في الأربعينات والخمسينات، لكنه ليس فيلما عن الماضي رغم ما يشيع فيه بالضرورة من نفس نوستالجي واضح. وهو يعبر عن جانب مهمّ في حياة مخرجه ومؤلفه ديفيز نفسه، إلا أنه ليس فيلما من أفلام السيرة الذاتية، كما أنه يحتوي على الكثير مما تختزنه ذاكرة مخرجه، ورغم ذلك ليس من الممكن اعتباره فيلما من أفلام الذاكرة.. تدور أحداث الفيلم في بلد المخرج أي ليفربول في شمال إنكلترا، والمكان في الفيلم يكتسب أهمية خاصة بسبب سماته المميزة وطبيعة العلاقات في محيطه الاجتماعي خلال تلك الفترة، ومع ذلك نحن لا نستطيع أن نلمّ بالمكان سوى من خلال اللهجة التي تتحدث بها شخصيات الفيلم. ويمكن القول إن الفيلم مزيج من السيرة الذاتية والذكريات عن العصر المميّز بفنونه الشعبية الشائعة، كما أنه فيلم عن تعاقب الزمن ومروره وتأثيره علينا جميعا.

يدور القسم الأول من الفيلم "الأصوات البعيدة" حول أسرة عمالية كاثوليكية تقطن أحد الأحياء الشعبية، مكونة من الأب والأم والابنتين والابن. يشترك أفراد هذه الأسرة جميعا في المعاناة بسبب فظاظة الأب السكير وقسوته وتسلطه، وتماديه في تعذيب أقرب الناس إليه، وهم أبناؤه وزوجته. ولكن شخصيته لا تخضع هنا للتحليل النفسي، بل تقدم كجزء من ذلك الزمن، من تلك الفترة التي مضت. والفيلم عبارة عن احتفال هائل بالزمن، بكل ما فيه من جمال وبؤس، خير وشقاء. وهو دعوة إلى فهم الحاضر في ضوء الماضي.

ليس هناك بناء درامي تقليدي، فأسلوب السرد لا يعتمد على الحبكة، ولا على التحليل الاجتماعي الطبقي الذي يدور حول علاقة الطبقة العاملة بغيرها من الطبقات في المجتمع البريطاني المعقد، بل على تكوين فسيفسائي يتكوّن من ذرات دقيقة وشرائح عابرة ومواقف متفرقة مبعثرة هنا وهناك، كما لو كانت تنبع من تداعيات الذاكرة الشخصية للمخرج نفسه.

يصوّر الفيلم شذرات من الصراع بين الأبناء وأبيهم الشرس، ثم يتوقف أمام ذكرى رحيله المفاجئ في ليلة زفاف ابنته الكبرى.. ورغم غيابه عن الحفل إلا أنه يظل موجودا في ذاكرة الجميع.

القسم الثاني "مازال حيا" يصور كيف تتقدم الأم في العمر مع مرور الزمن، تراقب أبناءها يكبرون أمام عينيها، يشقّون طريقهم في الحياة، تتزوّج الابنتان من رجلين أقل تطرّفا في القسوة من الأب الراحل، لكنهما صورة أخرى منه في الفظاظة والغلظة، وكأنه قدر ومكتوب.

يسود الفيلم الغناء، فالأسرة تغني في جميع المناسبات، وكأنها بالغناء البديع وتذكّر كلمات الأغاني القديمة واستعادتها في هارمونية رائعة، تتغلب على قسوة الزمن، نرى أفراد الأسرة جميعا يغنون غناء جماعيا في الاحتفالات والأفراح، والأعياد، في اللقاءات الخاصة مع الضيوف والأصدقاء، أو عندما يجتمع شمل الجميع مع الأصدقاء والصديقات في الحانات الشعبية. إنه احتفال كبير بأغاني الفترة، بأفلام هوليوود الرومانسية، وبالموسيقى الشعبية والرقص.

منذ هذا الفيلم سيتميز أسلوب تيرنس ديفيز السينمائي بالاهتمام الكبير بالإضاءة، بحيث تلعب دورا أساسيا في التعبير عن المشاعر الخفية، وبالحركة الطويلة البطيئة للكاميرا، وهي تمرّ على الجدران بما عليها من صور، ثم تستقرّ عند أسفل الدرج، وهنا تتعالى الأصوات من الغرف العلوية للمنزل، تعيد إحياء المكان المهجور بالذكريات. وهناك لقطة أخرى طويلة تتحرك خلالها الكاميرا على نوافذ البيوت المتجاورة إلى أن تستقرّ على نافذة في منزل الأسرة، نرى الأب من خلالها وهو يقوم بتنسيق شجرة عيد الميلاد في الداخل.

اليوم الطويل

وفي فيلمه التالي "خاتمة اليوم الطويل" (1992) الذي ينتمي إلى السينما الشاعرية يواصل تيرنس ديفيز ما بدأه في فيلمه الأول فهو يستخدم البطل الصغير نفسه "بد" المعادل الدرامي لشخصية ديفيز نفسه خلال فترة طفولته، لا من أجل أن يكمل ما بدأه في فيلمه السابق، بل لكي يرينا الجانب الآخر من رؤيته، الجانب الأكثر إشراقا وتألقا ومرحا، رغم بقاء بعض الظلال القاتمة كامنة في الخلفية.

والفيلم يعتمد في الأساس على تكثيف لحظات ومواقف تركت تأثيرها الكبير على ذاكرة الفنان، لحظات فيها من الواقع بقدر ما فيها من الخيال، خيال طفل كان في العاشرة من عمره في منتصف الخمسينات، الفترة الزمنية التي تدور فيها أحداث الفيلم.

في "أصوات بعيدة" كان ديفيز يبوح ويعترف لنا بفترة تركت تأثيرها عليه وهو بعد طفل صغير.

كان محور هذا الشقاء هو "الأب"، بشخصيته المتطرفة المسرفة في القسوة على أبنائه وزوجته، لا لسبب سوى لأنه لم يكن هو شخصيا يشعر بالأمان. وفي "خاتمة اليوم الطويل" يعود المخرج مرة أخرى إلى اقتباس لحظات تتميز بالطابع اللطيف المرح في طفولته.

الآن استقرّ مع والدته وشقيقاته في منزل آخر في ليفربول، وأصبح ما يشغله أكثر ويستقطب اهتمامه هو ما يحدث حوله في المدرسة؛ مشاجرات التلاميذ، ميله الفطري إلى الهدوء والجنوح إلى المسالمة يجعلانه أكثر عرضة لإيذاء الزملاء، وكذلك بدء ظهور أحاسيسه الخاصة تجاه المرأة، وما يحدث للجيران والأصدقاء.

هنا نلحظ احتفالا كبيرا بالذكريات دون تحميلها طابع النقد أو الغضب. والمكان هنا أكثر بروزا أيضا. ودائما هناك علاقة وثيقة بين الناس والأماكن: الشوارع، البشر، المطر الذي يتساقط في رقة، والغيوم المحلقة في سماء المدينة، الحانات، الطرقات، السلالم، المدرسة، ودار السينما التي كان بطلنا يتردد عليها مع أمه أسبوعيا. وتصبح أغاني الفترة بالضرورة جزءا أساسيا من "الذاكرة"، نسمعها في الحانات، وتتردد أثناء الاحتفالات الأسرية والمناسبات العامة والأعياد.

إن كل شيء مكرس هنا لتحقيق رؤية بصرية تقوم أساسا على التكوين الدقيق للقطات وعلى الحركة الطويلة للكاميرا التي قد تمتدّ من الخارج إلى الداخل، من الأعلى إلى الأمام ثم تهبط إلى أسفل، أو تمرّ على جدران المنزل بكل ما بقي معلقا عليه من صور.

إنجيل النيون

فيلمه الثالث "إنجيل النيون" (1995) يدور في الجنوب الأميركي في بداية الأربعينات، وبطله طفل صغير يعيش حياة قاتمة في إحدى القرى المتزمتة المعروفة بتمسكها بالكنيسة، ولو من الناحية الظاهرية، لأن المعادل المباشر للكنيسة أي الرحمة والتعاطف، مفقودان تماما في نسيج العلاقات الاجتماعية داخل القرية.

يبدأ الفيلم بحركة رصينة للكاميرا داخل قطار نرى فيه بطلنا ديفيد ابن الخامسة عشرة من عمره يرحل بعيدا عن البلدة التي نشأ فيها وظل حبيسا داخل جدران واقعها المرير. ثم يعود بنا الفيلم إلى ما قبل خمس سنوات مضت من عمر بطلنا في مشاهد فلاش باك بطول الفيلم كله تقريبا، لكي نرى مشاهد من ذاكرة البطل الذي يعيش مع أمه المريضة الضعيفة، وأبيه السكير القاسي غليظ القلب الذي يضرب الأم كل ليلة لكي يحصل على ما بقي معها من قروش قليلة لكي يواصل احتساءه للشراب. تبدو الدنيا مظلمة في وجه ديفيد الذي يحب أمه حبا جما، ولكنه لا يستطيع التصدي للأب القاسي الغليظ (الثيمة نفسها في الفيلم الأول لديفيز).. إلى أن تأتي لحظة الاستنارة في حياة البطل الصغير مع وصول الخالة ماي لكي تعيش مع الأسرة. وماي التي تجاوزت الأربعينات من عمرها كانت في الماضي مغنية وراقصة في الحانات الليلية، مليئة بالمرح وحب الحياة، وتصبح منذ لحظة وصولها ملهمة لخيال الفتى الانطوائي، يرافقها أينما ذهبت رغم ضيق الأب وتبرّمه بالأمر.

ومع دخول أميركا الحرب العالمية الثانية، يذهب الأب إلى الحرب ولا يعود أبدا، وتتدهور الصحة الجسدية والعقلية للأم. وبعد أن ينهي ديفيد دراسته الابتدائية يلتحق للعمل في وظيفة بائع في حانوت كبير ويقوم بمساعدة أمه المريضة المعتكفة، يتعرف على فتاة في مثل سنه، لكن سرعان ما تنتهي علاقته بها. وعندما تحصل خالته على عرض للغناء في ناشفيل وتقرر الرحيل، تعرض على ديفيد الذهاب معها، ويقاوم هو المشدود إلى عالمها بخيوط سحرية، الرغبة مفضلا البقاء مع أمه التي تراودها بين حين وآخر نزعات انتحارية. ومع رحيل الخالة التي كانت دائما تحلم باستعادة ماضيها المزدهر في الغناء بالنوادي الليلية، يكون ديفيد قد تغيّر ورأى البعد الآخر في الحياة، ذلك البعد المتفائل الجميل الذي يسرح فيه بخياله كل ليلة. وفي النهاية، يحزم أمره ويغادر القرية اللعينة.

في الجزء الأول من الفيلم ينجح تيرنس ديفيز في تصوير الأجواء التي برع من قبل في تصويرها: أجواء البلدة الكئيبة التي يمنحها ألوانا داكنة، وحركة الكاميرا الطويلة الرصينة المعقدة باستخدام الرافعات (الكرين)، لكي يصور لنا حياة النفاق التي يحياها أهل البلدة الذين لا يكفون عن التردّد على الكنيسة الموجودة في لقطات عديدة في الخلفية، وفي الوقت نفسه مواصلة اغتياب الآخرين والعبث المجنون. وفي الكثير من لقطات فيلمه يستخدم ديفيز الكاميرا المتحركة لخلق اللقطة/ المشهد، أي اللقطة الطويلة التي تستمرّ دون قطع، وهو الأسلوب الذي ميّز أفلامه من البداية.

عن الزمن والمدينة

في فيلمه التسجيلي البديع "عن الزمن والمدينة" (2008)، يربط ديفيز بين المدينة التي ولد ونشأ فيها وعرف السينما عند أبواب دور العرض القديمة فيها (مدينة ليفربول)، وبين الأحداث الكبرى التي شهدتها المدينة أو انعكست عليها، طوال الخمسينات والستينات، من الحرب الكورية إلى زواج الملكة إليزابيث الثانية، وينتقل من المدينة كساحة فسيحة مفتوحة على الدنيا عبر البحر، إلى كونها أقدم الكاتدرائيات الكاثوليكية في بريطانيا، وهنا يتطرق ديفيز إلى علاقته بالكاثوليكية، وكيف بدأ شكه فيها، ثم تمرده عليها وإلى أين انتهى.

> يبدو ديفيز مهموما بالعامل الطبقي، فهو يشعر بالغضب من فكرة التهميش، والقبول بالأمر الواقع. ويتوقف طويلا أمام النمط المعماري الجديد الذي تبدو عمارته أقرب إلى عمارة السجون، والذي بدأ استخدامه في الخمسينات في ليفربول (وعموم بريطانيا في الواقع) لأسر الطبقة العاملة

يبدو ديفيز أيضا مهموما بالعامل الطبقي، فهو يشعر بالغضب من فكرة التهميش، والقبول بالأمر الواقع. ويتوقف طويلا ويكرر في لقطات منتقاة من الأرشيف ومن الجريدة السينمائية، أمام النمط المعماري الجديد الذي تبدو عمارته أقرب إلى عمارة السجون، والذي بدأ استخدامه في الخمسينات في ليفربول (وعموم بريطانيا في الواقع) لأسر الطبقة العاملة. المباني العالية ذات النوافذ الجهنمية المتعددة التي يتم عزل الأسر فيها، وقمعها بإخفائها عن الواجهات.

لكنه يتوقف أيضا أمام فريق "البيتلز"، وهو تعبير مجسد عن أبناء ليفربول الذين تأروا لفقرهم وأصولهم وحققوا ما لم يحققه أحد في تاريخ الموسيقى البريطانية حتى وقتنا هذا.

يعلق ديفيز على الفيلم بصوته الشجي، الحزين حينا، والغاضب حينا آخر، في تدفق وحرارة وتلقائية غير معهودة في الأفلام الوثائقية. إنه يصنع مع الموسيقى التي يختارها بعناية كبيرة، ومع انتقالات المونتاج ولقطاته المتعارضة المتقابلة والأغاني الشائعة التي كانت تشدّه في طفولته، عملا بديعا يعكس الصراع داخل الفنان الناتج عن ازدواجية الحب والكراهية، التي تولّدت منها أعظم الأعمال الأدبية والفنية.

سطوة الأب وذكريات الماضي في «الأصوات البعيدة»

السينما تلعب دورا كبيرا في تشكيل وعي البطل في «إنجيل النيون»

انتقل ديفيز إلى عالم الأدب في «أغنية الغروب»

تيجان كلسية تبهج الخيال

مغارة بني عاد تحفة طبيعية تمتد من الجزائر إلى المغرب

لكل خياله في تأويل المنحوتات الطبيعية

لم يعد لسياحة الفخامة اهتمام يذكر بعد أن أصبحت لوازم الرفاهية متوفرة في كل المدن الحديثة وحتى المنازل، لذلك توجه أغلب المغرمين بالسفر إلى سياحة المغامرة والاستكشاف والاطلاع على الثقافات الشعبية للشعوب الأخرى.

❑ **الجزائر**– تحفل الجزائر بالعديد من المغارات والكهوف المنتشرة عبر أرضها المترامية، فأينما يتوجه الزائر في هذه الأرض المترامية تعانقه متاحف طبيعية كما هو حال مغارة "بني عاد" الشهيرة التي تتراقص بها الأساطير التي نسجها الإنسان منذ 5 آلاف سنة.

يقولون عن تلمسان "من زار عاصمة الزيّانيين فقد اكتشف العالم، ومن زار مغارة بني عاد فيها فقد جال العالم". فمغارة بني عاد هي مغارة طبيعية صنّفت كثاني أكبر المغارات، وتعدّ الأولى والأجمل في شمال أفريقيا، حيث يقصدها سنويا ما يناهز عن 27 ألف سائح، وتتميز بنوازل وصواعد كلسية هائلة تستطيل بسنتيمتر واحد كل مئة عام.

واكتشف الأمازيغ مغارة بني عاد في القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد حسب اختلاف الروايات، ليتخذوا منها مسكنا آمنا لهم وقصورا لملوكهم وزعمائهم.

فمن أبرز ما يميّز المغارة طولها الذي يتجاوز 750 مترا، وانحدارها إلى عمق يقرب من 57 مترا، واتساعها لعرض يزيد عن العشرين مترا، وبدرجة حرارة ثابتة طول العام عند 13 درجة، مشكّلة بذلك تجاويف وحجرات ذات منحوتات طبيعية، توفّر للزائر أريحية أثناء التجوال، عكس بعض المغارات الأخرى التي يضطر فيها إلى السير داخل الماء في مسارات ضيقة أو منخفضة.وتمت تهيئة ساحة أمام مدخل المغارة بمرافق عامة، كمقهى ومطعم بالإضافة إلى إنارة المغارة ووضع طريق فيها ينحدر بسلّم حجري، ثم يتواصل منعرجا وملتويا كجسر أو كسكة قطار ألعاب بين تلك المنحوتات الرائعة.

وقد ألهمت المغارة كبار المؤرخين من شعراء وكتاب مما جعلهم يؤرخون لها في كتاباتهم من أمثال العلامة عبدالرحمن بن خلدون، وابن أبي زرع ومن الشعراء نجد ابن خفاجة وابن الخميس.

ويعد الوصول إليها شرقا في حد ذاته سفرا مجانيا في عوالم طبيعية غاية في الجمال، إذ في الطريق إلى بني عاد تشد انتباه الزائر جبال الوريت التي هي عبارة عن غابات وجبال، وتلك الشلالات التي كانت قديما تنبعث منها مياه تنزل مهذارا تبعث الانتعاش في نفوس الزوار.

ورغم جفاف تلك الشلالات إلا أن مسؤولي المنطقة اهتدوا إلى إقامة شلال اصطناعي للحفاظ على هذا الإرث الطبيعي، في جبال يشقها "جسر إيفل"، وهو الجسر الذي صممه صاحب برج إيفل بباريس والذي لا يزال اسمه منقوشا فوق الجسر، كما لا يمكن لأيّ زائر لمغارة بني عاد مواصلة هذه الرحلة دون توقف والارتواء من مياه "عين الصخرة" العذبة.

وتنقسم القاعدة الكبرى للمغارة إلى قسمين، يحتوي القسم الأول على أعمدة كلسية ذات أشكال تبهر زائريها يبلغ طولها حسب بعض الروايات 150 كلم، ويمتد حتى تراب المملكة المغربية مرورا جنب غار بومعزة بسبدو جنوب تلمسان إلى مغارة الحوريات بسيدي يحي قرب وجدة المغربية، حين تستمر في النزول عبر مسلك ضيّق تمت تهيئته للراجلين، يستقبلك هديل الحمام الذي يتخذ من المغارة مسكنا آمنا.

ولا شك أن الذي يعرف الصحراء وواحاتها يخيّل إليه أنه مقبل على الاستظلال بواحة للنخيل، حين يرى تلك الصواعد الصخرية الكلسية العجيبة في شكل شجر النخيل، فيعانق بعضها بعضا وقد ارتسمت فوقها أشكال غريبة وعجيبة يفسرها كل حسب مخيلته وإدراكه.

في أسفل المغارة توجد قاعة السيوف، وسمّيت كذلك للعدد الكبير من الصخور النوازل التي تشبه السيوف العربية البيضاء والمقدر عددها بعشرات الآلاف من مختلف الأحجام.

وتسمى هذه القاعة الفسيحة بقاعة المجاهدين، حيث كان الثوار الجزائريون يتخذونها ملجأ يلجؤون إليه من ثقب صغير كان يؤدي إلى سفح الجبل، وبعد اكتشاف الأمر من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1957 تم تدمير ذلك الثقب بواسطة الديناميت، مما أدى إلى ردمه وبقيت آثار الجريمة بادية إلى اليوم، وتتسرب مياه الأمطار المتساقطة إلى جوف الأرض وإلى أسفل المغارة.

ورابع قاعة، هي قاعة الرخام الواسعة والشاسعة ذات الجدار الأبيض الملَون كصفائح الرخام نتيجة الترسبات الكلسية البيضاء التي تتركب بواسطة القطرات المائية المتناثرة على رؤوس الصخور الحادة، والتي يعود تشكيلها إلى آلاف السنين، وبالتالي باستطاعة المرء أن ينقر بيده أو بعمود خشبي على الجدار الصخري، ليحدث بذلك نغمات موسيقية تتزاوج مع رجع الصدى القوي داخل الغرفة مشكلا ألحانا عذبة وموسيقى رنانة تعبّر عن أنواع الموسيقى الحالية بالعالم العربي والغربي، حيث يبرز الدف وأنواعه في واجهة الآلات الموسيقية العصرية.

الصواعد الصخرية الكلسية العجيبة تأخذ شكل شجر النخيل، فيعانق بعضها بعضا وقد ارتسمت فوقها أشكال غريبة تحرك الخيال

وحسب علماء الجيولوجيا، فإن تلك القطرات المحملة بالكلس وبثاني أكسيد الكربون وبعد تساقطها إلى أسفل المغارة، تخلّف ترسبات كلسية تتحول إلى نوازل صخرية ساحرة وبعد تساقط تلك القطرات إلى أسفل المغارة تبدأ الصواعد في التشكّل، وقدّر الجيولوجيون كل سنتمتر واحد بمئة سنة.

وتتوزع بالممرات والزوايا أشكال مختلفة محيطة بها من كل جانب تعبّر عن حضارات عربية وفينيقية ورومانية قديمة، إذ لا تكاد تفارق عينك ولو للحظة واحدة وأنت تعبر من غرفة إلى أخرى، تماثيل متنوعة وضخمة وكأنها نحتت بواسطة اليد، مختزلة أضخم الأعمال التي أوجدها الإنسان على سطح المعمورة منذ نشأته، بدءا من الفراعنة إلى الحضارة الإغريقية، على غرار تمثال "أبو الهول" بأهرامات مصر في مشهد حراسة الهرم، بالإضافة إلى شخصية فلسفية ممثلة في أرسطو في حديث مع الإمام، بالإضافة إلى سور الصين العظيم، وصورة أمّ ترضع ولدها الجائع على قمة هضبة، وكذا لوحة فنية طبيعية ترسم محاربا رومانيا يحمل قوسا ورمحا في حالة استعداد لبدء المعركة، ناهيك عمّا يزخر به هذا الكهف العجيب من تراث طبيعي ورموز وتعبيرات عديدة تفهم حسب إدراك ومفهوم كل شخص، ولا يشترك غالبية الناس في تفسيرها لأنها من صنع الطبيعة. وهذه هي السمة الجميلة فيها، فكل إنسان يتصورها كما تترجمها له مخيلته.

وعلى منوال تمثال الحرية المنحوت الذي قدمته فرنسا هدية للولايات المتحدة الأميركية، توجد داخل غرفة صخرية وسط المغارة، نسخة طبق الأصل لتمثال الحرية الذي يرتفع عاليا بولاية نيويورك. كما تحتوي من جانبها غرفة أخرى على تمثال طائر "الصقر" أو ما يُعرف بـ"طائر الملوك المفضل"، وكذا الحيوان البرمائي "الفقمة" في وضعية خروج من مياه البحر.

ورغم روعة مغارة بني عاد والإقبال الكبير من الزوار والسواح عليها، إلا أنها تبقى مكانا سياحيا غير مستغل من طرف السلطات القائمة على شؤون السياحة بمحافظة تلمسان لغياب بعض المرافق السياحية الهامة، لا سيما أن المنطقة المحيطة بالمغارة ذات تضاريس جبلية تصلح لأن تكون منتجعا سياحيا ضخما.

و من جهة أخرى تحتاج المغارة الى ضرورة الحفاظ على جمالها و سلامة الصخور والنوازل و الصواعد من خلال عدم لمسها وعدم إصدار الضجيج داخل المغارة كونها حساسة جدا لمثل هذه الأمور وتجنبا لسقوط الصخور.

مرحبا بكم في متحف الطبيعة

■ أخبار سياحية

◄ 3.2 مليون سائح أعمال في دبي

■ دبي تستعد لاستقبال نحو 3.2 مليون سائح أعمال خلال العام الجاري، وهو ما يمثل نمواً بنحو 7 بالمئة مقارنة بالعام الماضي، ويشكل نحو 21 بالمئة من إجمالي عدد سياح الإمارة خلال 2016، الذي من المتوقع أن يصل إلى 15.3 مليون سائح. وتعد سياحة الأعمال جزءا مهما من منظومة السياحة في الإمارات ودبي تحديدا، لا سيما أن دبي تسعى لتوفير مصادر أخرى من الدخل وزيادة مساهمة السياحة والأعمال في الاقتصاد.

◄ نيبال تمدد تصاريح تسلق جبل إيفرست

■ الحكومة النيبالية تمدد تصاريح التسلق لمئات الأجانب الذين اضطروا للابتعاد عن الهيمالايا بعد الزلزالين اللذين ضربا نيبال العام الماضي لتشجيعهم على العودة إلى الجبال. وقتل 19 متسلقا على الأقل حين حدثت انهيارات أرضية دفنت خيامهم في قاعدة التخييم الرئيسية في جبل إيفرست أعلى جبال العالم والذي يبلغ ارتفاعه 8850 مترا.

وألغى أكثر من 800 من متسلقي الجبال الأجانب –دفع الواحد منهم ما يصل إلى 11 ألف دولار– رحلاتهم الاستكشافية بعد زلزال أبريل 2015 الذي تسبب في انهيارات أرضية وجليدية ضخمة في جبال الهيمالايا.

◄ فتح قصور الأقصر أمام السياح

■ دراسة صدرت أخيراً، تطالب بتحويل القصور التاريخية في مدينة الأقصر لمزارات سياحية، حيث تشتهر المدينة الأثرية في صعيد مصر، بمزاراتها ومعالمها الفرعونية، التي يتوافد السياح لزيارتها من معظم بلدان العالم. كما تعرف الأقصر بأنها تحوي بين جنباتها العشرات من المعابد والمئات من المقابر التي شيدها ملوك وملكات ونبلاء مصر القديمة. لكنّ كثيرين لا يعرفون أن تلك المدينة الضاربة في أعماق التاريخ تضم بين جنباتها مجموعة من القصور التاريخية، التي تهدّم بعضها، وبقي الآخر شاهداً على تقدم فنون العمارة المصرية حتى اليوم.

◄ إنعاش ألماني للسياحة التونسية

■ وزير الداخلية الألماني توماس دي ميزيير يصرح بأن بلاده ستساعد تونس على إنعاش قطاعها السياحي معربا عن أمله في عودة سريعة للسياح الألمان إلى تونس. وقال دي ميزيير "إن تونس تبقى وجهة سياحية مفضلة للألمان ومن واجبنا أن ندعم كل مبادرة تهدف إلى النهوض بالسياحة التونسية التي تواجه صعوبات عديدة بفعل الهجمات الإرهابية الأخيرة في متحف باردو ومدينة سوسة الساحلية والتي تعد من الوجهات المفضلة للسياح الأوروبيين صيفا وشتاء".

◄ إيرباص تطور مقاعد للركاب البدناء

■ شركة إيرباص تعكف على تصميم شكل جديد لمقاعد الطائرات مخصص للركاب البدناء بهدف راحتهم أثناء رحلاتهم الجوية. وينطوي هذا التصميم على تحويل المقاعد الفردية صغيرة الحجم التي يفصلها مساند إلى مقاعد "كنب" قطعة واحدة. وأوضحت براءة الاختراع أن أحزمة الأمان لكل مقعد "كنبة" يمكن ضبطها بشكل يستوعب شخصين بالغين من البدناء أو ثلاثة بالغين أحجامهم متوسطة أو شخصين بالغين وطفلين صغيرين.

◄ فنادق ميليا تدخل السوق الإيرانية

■ فنادق ميليا العالمية تعلن عن دخولها السوق الإيرانية من خلال أول فندق مصنف عالمياً من فئة 5 نجوم وهو "غران ميليا غوو" والذي سيكون تحت إدارة شركة فنادق عالمية. يقع الفندق في أكبر مجمّع سكني وتجاري وفندقي يجري تطويره في إيران، وقد اختيرت له منطقة سلمان شهر واسعة الشهرة كوجهة سياحية في بحر قزوين.

العقل البشري صانع الذكاء الصناعي والمتحكم فيه

الكمبيوتر ودماغ الإنسان عنصران مكملان لبعضهما في عملية الابتكار

لا خلاف في أن الكمبيوتر أعظم اختراع أنتجته البشرية، فبواسطة هذا الجهاز استطاع الإنسان أن يتجاوز حدود المستحيل فبلغ الابتكار التكنولوجي منتهاه، خاصة فيما يتعلق بالروبوت، لكن هل تهدّد سرعة تطور الكمبيوتر العقل البشري؟

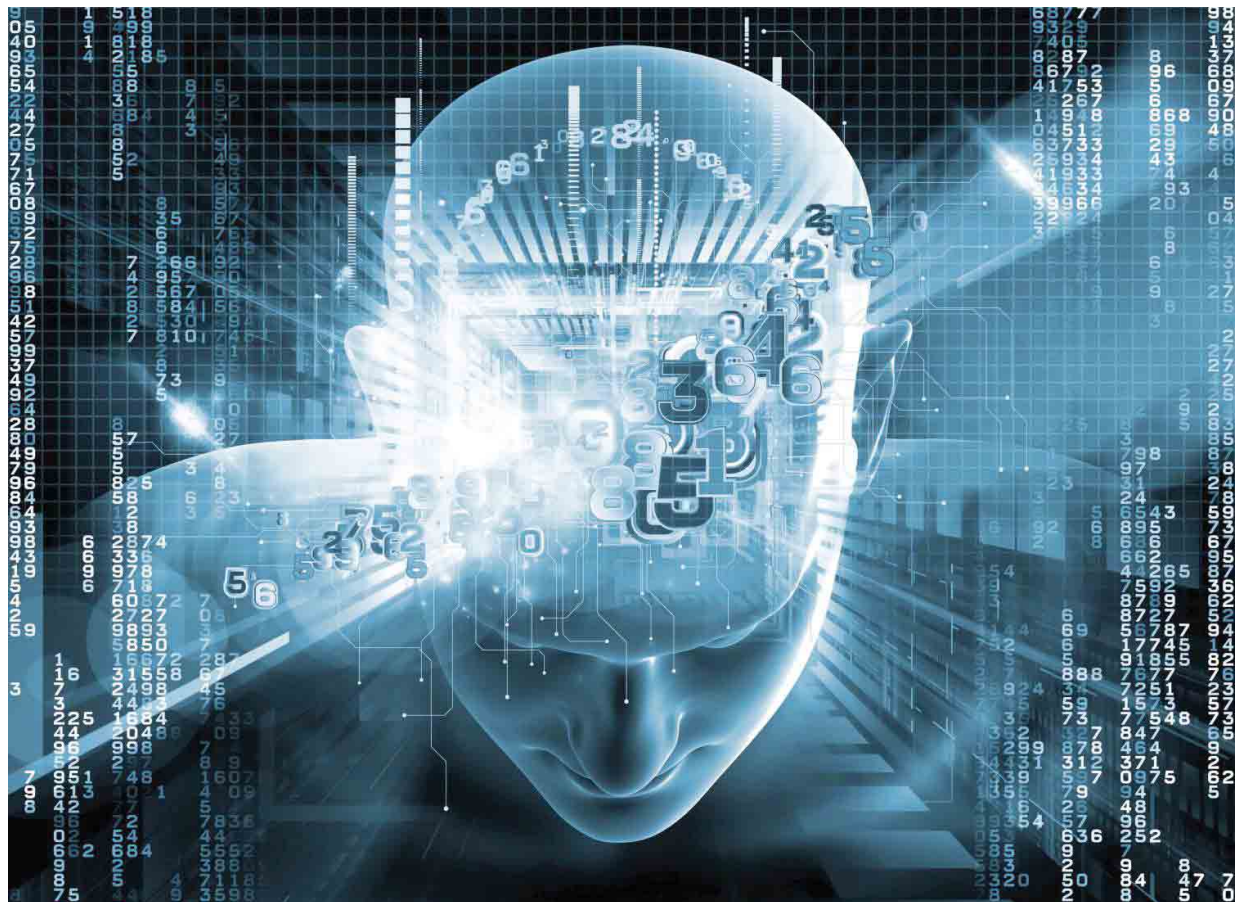

هل تتمرد الآلة على صانعيها من البشر

❑ **لندن** – يشهد العالم طفرة تكنولوجية في العصر الحديث جعلت عدة باحثين يطلقون تساؤلا يمكن اعتباره سؤال القرن وهو هل تفوّق جهاز الكمبيوتر على العقل البشري؟

يتسارع الجميع إلى الإجابة بالنفي حتى أنه وجدت دراسة جديدة ترى أن أجهزة الكمبيوتر الأكثر تقدما حتى اليوم لا تبلغ قوتها إلا بنسبة "واحد على ثلاثين" من قوة الدماغ البشري. فرغم ذكاء أجهزة الكمبيوتر حالياً و قوتها إلا أنها ما تزال بعيدة كل البعد عن العقل الإنساني، حيث أن أداء هذه الأجهزة لأعمال محددة يتم عن طريق البرمجة التي لا يزال الإنسان يتحكم فيها إلى الآن.

إذن فالاختلاف واضح بين جهاز الكمبيوتر وقدرات العقل البشري وهو ما دفع العلماء على مدى السنوات القليلة الماضية للبحث عن سبل الحصول على الكمبيوتر الخارق الذي بإمكانه تقليد درجة تعقيد ومعالجة قوة الدماغ البشري الحقيقي.

وانطلقت الأبحاث من قاعدة النظر في شكل عمل كل منهما، فالكمبيوتر الذكي يعمل وفق نظم معالجة متوازية وتتطور باستمرار تماشيا مع قانون مور الذي ينصّ على أن عدد الترانزستورات ضمن الرقاقة يتضاعف كل ثمانية عشر شهرا، في حين يعمل الدماغ البشري بشكل متواز أيضا، ولكن ضمن نطاق مختلف عن الكمبيوتر، ووفقاً لدراسات علماء الأحياء فإن الدماغ البشري يمتلك ما يقارب من 90 مليار خلية عصبية مرتبطة معاً ممّا يعني تواجد أكثر من 220 تريليون نقطة اتصال تسمى نقاط الاشتباك العصبي.

إن أقوى الكمبيوترات وأكثرها قدرة تكنولوجية ليست قادرة على محاكاة الدماغ البشري حتى الآن وهو ما دفع بالكثير من الباحثين إلى استخلاص أن محاكاة دماغ الإنسان مهمة تتطلب جهاز كمبيوتر أقوى بكثير من تلك التي نستعملها اليوم.

ولا يتوقع الوصول إلى هذه القدرات وفق مقاييس التكنولوجيا العملاقة اليوم قبل ثلاث سنوات على الأقل.

وقال بون كوابينا الباحث في قسم الهندسة الحيوية في جامعة ستانفورد "أحد التحديات الرئيسية في بناء نظام بنى عصبية عبر السيليكون هو أن كل عصبون يتصل مع الآخرين من خلال 8 آلاف نقطة اشتباك عصبي". وأضاف بون "نحتاج إلى حوالي 20 ترانزستور لتنفيذ مشبك واحد، ويتضح ان إمكانية بناء ما يعادل حوالي 220 تريليون نقطة اشتباك عصبي عبر الترانزستور والسيليكون ليست مشكلة سهلة الحل لدينا".

4
ملايين واط من الطاقة يحتاجها الكمبيوتر لإنجاز ما يفعله المخ البشري بأقل من 100 واط

إذن يستهلك المخ البشري كميات أقل من الطاقة من الكومبيوتر. فما يفعله المخ البشري بأقل من 100 واط من الطاقة يحتاج الكومبيوتر إلى 4 ملايين واط لإنجازه.

وأشارت دراسة بحثية تمّ نشرها مؤخرا إلى اكتشاف إمكانية احتفاظ الدماغ البشري بالمعلومات بكمية أكبر عشر مرات مما كان يعتقد سابقاً، ويعتقد العلماء الآن أن قدرة الدماغ البشري تدور حول البيتابايت أي ما يقارب الألف تيرابايت.

ويحتوي الدماغ البشري على مئة مليون جزء عامل، ومعظم الأدمغة تزن ما يزيد قليلا على ثلاثة أرطال وفيها تقريبا من عشر إلى أربع عشرة خلية عصبية. ولتصوير كم هي دقيقة هذه الخلايا، فإنه يمكن وضع 250 ألفا منها على قطعة عملة نقدية تساوي في حجمها البنس الواحد ورغم هذا الحجم الضئيل فإن كل خلية منها قادرة على تخزين قرابة مليوني جزء من المعلومات.

إذن فإن القدرة التخزينية للعقل الإنساني تساوي عشرة عناصر معرفية كل ثانية مدى الحياة أي 600 عنصر في الدقيقة و36 ألف عنصر معرفي في الساعة، وبالنسبة إلى عمر الإنسان العادي فإن عقله قادر على تخزين قرابة مئة تريليون من العناصر المعرفية.

وبعيدا عن مصطلحات علم الأحياء، فإن المخ البشري يقوم بأشياء مذهلة وإبداعية، بينما الكومبيوتر لا يبدع بل يكرر تعليمات كتبت بلغة الآلة من أجل تنفيذ المطلوب. فمثلا إذا أردنا من الكومبيوتر أن يرتب لنا الملايين من الأسماء ترتيبا أبجديا فإنه يقوم بذلك في وقت قصير يعجز المخ البشري عن القيام بمثله، ولكن هذا لا يعني أن الكومبيوتر يفكر أو هو عبقري، بل هو ينفذ برنامجا كتبه إنسان ما باستخدام لغة برمجة عالية وهذا البرنامج نفسه يعتمد على لغة الآلة البدائية التي اخترعها أيضا إنسان ما وتتضمن تعليمات قليلة ينفذها الكمبيوتر بشكل أسرع.

إذن لا يعمل مخ الإنسان بالنظام الثنائي (صفر-واحد) بل يعمل بطريقة أخرى غير مفهومة إلى يومنا هذا، حيث تظهر حقائق جديدة عن طريقة عمله بين حين وآخر تغير ما ظن الإنسان أنه يعرفه عن عمل المخ أو الدماغ البشري، فشبكات الخلايا العصبية في الدماغ تعمل بشكل مختلف تماما عن الدوائر المنطقية البدائية التي يستخدمها الكمبيوتر ولولا سرعته الهائلة لما ظهر بهذا الذكاء.

وتوصل العالم جيمس تريفل في نهاية دراسة قام بها في هذا المجال أن الكمبيوتر والدماغ البشري يكمّل كل منهما الآخر وأنهما يشكلان شراكة فكل منهما يزود الآخر بما لا يستطيعه، فالدماغ له وظائف لا يستطيع الكمبيوتر القيام بها، والتي من أهمها ما يتعلق بالعواطف والمشاعر الإنسانية والأمور التي نشير إليها في العادة بالإبداع والفن .

لذلك تحاول فرق من العلماء دوماً استخدام طرق التفكير والمنطق البشري لتطوير الكمبيوتر وجعله أكثر كفاءة وأكثر سهولة في الاستخدام وتطوير آلات قادرة على القيام بوظائف الدماغ المتطور لكنها لا تبدو مهمة سهلة أبدا.

التسوق الإلكتروني في المنطقة العربية يبحث عن الدعم

أصبحت التجارة الإلكترونية تحتل مكانة متقدمة اليوم من التبادل التجاري حول العالم، لكن مازالت المشاريع العربية صغيرة تعاني من العراقيل التي قد تهددها بالموت السريري إذا لم يسع اللاعبون في هذا المجال لمعالجة بعض النقائص.

❑ **دبي** – أصدرت مؤسسة غارتنر للدراسات والأبحاث العالمية دراستها عن نتائج الأعمال لعمليات التسليم والدفع وخدمة العملاء وهي تعتبر من أهم العناصر التي يتوجّب على كبار اللاعبين في مجال التجارة الرقمية على مستوى منطقة الشرق الأوسط تسليط الضوء عليها ليتمكنوا من تنمية أعمالهم، وذلك على هامش مؤتمر ومعرض غارتنر لتقنية المعلومات لمنطقة الشرق الأوسط الذي استمر لمدة ثلاثة أيام في دبي.

وقال نائب الرئيس الإداري لدى مؤسسة الدراسات والأبحاث العالمية غارتنر جين ألفاريز "يمتلك أكثر من نصف سكان منطقة الشرق الأوسط قدرة الوصول إلى شبكة الإنترنت، إلا أن المتسوقين عبر الإنترنت لا تتجاوز نسبتهم 20 بالمئة، رغم أن المنطقة تتحلّى بالكثير من دوافع النمو.

واليوم، تملك 15 بالمئة فقط من الشركات في منطقة الشرق الأوسط حضوراً فعليا على شبكة الإنترنت، وتتوزع 10 بالمئة من معاملات التجارة الرقمية ما بين السكان المحليين والشركات العاملة في المنطقة، في حين يتمّ إجراء باقي عمليّات الشراء خارج منطقة الشرق الأوسط. وفي ظل تمتّع المنطقة بأحد أعلى معدلات الناتج المحلي الإجمالي للفرد الواحد على مستوى العالم، وبانتماء غالبية سكانها لشريحة الشباب، وتشجيع المبادرات الحكومية، فإن منطقة الشرق الأوسط ستشهد نمواً قوياً في مجال التجارة الرقمية خلال السنوات القادمة".

وتوفّر حكومات المنطقة العديد من الخدمات عبر الإنترنت، بما فيها الرسوم الخاصة بحركة المرور، ودفعات المرافق الخدمية، وخدمات المؤسسات العامة، ما يتيح إمكانية الوصول بأسلوب سريع وسهل بالنسبة إلى المواطنين، مع إطلاع وتعريف الأشخاص بطبيعة المعاملات الرقمية. وقد قامت الحكومة اللوجستية، التي تدعمها السياسات التجارية والضريبية التفضيلية.

وقال ألفاريز "إن هناك عددا من الشركات التي تستثمر في مجال التجارة الرقمية، وذلك سعياً منها كي تصبح بمثابة شركة أمازون في منطقة الشرق الأوسط، إلا أن العديد من هذه الشركات لم تأخذ بعين الاعتبار بعد دور القنوات الرقمية على محمل الجد. من جهة أخرى، لا يوجد عدد كاف من عروض التجارة الرقمية في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما أدى إلى انخفاض معدل اعتماد العملاء عليها، وبالتالي تحول معظم عمليات الشراء إلى الشركات التي تقع خارج حدود المنطقة".

وحددت غارتنر أهم ثلاثة عناصر ينبغي على كبار اللاعبين في منطقة الشرق الأوسط تسليط الضوء عليها لتنمية التجارة الرقمية، منها عمليات التسليم التي تشكل التحدي الأول على مستوى المنطقة، فنظام عمليات التسليم غير موثوق في معظم الأحيان، فبعض المناطق لا تحظى بوجود أيّ نظام للعنونة.

ويتفاقم مستوى تعقيد هذه المسألة في بلدان مثل السعودية لعدم إمكانية فتح النساء الأبواب أمام رجال التسليم، لذا يتعين على شركات تقديم خدمات التجارة الرقمية، إما الاستثمار بدرجة كبيرة في عملية بناء شبكة خاصة بها من الخدمات اللوجستية والقوى العاملة في مجال التسليم، أو إرساء شراكة مع إحدى كبرى شركات تقديم الخدمات اللوجستية التي تتمتع بقدرة عالية على تغطية كافة أنحاء المنطقة.

كما ينبغي عليهم الأخذ بعين الاعتبار خيار الاستلام من داخل المتجر، الأمر الذي من شأنه الحدّ بعض الشيء من التحديات التي تواجه عمليات التسليم. وعلى رأس كل هذا، يجب على شركات تقديم الخدمات الأخذ بعين الاعتبار عروض الشحن المجانية، التي تحظى بشعبية كبيرة بين المستهلكين، كما أن لها أثرا كبيرا على عمليات التحويل.

وتعتبر عملية الدفع من أهم العناصر التي يجب التركيز عليها للنهوض بالتجارة الإلكترونية في المنطقة، حيث تم إجراء 80 بالمئة من عمليات التسوق عبر الإنترنت في منطقة الشرق الأوسط بواسطة الدفع نقداً عند التسليم، وهو ما يحد من مستوى فعالية وكفاءة هذه الصفقة تجارياً، فضلاً عن أن عملية التسليم تستغرق وقتاً أطول، كما أن هذه العمليات تميل إلى تسجيل معدل عائدات عال. وعليه، يتوجب على شركات تقديم خدمات التجارة الرقمية التعاون مع شركات تقديم خدمات الدفع من أجل طرح المزيد من خيارات الدفع، وذلك من أجل تبسيط عمليات التسوق، وتعزيز معدل عمليات التحويل. ومن خيارات الدفع الأخرى الخدمات المصرفية عبر الإنترنت، ومحفظة الدفع عبر الهواتف المحمولة، وقسائم الشراء النقدية، وبطاقات الائتمان الافتراضية.

جديد التكنولوجيا

❑ شركة واتس آب تعلن عن إيقاف دعم العديد من أنظمة التشغيل القديمة للأجهزة الجوالة مع حلول نهاية العام الجاري، ومنها على سبيل المثل بلاك بيري 10، وأنظمة تشغيل نوكيا "أس 40 وسيمبيان "أس 6 وكذلك غوغل أندرويد 2.1 (إكلير) والإصدار 2.2 (فرويو)، بالإضافة إلى الإصدار 7.1 من نظام مايكروسوفت ويندوز فون.

وتنصح الشركة الأميركية مستخدمي هذه الأنظمة بضرورة التحويل إلى إصدارات أحدث من أنظمة التشغيل قبل نهاية العام الجاري، وإلا فإنهم لن يتمكنوا من استعمال برنامج التراسل الفوري كالمعتاد.

❑ غوغل تبدأ اختبار خدمة جديدة للدفع الإلكتروني، أطلقت عليها اسم "خالي اليدين"، وتتيح للمستخدمين الدفع في المتاجر بمجرد قول عبارة "سأدفع مع غوغل"، حتى دون الحاجة لإخراج بطاقة الائتمان أو الهاتف الذكي.

وتتوفر الخدمة الجديدة، في الوقت الراهن على أجهزة أندرويد وآي أو إس، وتستخدم تقنيتي بلوتوث، و"واي فاي"، إضافة إلى خدمات تحديد المواقع للتأكد من أن المستخدم يقف بالقرب من متجر أو مطعم يدعمها.

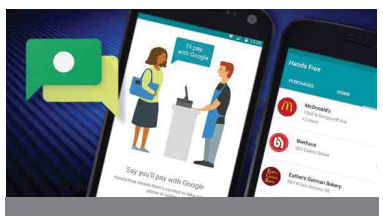

❑ آبل تطلق حسابا جديدا على تويتر مخصصا لتقديم الدعم الفني للعملاء، في خطوة جديدة لتوسيع حضور الشركة على مواقع التواصل الاجتماعي وللدفع نحو حل مشكلات العملاء فوراً. وقد استقطب الحساب الذي يحمل اسم "آبل سيبورت، عشرات الآلاف من المتابعين، وقد بدأ الحساب بتلقي استفسارات وشكاوى المستخدمين فورا.

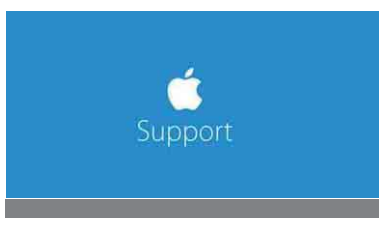

❑ خدمة مشاركة الصور إنستغرام تبدأ منع مستخدميها من الترويج لحساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى ضمن الملفات الشخصية خاصتهم على الخدمة، لأنها لم تكن تُستخدم كما كان مخططا لها. وتتيح إنستغرام، المملوكة لفيسبوك، لمستخدميها تضمين روابط "أضفني/تابعني" في قسم الموقع الإلكتروني على صفحات الملفات الشخصية خاصتهم، الأمر الذي كان يُستخدم للترويج لحساباتهم على تويتر أو تيليغرام أو سناب شات.

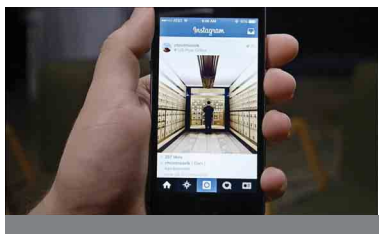

❑ سامسونغ تخصص ما يصل إلى 8 جيغابايت من مساحة التخزين الداخلية لهاتفي غالاكسي إس 7 وإس 7 إيدج لواجهتها المسماة "تاتش ويز ونظام التشغيل أندرويد.

وظهرت هذه المعلومات بعد بدء عملية شحن هواتف غالاكسي إس 7 وإس 7 إيدج في الولايات المتحدة، ووصولها إلى بعض المستخدمين، وتبين تخصيص ربع السعة التخزينية لنسخة 32 جيغابايت من الهاتف لنظام التشغيل. وتقدم الهواتف الذكية مساحة تخزين داخلية أقل من المذكورة في المواصفات الأساسية، ويعود ذلك إلى نوعية تنسيق الملفات الخاص بمساحة التخزين.

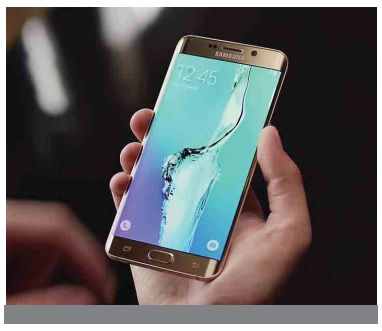

«التمارين البليومترية» تزيد قوة العضلات وتسرع إنقاص الوزن

تدريب يبني قوة الجسم ويبطئ تراجع العظام في الكبر

يعد التدريب البليومتري من أشهر تمرينات تنمية القدرة العضلية ويعتمد على تطوير القوة والسرعة معا وهو يتناسب مع كل الأعمار ومستوى القدرات. وتساعد سرعة النسق في أداء هذه الرياضات في تسريع عملية تحويل الدهون المخزنة إلى طاقة ونشاط.

التمارين البليومترية امتصاص للصدمات

❑ **لندن** – تعتبر التمارين البليومترية من التمارين السهلة وسريعة المفعول، وتعمل بشكل سريع على إنقاص الوزن وزيادة قوة العضلات في وقت واحد. وهذه التمارين ذات كثافة عالية وتساعد في تسريع عملية التمثيل الغذائي، وزيادة الكثافة العضلية إضافة إلى القوة والسرعة، وتم العمل بها بداية من عام 1970 من خلال بعض الخبراء الروس في مجال اللياقة البدنية.

وتعمل التمارين البليومترية على زيادة التحمل والطاقة والسرعة، كما أنها تزيد من القدرة على الرمي واللكم وتساعد على حرق السعرات الحرارية بشكل أسرع طوال اليوم وتزيد قوة الأداء وقوة الذراعين والساقين وتعزز الأداء الرياضي لكامل أعضاء الجسم، بشكل متوازن. ويؤكد الخبراء أن هذه التمارين لا تحتاج لمعدّات باهظة الثمن ولا لحيز كبير من الوقت.

ويستعين الرياضيون المحترفون بنسق مكثف من التمارين البليومترية لتحسين جاهزيتهم لخوض المنافسات.

وظهر التدريب البليومتري في الأصل في أواخر الستينات من القرن العشرين، حين حدد مدرب سوفياتي شهير اسمه يوري فيرخوشانسكي طريقة تدريب الآلية العضلية المعروفة بـ"دورة تقصير التمطط". ولفهم طبيعة هذا التدريب، يتحدث دونالد تشو، مؤلف كتاب "القفز نحو التدريب البليومتري" عن ضرورة التفكير أولاً بنوعين أساسيين من الانقباضات العضلية، وهما الانقباض غير المتراكز، حيث تصبح العضلات أطول حين تقاوم ثقل الجسم وهذا ما تفعله عضلات الألوية عند أخذ وضعية القرفصاء، والانقباض المتراكز، حيث تصبح العضلات أقصر لتحريك ذلك الثقل في الاتجاه المعاكس، أي حين تساعد تلك العضلات الألوية نفسها على النهوض من وضعية القرفصاء.

والتدريبات البليومترية هي التمارين التي تتطلب الانتقال من الانقباضات غير المتراكزة إلى الانقباضات المتراكزة خلال أعشار من الثانية، ما يمنحك دفعة من القوة. وترتكز التمارين البليومترية التقليدية، أي تلك التي سماها فيرخوشانسكي "التدريب الصادم"، على دورة تقصير التمطط عبر ممارسة التمارين التي تجعلك تتحرك بوتيرة سريعة في اتجاه واحد (نحو الأعلى أو الأسفل، أو بشكل جانبي أو مائل) قبل أن تغيّر الاتجاه فجأة. وتعد القفزة العميقة نموذجا مثاليا على ذلك. وتتلخص هذه القفزة في الوقوف على صندوق ثم القفز عنه وعند اصطدام القدمين بالأرض فجأة، تعاود القفز نحو الأعلى مجدداً.

واكتشف المدربون السوفيات أن هذه الحركات هي الأكثر فاعلية ضمن المجموعات التي تشمل ستة تمارين متكررة فقط، مع أخذ فترات استراحة كثيرة بينها.

ويضمن هذا النظام تنفيذ كل مجموعة من التمارين بأقصى درجات الحيوية والقوة، ما يعني النجاح في الانتقال من الانقباضات غير المتراكزة إلى الانقباضات المتراكزة. وكان المشاركون الأميركيون في سباقات المضمار والميدان أول من استعملوا هذه الحركات. لكن حين أدرك الناس كيف يطور التدريب البليومتري سرعة الأداء، لجأ إليه لاعبو كرة القدم، ثم كرة السلة وكرة المضرب.

ويوضح جيمس رادكليف، المدرب الرئيس على تمارين القوة والتكيف في جامعة أوريغون ومؤلف كتاب "التدريب البليومتري رفيع المستوى" أن منافع هذه التمرينات لا تحصى، ولا تقتصر المنافع المتوقعة على زيادة سرعة الركض.

وقال رادكليف "أثبتت أبحاث كثيرة أن هذا النوع من التدريبات يستطيع بناء قوة الجسم، حتى إنه يبطئ تراجع كثافة العظام مع التقدم في السن". ونُشرت دراسة عن التدريب البليومتري، في "مجلة أبحاث القوة والتكيف"، وقد أثبتت حصول تحسن ملحوظ في مستوى القفز وسرعة رمي الكرة لدى لاعبي كرة القدم. كما اكتشفت أبحاث سابقة أن تلك التمارين متصاعدة النسق التي ترتكز على الانتقال الحذر من الحركات البسيطة إلى التمارين الأكثر تعقيداً قد تخفض معدل الإصابات الرياضية، مثل تمزّق الرباط الصليبي الأمامي ووتر العرقوب عبر تدريب الجسم على امتصاص الصدمات والتحكم بها بفاعلية.

جدير بالذكر أن جل مراكز التدريب الآن تفضل اللجوء إلى نظام التدريب البليومتري الذي يجمع ثلاث فئات مختلفة: أولاً، تركز التمارين البليومترية الكلاسيكية على تدريب الاستجابة العصبية والعضلية التي تشغل أكبر عدد من الألياف العضلية بأسرع وقت ممكن لتقوية ردود الأفعال في نهاية المطاف. ثانياً، تتنقل التدريبات المعقّدة بين مجموعات من تمارين القوة ومجموعات من تمارين الطاقة المشابهة، مثل تمارين الضغط على مقعد تليها تمارين الدفع نحو الأعلى. وخلال تمرين الضغط على مقعد، تنشط نسبة كبيرة من الألياف العضلية. ثم يساهم تمرين الدفع نحو الأعلى في تدريب العضل كله على التجاوب بوتيرة قوية وسريعة. ومن خلال الالتزام بهذا النظام، يبني الجسم قوته وطاقته في الوقت نفسه. أما الفئة الأخيرة، فهي تشمل التدريبات المتقطعة والمكثفة مثل القفز عن الصندوق وتمارين حرق الدهون والاندفاع إلى الأمام بعد القفز.

ويؤكد المعالج الفيزيائي ديفيد ريفي الذي يساعد الرياضيين المحترفين على بلوغ أفضل مستويات الرشاقة أن هذه التمارين شائعة في حصص الرشاقة وهي أفضل الخيارات لفقدان الدهون وتعزيز قدرة التحمّل.

ولدمج هذه الطرق التدريبية الثلاث، استعانت مجلة مانز جورنال بالمدرب ستيفن أندروود الذي يعمل في مركز "أكسوس" في فلوريدا ويدرّب العسكريين والعاملين في وكالات إنفاذ القانون والملاكمين واللاعبين في الرابطة الوطنية لكرة القدم. وهو يهدف إلى رفع المستوى الرياضي وبناء القوة العضلية وحرق الدهون وتحسين أداء القلب والأوعية الدموية. ويشدد أندروود على أهمية التطور التدريجي والتركيز على الشكل المثالي. ويوضح قائلا "حين تبرع في ممارسة التمارين البليومترية، ستحصل على أداة مدهشة لزيادة مرونة الجسم، وهي ميزة لا تحصل عليها في النادي الرياضي".

وترتكز التمارين البليومترية الكلاسيكية على تكثيف وتيرة النشاط قدر الإمكان. ويقول المدرب ستيفن أندروود "الهدف هو النوعية وليس الشعور بالتعب". فقم بكل مجموعة من التمارين بأقصى قوة ممكنة ولا تتنقل بين المجموعات بسرعة. وللقيام بقفزة جانبية قف وألصق قدميك ببعضهما واحن ركبتيك وضع ذراعيك على جنبك. اضغط قدمك اليمنى استعداداً للقفز بأعلى مستوى ممكن نحو اليسار ثم استعمل ذراعيك لدفعك والهبوط على القدم اليسرى. عد إلى الوضعية الرياضية الأصلية: توقف ثم احن ركبتيك مجدداً واقفز نحو اليمين واهبط على قدمك اليمنى. كرر هذه الحركة خمس مرات لكل ساق واسترح لتسعين ثانية ثم كرر التمرين. قفزة بزاوية 40 درجة قف وألق بثقلك على ساقك اليمنى. اقفز إلى الأمام ثم إلى اليسار بزاوية 45 درجة واهبط على القدم اليسرى ثم ادفع قدمك اليسرى للقفز نحو الأمام بزاوية 45 درجة نحو اليمين واهبط على قدمك اليمنى. قم بقفزة واحدة على كل قدم. كرر هذه الحركة خمس مرات لكل ساق واسترح لتسعين ثانية ثم كرر التمرين.

> التدريب البليومتري يرتكز على الانتقال الحذر من الحركات البسيطة إلى التمارين الأكثر تعقيدا فيخفض بذلك معدل الإصابات الرياضية

أسس التدريب البليومتري

❑ يعتمد التدريب البليومتري في المجال الرياضي على الأسس الآتية:

■ **الأسس الفيزيائية:** وهي العناصر البنائية للجسم، كالقوة والسرعة وحجم العضلات وإطالتها ومرونة المفاصل.

■ **الأسس الميكانيكية:** وهي نظام العمل الميكانيكي للعظام والعضلات.

■ **الأسس النفسية:** وهي الإعداد النفسي سواء كان إعداداً طويل المدى أو قصير المدى والمتمثلة في الإرادة والتصميم والمثابرة على التدريب.

يشار إلى أن تدريبات الأثقال من أهم أساسيات التمارين البليومترية، حيث تعد القوة من أهم الصفات الجسمية، ذلك أنها الأساس في تطوير مستوى السرعة، وأنها تؤثر على المطاولة والمرونة. والتدريب على تنمية القوة يجب أن يكون متعدد الجوانب وقد دخل العمل برفع الأثقال، في السنوات الأخيرة لتطوير القوة، حيث أخذ مركزا مهما في جميع الألعاب الرياضية تقريبا. وتطوير قوة العضلات يتطلب وقتا يمتد لعدة سنوات لذلك يجب البدء به مبكراً قدر الإمكان عند التدريب.

النظام الغذائي الصارم ليس دائما الحل الأمثل للتخسيس

❑ **برلين** – كشف خبراء التغذية أن فقدان نسبة ضئيلة من الوزن تحفز الشخص أكثر وتدفعه للحفاظ على نظام غذائي أكثر اتّزانا. فملاحظة انخفاض الوزن ولو بنسبة قليلة، دون الاضطرار إلى التخلي عن بعض الأكلات المفضلة يضفي شعورا بمتعة النجاح في الوصول إلى الهدف، لا سيما بعد تفادي اتّباع أنظمة غذائية صارمة تعزز الشعور بالإحباط والحرمان. الأمر الذي يؤدي في نهاية الأمر، وفي كثير من الأحيان، إلى الضجر سريعا والتوقف عن الدايت.

وأكدت دراسة حديثة أن تخفيض 5 بالمئة من الوزن يفيد أكثر من حمية صارمة. وأجرى الدراسة فريق من الباحثين بقيادة فاديون ماغكوس من جامعة سان لويس في واشنطن، ونشرت في دورية "ميتابوليزم سال" الأميركية.

ووفقا للدراسة، فإن تخفيض الوزن –ولو كان بنسبة ضئيلة– يساعد على تجنب العديد من العوامل الخطيرة التي تؤدي إلى الإصابة بمرض السكري من النمط الثاني وأمراض شرايين القلب التاجية، كما يساعد على تحسين عملية الأيض وتخفيض معدلات السكر في الدم.

فتخفيض الوزن حتى لو بنسبة قليلة له تأثير إيجابي على الصحة بالنسبة إلى أولئك الذين يعانون من السمنة الزائدة، إذ يساعد على تقليص الدهون في الجسم، وهذا ينطبق أيضا على دهون البطن الضارة.

ووفقا لموقع "تي أون لاين" الألماني فإن خبراء الصحة في ألمانيا –ومن بينهم كريستينا هولز أبفيل– يرون أن نتائج هذه الدراسة الحديثة تعد بمثابة تأكيد لدراسات سابقة لا تنصح باتباع نظام حمية صارمة.

وتضيف اختصاصية التغذية الصحية في جامعة ميونيخ التقنية هولز أبفيل أن وزن الجسم السليم هو مهمة تستغرق الحياة بأكملها.

كما يرى ديرك مولر فيلاند –من جمعية السكري الألمانية– أن النتائج التي خلصت إليها الدراسة من شأنها أن تساعد المرضى على فهم العلاقة بين تخفيض الوزن حتى لو كان بكميات قليلة، وتأثيره الإيجابي على عملية الأيض. ويضيف فيلاند أن الهدف من تخفيف الوزن بنسبة 5 بالمئة هو بمثابة تحفيز كبير.

10
بالمئة نسبة الزيادة في أوزان الناس حاليا مقارنة مع نظرائهم ممن كانوا يتناولون نفس مقدار الطعام عام 1980

ولا شك في أن فقدان أيّ وزن ليس سهلا، وهذا ينطبق حتما على البالغين والأطفال والمراهقين، لكن المهمّ هو أن يدرك أصحاب الوزن الزائد أن "طريق الألف ميل يبدأ بخطوة" حتى لو كانت صغيرة إلا أنها مهمة للصحة.

ويؤكد القائمون على الدراسة أن هذه الخطوة الصغيرة تساعد على تجنب الشعور بالفشل من القدرة على تخفيض الوزن.

وتعتمد البرامج التجارية لإنقاص الوزن على حساب كمية السعرات الحرارية التي تدخل وتخرج من الجسم يومياً، الأمر الذي ثبت عدم فعاليته وفق دراسة حديثة أجريت بجامعة جون هوبكنز.

وأشار بعض أطباء الاختصاص إلى أن العديد من برامج الحمية الغذائية لم تثبت فعالية حتى الأفضل منها، فقد ساهمت فقط في إنقاص وزن متبعيها من 3–5 بالمئة فقط من وزنهم الزائد.

وأوضحوا أن الخطوة الأولى للحصول على جسم متوازن هي التركيز على الأطعمة الصحية المغذية، فعند تناول الإنسان لها يكون قد سيطر على الجوع وأشبع رغبته في تناول الطعام وهو راض عن وزنه.

ويعتقد كثيرون أن كمية الطعام التي نتناولها ومقدار الحركة اليومية يتحكمان تماما في عملية التخلص من الوزن الزائد، إلا أن الأطباء يؤكدون أن عوامل أخرى مثل الإجهاد، وقلة النوم والتعرض للسموم البيئية، يمكنها أن تتحكم في عملية حساب السعرات الحرارية التي يحتاجها الجسم.

ووفق دراسة نشرت في مجلة أبحاث السمنة، فإن أوزان الناس حالياً أزيد بنسبة 10 بالمئة من نظرائهم ممن كانوا يتناولون نفس المقدار ويمارسون نفس القدر من الرياضة عام 1980، الأمر الذي يثبت تدخّل العوامل الأخرى سالفة الذكر في عملية التحكم بالسعرات الحرارية.

لذا فإن الأطباء ينصحون بالمحافظة على مستوى متوازن من الهرمونات في الجسم الأمر الذي يساعد بشكل كبير في فقدان الوزن، كما يؤكدون على أن الحصول على قسط كاف من النوم، وشرب كميات كبيرة من المياه النقية لهما عظيم الأثر في التخلص من الوزن الزائد.

اليوم العالمي للمرأة.. مرارة للنساء العربيات في مجتمعات ذكورية

أي عيد للمرأة العربية تحت وطأة الإرهاب والحروب والتشدد الديني

يعتبر اليوم العالمي للمرأة، الموافق لـ08 مارس من كل عام، مناسبة لمناقشة أوضاع النساء في العالم لا سيما الدول العربية. ومنذ سبعينات القرن العشرين، تاريخ إقرار منظمة الأمم المتحدة لهذا التاريخ كعيد للمرأة، دأبت أغلب الدول العربية على الاحتفال به كل على طريقته، غير أن الوضع الراهن في العديد منها ضاعف التساؤلات حول وجاهة الاحتفال بهذا اليوم كعيد في الوقت الذي تواجه فيه النساء في سوريا والعراق واليمن وليبيا وغيرها الحرب. فتجد الكثيرات منهن أنفسهن محاصرات بالخوف وأهوال الحرب والدمار وفقدان العائلة واللجوء إلى الدول الأوروبية أو دول الجوار في قوارب الموت، ومعرضات للاضطهاد والظلم من العصابات الإرهابية التي تخطفهن وتغتصبهن وتسبيهن وتقتلهن. لسان حال هؤلاء النسوة يقول عيد بأيّ حال عدت يا عيد؟

لندن – ترى نخبة من المثقفين والحقوقيين، خاصة في المجتمعات الغربية المتقدمة، أن مجرد الإقرار بهذا اليوم كعيد للمرأة أو الاحتفال به يضمر بإثارته لمسألة النسوية وحقوق النساء اعترافا بالتفريق بين الجنسين وبالتمييز ضدّ المرأة وهو تعبير بشكل مغاير على تبنّي مقولة دونية المرأة مقارنة بالرجل، كما يعتبرونه إقرارا ضمنيا بأن المرأة أقلّ مكانة في الوعي الجماعي من الرجال لذلك تحتاج إلى مناسبة كهذه تثار فيها قضاياها وتلفت الأنظار لمكانتها ويُدافع من خلالها على حقوقه وهؤلاء يمثلون الفئة التي تتبنى فكرا يرتكز على مبدأ أن المرأة متساوية مع الرجال لذلك فإنه لا حاجة لهذا اليوم ولا للاحتفال به من منظورهم.

هناك في الدول العربية من يشاركهم الرأي في عدم الاحتفال ولا الإقرار بيوم عالمي للمرأة لكن البون شاسع بين الطرفين فيما يخص الأسباب لأن الفئة الأولى تقول بأن مسألة تساوي المرأة بالرجل من المسلمات لذلك لا فائدة من تمييز النساء بيوم خاص بهن، في حين ترى بعض الحلقات المحافظة في المجتمعات العربية والمسلمة بأن هذا العيد العالمي لا معنى له لأن المرأة لا تستحقه، فهي بنظرهم حرمة وعورة وجب سترها وهي ناقصة عقل وهي لا يجب ولا يمكن أن تطالب بالمساواة ولا أن تتساوى واقعيا مع الرجل، وحجّتهم في ذلك أن الله خلق فوارق طبيعية وفيزيولوجية بين الجنسين تحول دون مساواتهما ببعض وأن الشّريعة الإسلامية تفرض على المرأة طاعة الرجل وخدمته بما أنه الوصي عنها والمكلف برعايتها وحمايتها لأنها كائن ضعيف.

ولا تقف هذه النظرة الضيقة والدونية للمرأة ولمكانتها في الشريعة الإسلامية عند بعض المتشددين والمحافظين الذين يأخذون من الدين الاسلامي ما يخدم غطرسة وذكورية الرجل بل يتجاوزه إلى التيارات الدينية السلفية والمتشددة التي تكاثرت داخل المجتمعات العربية وخارجها وبرزت على ساحة الأحداث السياسية والاجتماعية والدولية وسجلت حضورها بقوة في السنوات الأخيرة، والتي تمكنت بدورها من نشر الفكر الذي يزدري المرأة لدى فئات واسعة من الشباب ذكورا وإناثا، هذا الفكر الذي تأثر بقراءتهم للدين الإسلامي وبتفسيراتهم لمقاصد الشريعة فيما يخص المرأة ومكانتها في المجتمع لتصبح الأخيرة مهدّدة في أبسط حقوقها ومكاسبها التي يرجع بعضها لعقود في عدد من المجتمعات التي ينتشر فيها التطرف الديني بشكل متصاعد زمنيا وكميا.

واليوم أصبحت بعض الدول العربية، التي يسيطر فيها الإسلام السياسي وتلعب فيها الأحزاب الإسلامية أدوارا مهمة في مجال تسيير الشأن العام وفي الفضاءين السياسي والاجتماعي، تشهد حالة من الغليان ومن الاضطرابات والأخذ والرد وتتصاعد النقاشات والمطالب بإرجاع المرأة إلى الخلف والتراجع عمّا حققته من مكاسب وحقوق. وهو ما عاشته بعض دول الثورات العربية مثل تونس ومصر حيث وجدت النساء أنفسهن في وضع الذود عن المكتسبات والحقوق المضمّنة في النصوص القانونية والتشريعات واضطررن لتوجيه جهودهن نحو الدفاع عن الموجود والتريّث في طلب المنشود أي المطالبة بمزيد من الحقوق وبالمساواة في العمل مثلا وفي المشاركة السياسية وغيرها. كما أن هناك من الدول الإسلامية من ترفض حتى اليوم الإقرار أو الاعتراف بيوم 08 مارس يوما عالميا للمرأة مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي استبدلته بيوم ولادة فاطمة الزهراء واعتبرته يوم المرأة العالمي، وهي تدفع بهذا الاتجاه وترمي لنشره في الدول الإسلامية، وهناك بعض الأحزاب والمؤسسات المدعومة من إيران في العراق ولبنان واليمن من اعترفت وعملت بهذا اليوم واستبدلته بيوم المرأة العالمي في الثامن من مارس، وهو أيضا ما تحاول فعله وتحقيقه بعض الأحزاب الإسلامية الحاكمة المدعومة والمتأثرة بالتوجه الإيراني بتغيير هذا الموعد العالمي إلى نفس موعد عيد المرأة الإيراني.

والسؤال الذي تطرحه النساء العربيات اليوم في الدول التي شهدت ثورات الربيع العربي وفي الدول التي ترزح اليوم تحت الحرب بين القوى الدولية والقوى الوطنية والعصابات الإرهابية الإجرامية، هو أيّ معنى لعيد المرأة في وضع مازالت المرأة العربية تدافع فيه عن مكانتها في المجتمع وتحاول القطع مع النظرة الذكورية الدونية لها؟ وأيّ معنى للاحتفال بيوم المرأة والآلاف من النساء العربيات يعشن أوضاعا مخيفة ومحزنة ومأساوية تزداد سوءا يوما عن يوم منذ ما يقارب الخمس سنوات؟ وأيّ عيد للمرأة العربية وهي ثكلى أو أرملة أو يتيمة أو مشردة أو لاجئة أو سجينة أو مخطوفة أو مغتصبة بسبب الحروب والتهجير؟

هذه الأسئلة تترتب عنها استفهامات أكثر خطورة يبدو مجرد طرحها مخيفا ومؤسفا، فأيّ مستقبل ينتظر جيلا من الفتيات العربيات يعشن اليوم في مخيمات اللجوء وفي العراء ويحرمن من مواصلة تعليمهن ومن العيش بسلام وأمان؟

الوضع الراهن للآلاف من الفتيات العربيات اليوم اللاتي يتعرضن للتجهيل والتهجير والتنكيل والظلم بشتى ألوانه لا ينبئ بغد وردي لا للنساء العربيات ولا لأجيال المستقبل ومجتمعات المستقبل التي ستبنيها فتاة اليوم بعد أن تتزوج وتنجب جيل المستقبل وتسهر على تربيته وتكوينه لكن دون مؤهلات علمية ولا نفسية ولا ثقافية لتضمن سلامة نسلها.

من جهة أخرى الوضع الراهن في العالم العربي والذي بات رهين أجندات الإرهاب والتشدد الديني، يؤكد أنه حتى المرأة والفتاة في الدول التي لا تعيش حروبا وتهجيرا يمكن أن يرجعها انتشار الإسلام السياسي وتسرب الفكر السلفي المتشدد عقودا إلى الوراء لأن مفعول هذا الفكر بدأ يبرز من خلال تأثيراته على المجتمعات المسلمة وعلى العائلات العربية التي تعيش تغيرات وتحولات في تعاملها مع بناتها، حيث يتفاقم تحجيب الفتيات وترتفع نسب تزويجهن في سن صغيرة ويتزايد الرفض نحو عمل المرأة وخروجها من البيت ونحو تحريرها من الوصاية الأبوية. ومما لا شك فيه أن هذا الفكر إن لم يتم إيقاف امتداده سيزداد وضع المرأة العربية والمسلمة سوءا.

ورغم ما يبدو عليه وضع المرأة في بعض الدول، مثل دول الخليج العربي التي تحاول السير نحو الارتقاء بالمرأة مثل مملكة البحرين والإمارات العربية المتحدة وكذلك المملكة العربية السعودية، إلا أن الإنجازات المحققة تعد على الأصابع في ظل غياب الوعي المجتمعي بأهمية تحسين أوضاع النساء وفي غياب تطور للثقافة العربية المسلمة المحافظة وتبدد العقلية التي تؤمن بأقلية ودونية النساء إيمانا تاما.

ولعل واقع المرأة السعودية يقدم صورة واضحة لهذا التجاذب بين واقع المرأة والنزوع نحو النهوض بها فرغم ما حققته السعوديات من إنجازات جديدة في مجال المشاركة في الانتخابات في المواقع السياسية ورغم ما حققته الكثيرات منهن من نجاحات في عالم الأعمال والاستثمار إلا أن عقلية وتكوين السعوديين مازالا يرفضان أن يمنح النساء الحق في السياقة ومازال رجال الدين المتشددون وبعض المحافظين يدافعون على أن المرأة لا يجب أن تتخطى حدود البيت ورعاية الزوج والأبناء. بل إن بداية هذا الشهر الذي تحتفل فيه المرأة السعودية بعيدها شهدت إحدى الجامعات ندوة أكاديمية بعنوان "هل المرأة إنسان؟" وهو إعلان عودة المرأة إلى ما تحت الصفر وصادر عن منبر تعليمي من المفترض أن ينير عقل الشباب ويبث فيهم الوعي بقيمة المرأة لا أن يثير سخط المثقفين منهم على مواقع التواصل الاجتماعي بتساؤله عن إنسانيتها من عدمها.

بتول يحفوفي: الحركة النسوية انكمشت بعد الهجمة الدينية

شادي علاء الدين

يوم المرأة العالمي هو يوم أطلق في أميركا لإعطاء العدالة للنساء العاملات في المصنع، وبفعل الإعلام والنهضة العربية والثورات العربية في القرن العشرين، انتقلت فكرة يوم المرأة العالمي إلى بلدان الشرق وتحديدا إلى الدول العربية، وأصبح هناك موضوع المطالبة بالمساواة مطروحا، أي المساواة بين المرأة والرجل وإعطاء النساء حقوقا مساوية للرجال. هكذا بدأت المسألة، بحسب بتول يحفوفي، أستاذة جامعية لبنانية وناشطة مدنية وباحثة ترى أن دور الإعلان العالمي تمثل في الدفع باتجاه تقدم الحركات النسائية الثورية، والتقدمية والاشتراكية وفي رفع لواء المطالبة بحقوق المرأة.

وتضيف محدثتنا حول معاني اليوم العالمي للمرأة وطرق بلورتها في الدول العربية أن فكرة المساواة لم تلق الترحيب من قبل الدول العربية والإسلامية، لأنها اعتبرت أن المساواة فكرة لا تطبّق، ومن المساواة جاءت فكرة العدالة فانطلقنا من المساواة إلى العدالة.

بعض الدول العربية تطالب بالعدالة بين النساء والرجال، وإحقاق حقوق المرأة دون النظر إلى عملية المساواة. عام 1995 عقدت الأمم المتحدة المؤتمر الرابع للمرأة الذي أقر بصورة واضحة مبدأ المساواة، وبذلك نعني المساواة المطلقة، وأيضا إزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة. تداعيات هذا الموضوع دفعت الدول العربية إلى الحديث عن قوانين الأحوال الشخصية التي اعتبرت قوانين معيقة لموضوعي العدالة، والمساواة.

وفيما يخص قراءة وضع المرأة العربية بشكل عام والمرأة اللبنانية بشكل خاص ضمن شبكة المنظومة الحقوقية المتسارعة التي يبدو أن الدول العربية لا تزال متخلفة عن اللحاق بها على جميع المستويات قالت يحفوفي "نحن لا نملك واقعا متشابها في كل الدول العربية. التشابه بين الدول العربية ولبنان يكمن في واقع قانون الأحوال الشخصية الذي يعتبر مجحفا بحق النساء، ويمنع عملية المساواة، وأيضا العدالة وإحقاق حقوق المرأة. أستثني تونس التي استطاعت النساء فيها قبل الثورة وبعد الثورة الحفاظ على المساواة بسبب مدوّنة الأحوال الشخصية الموجودة".

وأضافت قائلة "في لبنان ومع بدايات الربيع العربي أو الثورات العربية، بدأ الحديث عن مكافحة جميع أنواع التمييز ضد المرأة، والمطالبة بحقوق المرأة كمواطنة، وصاحبة حقوق إنسانية على قدم المساواة مع الرجل، واعتبارها تمتلك حقوقا سياسية، ومدنية، واجتماعية، واقتصادية.

الخطاب متطور جدا في لبنان، ولكن الواقع يختلف لأن الأديان لناحية موضوع الأحوال الشخصية إسلامية كانت أم مسيحية، لا تزال عائقا أمام هذه الحقوق، خصوصا في ما يتعلق بالوضع الأسري والشخصي وعلاقتها بالرجل.

كل عام حين نرفع تقرير الظل كمجتمع مدني، في التقارير التي نعدها في إطار الهيئة الوطنية كمؤسسة رسمية تعنى بمكافحة أشكال التمييز ضد المرأة نذكر أن التحفظ على المواد المتعلقة بالوضع الأسري للمرأة لم يزل حتى الآن".

وقالت يحفوفي أيضا "هناك نقاش طويل داخل الحركة النسائية، وحوار أطلق مع رجال الدين حول هذه المسألة حيث يفترض القيام بعمليات اجتهاد ضمن الطوائف الإسلامية تحديدا لتفسير العقيدة الإسلامية تجاه المرأة، بشكل يضمن عدالة للمرأة. ولا تزال هناك عوائق عند بعض الطوائف المسيحية، وهم يبدون بعض الاجتهادات للوصول إلى عملية المساواة.

لبنان كما أغلب الدول العربية لا يزال أمامه بالنسبة إلى الحركة النسوية كفاح طويل حتى تحصل النساء على العدالة والمساواة. وفي الدول العربية حتى لو كان هناك تطور بسيط في مصر أو المغرب في موضوع الأسرة، إلا أننا لا نزال بعيدين عن التوافق مع المعايير العالمية واتفاقية إلغاء جميع أنواع التمييز ضد المرأة. فلا تزال هناك تحفظات من قبل الدول العربية على هذه الوثيقة، وأيضا على المطالبة بمواطنة المرأة خصوصا بعد الثورات العربية. المرأة مواطن مكتمل الأوصاف ويفترض أن يكون له نفس الحقوق ونفس الواجبات، وتاليا المطالبة بحقوق العمل وحقوق الضمان وكل هذه المسائل.

الحركة النسائية تسعى ولكنها تصطدم بالواقع السياسي والاختلاف العقائدي وهذا ما يعوق المرأة عن الوصول إلى المواطنة الكاملة".

وعبّرت الأكاديمية اللبنانية عن رأيها حول العناصر التي تبنى على أساسها صورة المرأة في العالم العربي بقولها "إن هناك انقساما في صورة المرأة بين الناحية العقلية والنفسية، والنساء متعددات الصور فهناك صورة المرأة الأنثى، واللعوب، والواجهة للإعلان، والمرأة العاملة، والمكافحة، والمرأة المناضلة.

كل هذه الصور موجودة في لبنان والدول العربية، ولم يعد بالإمكان التكلم عن مساحات جغرافية صغيرة نظرا لسهولة التواصل".

وتضيف قائلة "في الإعلام هناك انقسام على كيفية إظهار صورة المرأة، هناك من يسعى إلى إظهار صورة المرأة الإنسانية المشاركة في صنع القرار وفي العمل وهي ذات إبداع وكفاءة في الأدب والشعر، وأيضا صورة المرأة الأنثى التي يمكن استخدام جسدها لأغراض أخرى، فالصورتان موجودتان".

وفي خصوص موقفها من الصورة التي تتجسد للمرأة في المجتمعات العربية زمن العولمة تقول يحفوفي "أكتب حاليا بحثا حول هذه الصورة المبتورة للمرأة في ظل واقع العولمة. لا توجد صورة صافية للمرأة في الإعلام وهو ما يعطي حيزا أكبر للمرأة الأنثى والجسد، أكثر من المرأة العاملة". من هنا يجب على الحركة النسائية النضال حول كيف يمكن للمرأة أن تدفع الإعلام ليعطيها مساحة للمدافعة عن حقوقها كإنسانة، كما يعطى للنساء الأخريات الفنانات، والعارضات المساحة الخاصة بهن.

فبعد الثورات العربية والهجمة الدينية هناك انكماش للحركة النسوية، ولذلك يجب العمل على المحافظة على المكتسبات الماضية وصيانتها.

حرروا العقول لتتحرر المرأة

لمياء المقدم
كاتبة من تونس

لم تعد قضية امرأة، لقد أصبحت قضية إنسان.

في ظل ما وصلت إليه المنطقة العربية من تردّ في الحقوق والحريات، ومن غوغاء ومغالاة وتطرف، وفي ظل الانشقاق والخلاف والطائفية التي تعصف بأبناء البلد الواحد، أجد نفسي في يوم المرأة العالمي أتساءل عن مصير الإنسان العربي ككل، وليس المرأة وحدها.

مع ذلك، هل يجب أن نيأس؟

الإجابة قطعا: لا.

منذ فترة أجريت حوارا مع مستشرق هولندي، يدعى يان ياب دو روتر، وهو أستاذ جامعي بجامعة تولبرغ الهولندية، عن موقفه ممّا يجري في المنطقة العربية. أخبرني أنه لم يعد يجرأ على زيارة مصر، بعد ما حدث مع الإيطالي جوليو روجيني، وبسبب التضييق على حرية الرأي والتعبير، وتكميم الأفواه في أغلب الدول العربية، رغم أن شقا من بحوثه يستوجب زيارة المنطقة باستمرار. في سياق حديثه قال دو روتر "إن الوضع في المنطقة اليوم سيء جدا، أسوأ حتى مما كان عليه، لكن الأمل في تحسنه يظل قائما"، واستشهد بالثورة الفرنسية التي استمرت 70 عاما حتى تنجح. فهناك أمل اذن، وإن تأخر.

في ظل هذا التردي الشامل على جميع المستويات يجب أن نقلق على وضع المرأة تحديدا لأنه أكثر هشاشة، وتأثّرا بمجريات الأحداث، وأقل استعدادا لتحمل تبعات انهيار المنظومة الأخلاقية العالمية. نرى اليوم ما يحدث للمرأة السورية التي هجّرت من منزلها وشرّدت، أمام مرأى ومسمع من العالم، ونرى ما يحدث للأقليات الإثنية في العراق من بيع وشراء في سوق النخاسين على أيدي التنظيمات الإرهابية، ونرى ما تتعرض له المرأة المصرية من تحرّش على يد السلطة العسكرية، وقد قرأت منذ يومين تعليقا للكاتبة المصرية وسيمة الخطيب على فيسبوك، تقول فيه أنها على وشك أن تحمل مطواة أو سكينة للدفاع عن نفسها ضد دولة البوليس متى استوجب الأمر. في تونس أيضا، البلد الذي كان سباقا في تحسين وضع المرأة وضمان حقوقها، فاجأنا منذ فترة تقرير لمنظمة العفو الدولية بأرقام صادمة عن العنف الأسري ضد النساء.

تشير الحقائق اليوم إلى أن 66 بالمئة من مجمل الأعمال تقوم بها النساء، مقابل 44 بالمئة للرجال، مع ذلك فإنهن يجنين 10 بالمئة فقط ممّا يجنيه الرجال، ويملكن 1 بالمئة ممّا يملكه الرجال. كما أن 75 بالمئة من الفقراء في العالم هم من النساء. هذه بعض الحقائق المتعلقة بوضع المرأة عموما، ينضاف إليها، بالنسبة إلى المرأة العربية، كل ما جلبته اللحظة الراهنة من مصاعب وعراقيل وترديات، أي أنها تواجه تحديات عالمية مصيرية مشتركة، مع بنات جنسها، وتحديات جغرافية وثقافية وتاريخية، وموروث كامل من التركيع والتهميش، في المنطقة العربية.

حلّ مشكل المرأة اليوم، جزء لا يتجزأ من حل مشكل الإنسان العربي ككل، لن تتحرر المرأة ولن تحصل على حقوقها ما لم يتحرر العقل العربي من فكرة الهيمنة والسيطرة ونظرية المؤامرة الكونية التي تحاك ضده، وهاجس "خير أمّة" الذي جعله يدخل في صراع مع باقي الأمم على مدى التاريخ. أحترم جهود المؤسسات والجمعيات النسوية والتاريخ النضالي الطويل لنساء رائدات دافعن باستماتة عن حقوق المرأة، لكن تظل هذه المجهودات مكبلة وقاصرة، في ظل هيمنة الفكر الرجعي الذي يقف عائقا أمام أيّ رغبة في التحرر. حرروا العقول لتتحرر المرأة.

طلاق كبار السن ظاهرة اجتماعية حساسة

تحسن الحالة المادية للزوجين يفاقم من طلاق الشيخوخة

تفاقم ظاهرة الطلاق بات حقيقة تهدد المجتمعات العربية والغربية على حد سواء لكن الغريب أن تشمل هذه الظاهرة كبار السن، وبعد عقود من الزواج والحياة المشتركة تنهار العلاقة بين الزوجين.

طلاق المرأة بعد سن الخمسين يجعلها إنسانا من دون آمال

❑ **لندن** - يحاول بعض الأزواج المسنين البحث عن وسيلة تعيدهم إلى سنوات الشباب، فينفرون من زوجاتهم المتقدمات في السن، ويرون في الزواج من فتاة صغيرة استرجاعا لسنوات الشباب، أما الزوجات المسنات اللواتي يقررن الطلاق يجدن في زواج الأبناء انتهاء لمسؤوليتهن، مما يمكنهن من التحرر من ضغوط الحياة والمسؤولية الملقاة على عاتقهن.

وأكد علماء النفس أنه في بعض الحالات يكون هناك إحساس متنام لدى كبار السن بقرب النهاية والرغبة في التخلص من الضغوط النفسية، واغتنام فرص الراحة والمتعة، وفي أحيان أخرى يوجد نوع من المراهقة المتأخرة يصيب بعض الرجال.

وكشفت دراسة بريطانية حديثة أن نسب طلاق الأزواج فوق سن الستين ارتفع في السنوات الأخيرة، على الرغم من الانخفاض في عدد حالات الطلاق لمن هم دون هذه السن.

وقالت الدراسة إن ارتفاع عدد المسنين لا يعد سببا لازدياد نسبة الطلاق ولكن هناك عوامل أخرى ساعدت على ذلك، من ضمنها تحسن الحالة المادية للزوجين والتي قد تمكنهما من الانفصال بأقل ضرر مادي.

ويطلق علماء الاجتماع على طلاق كبار السن "مزاج الشيخوخة"، باعتباره مؤشرا من بين مؤشرات التقدم في السن، معتبرين أن طلاق كبار السن ظاهرة اجتماعية حساسة نظرا لسن الأزواج المنفصلين.

من جهة أخرى أكدت دراسة لمعهد "جوتوليو فارغاس" البرازيلي للدراسات الاجتماعية في مدينة ساو باولو، والتي جاءت تحت عنوان "الطلاق بعد سن الخمسين"، أن التردّد والحيرة والارتباك أشياء تصيب المرأة إن شعرت بأن الطلاق لا بد منه بعد عشرة سنوات طويلة من الزواج.

وأوضحت الدراسة أن المرأة تتردّد لأنها تعلم بأن حياة ما بعد سنّ الخمسين صعبة جداً بالنسبة إلى المرأة. وترتبك لأنها لا تعرف ماذا تفعل لإصلاح العلاقة الزوجية إذا كان الزوج مصرّاً على الطلاق، وتصاب بالحيرة حول لماذا كان ينبغي عليها تحمّل المشاكل الزوجية طوال حياتها.

وأضافت أن طلاق المرأة بعد سن الخمسين يضع نهاية محزنة جداً لأحلامها حول المستقبل، وكل ما يتعلّق بنشاطاتها. مؤكدة أن قلب المرأة يتحطّم تماماً عندما تتخيّل حياتها دون شريك، أو أحد يشاركها أحلامها التي بنتها وعلّقت عليها كل آمالها.

وتابعت الدراسة أن المرأة بشكل خاص تبني أحلاماً كثيرة حول مستقبلها، وتخطّط وتعتقد بأنها ستكون قادرة على تحقيق ما خطّطت له، ولكن كل شيء يتبخّر. وجاء في الدراسة أيضا أن الحزن يكبر ويتضخّم أكثر عندما يأتي الطلاق في سنّ تكون فيه المرأة بأشد الحاجة لشريك تكبر معه في السنّ، وتتحسّر لأنها لن تستطيع جني ثمرات سنوات طويلة من العمل والعيش المشترك مع زوج كان وربما مازال حبه يملأ قلبها.

> أغلب حالات الطلاق التي تقع بعد سن الخمسين ترجع إلى العزوف العاطفي، وبحث الزوج بصفة خاصة عن امرأة أخرى تلبي احتياجاته النفسية والبيولوجية

ووصفت الدراسة الطلاق بالنسبة إلى المرأة التي لم تنجب بعد تجاوزها الخمسين عاماً من العمر بأنه كارثة بكل ما في الكلمة من معنى، فهو يعني بالنسبة إليها الوحدة والعزلة والانتقادات والمجتمع الذي لا يرحم.

وبيّنت أنّ طلاق المرأة بعد سنّ الخمسين يمكن أن يكون أخفّ حملاً إذا كان عندها أولاد يمكن أن يعوّضوها عن انفصالها عن زوجها، ولكن المرأة الوحيدة تدخل ضمن قوقعة ضيّقة ليس فيها إلاّ هي وخيالها.

وأوضحت الدراسة استنادا لأرقام إحصائية للمعهد أنّ نسبة 5 بالمئة فقط من النساء اللواتي لم ينجبن أطفالاً تقبلن الطلاق، فيما تصل النسبة إلى 30 بالمئة بالنسبة إلى النساء اللواتي أنجبن أطفالاً. وأشارت إلى أن هذه الإحصائية لا تنطبق فقط على البرازيل، بل ربما تكون عالمية. فالمرأة بعد سن الخمسين لديها تفكير متشابه في كل مجتمعات العالم، فهي تدرك بأن قطار الحياة قد فاتها، وطلاقها بعد سنّ الخمسين يعني نهاية لحياتها العاطفية. وهذا الأمر يصعب على النساء قبوله في هذه السنّ.

هذا وكشفت الدراسة أن نسبة 54 بالمئة من النساء اللواتي تتطلّقن بعد سنّ الخمسين أصبن بأقوى درجات الاكتئاب بسبب الخوف من الوحدة وفقدان أيّ أمل في الحياة، والتصوّر بأن الحياة قد انتهت بالنسبة إليهنّ. ويبقى هذا الاكتئاب دون علاج؛ لأنّ الإنسان يتعافى من الاكتئاب إذا شعر بأنّ الآمال مازالت كبيرة في الحياة ولكن المرأة التي تتطلّق بعد سن الخمسين تعتبر نفسها إنساناً من دون آمال.

من جهة أخرى أظهرت دراسات للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر أن أغلب حالات الطلاق التي تقع بعد سن الخمسين ترجع إلى العزوف العاطفي، وبحث الزوج بصفة خاصة عن امرأة أخرى تلبي احتياجاته النفسية والبيولوجية.

وفي دراسة سابقة استنتج فريق عمل بريطاني أن سهولة الطلاق والانفصال في بريطانيا تفسد حياة ملايين المسنين، حيث وجد الباحثون أن العزلة في أوساط كبار السن تزداد سوءا مع ارتفاع أعداد الأزواج الذين ينفصلون. وأكد تقرير صادر عن معهد الأبحاث العامة البريطاني أن ارتفاع نسبة المسنين وميل النساء للتخلي عن أزواجهن يساهم في ارتفاع معدلات الاكتئاب والإحباط والحزن. وجاءت هذه النتائج على خلفية دراسة كشفت أن الطلاق يترك تأثيرا مدمرا على الأشخاص الذين يتقدمون في السن. وقالت معدة الدراسة جيسيكا آلان "إن ارتفاعاً في أمراض الصحة العقلية يصيب 19 بالمئة من النساء المطلقات أو المنفصلات و17 بالمئة من الرجال بعد وقت قصير من تفكك العلاقة"، ومضيفة أن عاملاً هاماً يساهم في تراجع أوضاع المسنين وهو سكنهم بمفردهم.

طبق اليوم

كباب الدجاج بجوز الهند

* **المقادير:**

- كيلوغرام صدر دجاج مقطع مكعبات.
- كوب ونصف لبن زبادي.
- 2 أكواب برش جوز الهند.
- نصف ملعقة صغيرة مسحوق الكاري.
- ملعقة صغيرة بهارات الماسالا.
- ربع ملعقة صغيرة جوزة الطيب.
- 2 ملاعق صغيرة زنجبيل مطحون.
- حبة بصل مفروم.
- ملح، حسب الرغبة.

* **طريقة الإعداد:**

- يقطّع لحم الدجاج إلى مكعبات صغيرة.
- يهرس البصل مع الزنجبيل وجوزة الطيب والعقدة الصفراء وغارام ماسالا ومسحوق الكاري في خلاط الطعام للحصول على مزيج ناعم.
- يخلط الدجاج مع مزيج البصل في وعاء متوسط الحجم، ثم يضاف إليه اللبن.
- يغطى المزيج ويحفظ في الثلاجة طوال الليل.
- تغرز مكعبات الدجاج في أسياخ خشبية ويغمس كل سيخ في برش جوز الهند.
- تشوى الأسياخ على النار أو في الفرن لتصبح ذهبية اللون.
- يقدم كباب الدجاج مع الأرز والخضار.

موضة

أزياء شرقية بلمسات عصرية في نيويورك

❑ قدمت مصمّمتا الأزياء البحرينيتين الشيخة نور آل خليفة والشيخة هيا آل خليفة، صاحبتا العلامة التجارية "نون باي نور"، مجموعة ملابس جديدة لخريف/شتاء 2016 ضمن أسبوع الموضة في نيويورك.

تميزت المجموعة بطابعها الشرقي مع إضافة لمسات عصرية، وركزت بشكل كبير على درجات الرمادي الممزوجة في بعض الأحيان بالانعكاسات الفضية، كما ركزت الدار على الخامات اللامعة بشكل عام حتى في تصميم المعاطف التي تنوعت بين المعاطف ذات الألوان الموحدة والهادئة، والمعاطف المطرزة والمعاطف المنقوشة، إلى جانب اختلاف الطول بينها، أما الألوان فكان أبرزها الرمادي والأسود والأبيض.

ضمت المجموعة باقة متنوعة من السترات العلوية والبنطلونات الفضفاضة والفساتين البسيطة المنفوشة، وإلى جانب الفساتين المحتشمة قدمت "نون باي نور" الفستان الديكولتيه والفستان القصير المغطى بطبقة من الشيفون.

أطباء نفسانيون

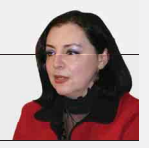

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❑ تحدثت روايات عديدة كتب معظمها سجناء أن الأطباء النفسانيين هم غالبا من يرسمون خطط التعذيب في سجن غوانتنامو، وللوهلة الأولى يسود الاعتقاد بأن مسؤولا أمنيا يرسم خطط التعذيب، لكنّ حقائق أثبتت أن من يدير سجن غوانتانامو هم أطباء نفسانيون ذوو كفاءات عالية وعلمية متطورة ويعتمدون على أحدث الطرق العلمية والنفسية لما يُسمى الحرب النفسية، والتي أساسها تدمير كرامة الإنسان وإحساسه بآدميته وإنسانيته. ويعمل بعض هؤلاء الأطباء النفسانيون لصالح وزارة الدفاع الأميركية، ووظيفتهم تحديد نقاط الضعف لكل مُعتقل.

ففي سجن غوانتانامو ومنذ اللحظات الأولى للاعتقال، حسبما ذكرت الروايات، يجلس المُعتقل بحضرة المُحققين والمسؤولين عن التعذيب الجسدي ولكن يرأس هؤلاء الطبيب النفساني الذي يُدير الجميع وفق درايته العميقة بعلم النفس، والنفس البشرية، ويُحدد من خلال العديد من الأسئلة وبعد أن يُعطي أوامره لمن يُعذب السجين وللمحققين، بأن يقوموا ببعض التجارب والممارسات مع السجين كي يحدد نقاط ضعفه.

فالبعض نقطة ضعفه الخوف من الكلاب، عندها يطلب الطبيب النفساني أن يُعذّب السجين بهجوم الكلاب المُتوحشة عليه، والبعض لا يحتمل نقص النوم، فيمنع من النوم لأيام، وآخرون يخافون الماء فيتم إغراقهم طويلا في ماء مثلج أو بدرجة الغليان.

الطبيب النفساني العظيم ويا للأسف هو سيد التعذيب في كثير من السجون ومنها سجن غوانتانامو، وهو العقل المُدبر والمُخطط لكنه ليس اليد المُنفذة، كلّ من حوله أدوات وأشخاص وظيفتهم الطاعة والتنفيذ بعد أن يوزع عليهم الطبيب النفساني أدوارهم وخطة التعذيب لكل سجين.

الأطباء النفسانيون الذين نسوا أنهم أقسموا ذات يوم قسم إيبوقراط إذ لا يجوز أن يحصل طبيب على شهادة الطب إن لم يُسمّ قسم إيبوقراط بأن يُمارس مهنته بإنسانية وبضمير حي وألا يؤذي إنسانا وأن يخفف آلام المرضى الجسدية والنفسية وألا يجري إجهاضا جنائيا.

كيف يمكن لطبيب يحمل أعظم مهمة إنسانية في العالم أن يصير مُجرما؟!

وأن يؤسس مدرسة علمية متطورة في أساليب تعذيب الإنسان جسديا ونفسيا وأن يُسخّر علمه وأبحاثه من أجل الشر والأذى! كيف يمكن لطبيب أقسم أن يخفف من معاناة الإنسان أن يُساهم في تعذيب وإهانة هذا الإنسان، وأن يؤلف كتبا عن أحدث طرق التعذيب النفسي ويعمل مستشارا في السجون، مُعتمدا على ما يُسمى الحرب النفسية، وتتلخص هذه الحرب في المبالغة في الإهانة الدينية للمُعتقلين وفي تعريتهم باستمرار، لأن التعرية أكثر ما يذل السجين وتساويه مع الحيوان، إلى ما هنالك من تحرشات جنسية واغتصاب وإلى إجبار السجين على ممارسات فاحشة لا تخطر ببال، كل تلك الممارسات المُهينة أبدعتها عقول أطباء نفسانيين باعوا ضميرهم للشيطان، وألقوا بقسم إيبوقراط في المزبلة، وما عاد لهم سوى قسَم واحد هو الولاء المطلق للقوة الظالمة ولإغواء المال القذر، القوة التي تُحقر الإنسان وتذله وتهين كرامته.

كيف يشعر هذا الطبيب النفساني وهو برفقة جلادين ومجرمين ورجال أمن ومخابرات وهو يسهّل مهمتهم ويقدم لهم أحدث وسائل التعذيب النفسية والجسدية! كيف يشعر وهو يواجه إنسانا أعزل متألما مضطربا وخائفا وعليه كطبيب أن يخفف آلامه ويشفيه منها بدل مضاعفتها ويبالغ في سحق إنسانيته وتدميره وقتله.

تحت شعار محاربة الإرهاب تُمرّر كل الجرائم والممارسات بحق الأفراد والشعوب، وهؤلاء الذين يتحكمون بصنع القرارات في العالم ويقوّمون البلاد والعباد حسب مصالحهم: إرهابي أم غير إرهابي.

وأعتقد أننا بدل أن نوجه كل غضبنا واستنكارنا واحتقارنا للقوة الغاشمة التي تعذب السجناء خاصة سجناء الرأي، علينا ألا ننسى العقل المُدبر والمفكر والمخطط لأساليب التعذيب النفسية والجسدية، ألا ننسى تلك العقارب السامة المختبئة في أروقة السجون وأقبية المخابرات: الأطباء النفسانيون الذين باعوا أنفسهم للشيطان وتنكروا لقسم إيبوقراط. هؤلاء يجب أن تُسحب منهم شهادة الطب ويتحولوا للمحاكمة كمجرمين في حق الإنسانية والطب.

قناص جديد يقدم أوراق اعتماده كنجم صاعد

النجاح مكتوب على جبين راشفورد مع الشياطين الحمر

راشفورد.. رقم جديد يكتب في تاريخ البريميرليغ

قدم المهاجم الإنكليزي الشاب ماركوس راشفورد أوراق اعتماده كنجم جديد صاعد في صفوف ناشئي مانشستر يونايتد. ففي ظل غياب نجوم الفريق، اضطر الهولندي لويس فان غال المدير الفني للشياطين الحمر، للتنقيب في الفريق الرديف حيث عثر على راشفورد البالغ من العمر 18 عاما، من ناشئي يونايتد باعتباره فريقه الذي يشجعه منذ نعومة أظفاره.

□ **لندن** – تعتبر الفرص التي يحصل عليها لاعب كرة قدم بمكانة ماركوس راشفورد نادرة جدا، فليس واردا على الإطلاق أن يتمكن أيّ لاعب بالكاد حصل على فرصته بفريق الشباب في النادي، من اللعب سريعا على مستوى الفريق الأول والتألق بشكل لم يتوقعه أحد.

في مانشستر يونايتد، يتواجد مدرب معتاد على المغامرة، وتشكيلة متخمة بالإصابات، ونتائج لا تسر على الإطلاق، فما كان من لويس فان غال إلا أن يستعين بلاعبي الفريق الرديف الذين برز منهم على وجه الخصوص راشفورد، فسجل المهاجم البالغ من العمر 18 عاما 4 أهداف في أول مباراتين له مع الفريق، وبات اسما على لسان كل محبّ لمانشستر يونايتد. قبل أسبوع، لم يسمع أحد باسم راشفورد واستغرب النقاد عندما رأوا هذا الاسم على لائحة الفريق المشاركة أمام ميتيولاند الدنماركي (5-1)، لكن بالنسبة إلى من يعرف اللاعب جيدا، فإن الأمر مغاير تماما، ولم يكن غريبا أن يتألق راشفورد، خصوصا وأنهم يدركون جيدا ما يستطيع تقديمه على أرض الملعب.

وبات راشفورد أصغر لاعب يسجل ثنائية لمانشستر يونايتد في الدوري بعد واين روني (19 عاما و21 يوما) والويلزي راين غيغز (19 عاما) والبرتغالي كريستيانو رونالدو (19 عاما). يذكر أن راشفورد لم يوقع حتى الآن عقدا رسميا مع مانشستر يونايتد ولا يتقاضى سوى 634 يورو أسبوعيا أو 33 ألف يورو سنويا أي ما يتقاضاه روني في اليوم الواحد! ويبقى أن يؤكد هاشفودر موهبته في ما تبقى من الموسم خصوصا في ظل غياب روني إلى نهاية مارس بداعي الإصابة في ركبته، وألا يكون مثل فيديريكو ماكيدا الذي تألق في أول مباراة له مع مانشستر يونايتد قبل أن يتوارى عن الأنظار.

واحتفى فان غال، الذي يعرف عنه اهتمامه بالناشئين، بالأداء الذي قدمه مهاجمه الشاب واصفا إياه بـ"موهبة استثنائية". وأوضح "نملك قائمة محدودة، من أجل منح الفرصة للشباب. فريق كبير يحول دون ذلك". و تابع "الخبرة التي أتمتع بها مع الشباب تقول لي إنهم يلعبون دوما أول مباراة بشكل جيد، لكن الثانية تكون مختلفة. ظهر ماركوس بشكل رائع في الفترة الأخيرة، إنه موهبة استثنائية". واسترجع فان غال الفرص التي منحها أعوام للاعبين مثل باتريك كلويفرت وتشافي هرنانديز وتوماس مولر، حيث أبرز "يمكنني أن أفكر في الكثير منهم. كلويفرت سجّل هدف الفوز في كأس السوبر الهولندي، تشافي سجل هدفا خياليا في مرمى بلد الوليد ومولر قدم مباراة رائعة".

من ناحية أخرى يرى لويس فان غال، مدرب مانشستر يونايتد، أن اللاعب الصاعد ماركوس راشفورد يملك القدرة على التعامل مع الشهرة بعد أن خطف الأضواء في بداية ظهوره مع الفريق الأول. ولفت اللاعب البالغ من العمر 18 عاما الأنظار بسرعة كبيرة. وبعد الجلبة التي ثارت حول المهاجم المولود في مانشستر يونايتد، ناشد فان غال في مؤتمر صحفي وسائل الإعلام الابتعاد عن راشفورد، وقال "إنه لاعب يتحلى بتواضع جمّ ولا أعتقد أن هذه الأضواء ستتسبب له في مشكلة". وتابع فان غال "عندما تسلط عليك وسائل الإعلام الأضواء قد يمضي الأمر في الاتجاه المعاكس لكني أثق أن اللاعب سيبقى قدمه على الأرض". واستطرد "أدعوا وسائل الإعلام أن تدعه وشأنه، وألا تحتشد أمام منزله، لأنه أمر لن يفيد لاعبا شابا مثله في الـ18 من عمره". وقال فان غال إن ما حققه راشفورد حتى الآن "أمر رائع" لكن يتعين عليه الحفاظ على ثبات المستوى.

انطلاقة صحيحة

ولد راشفورد يوم الحادي والثلاثين من أكتوبر عام 1997، أي بعد أشهر قليلة من تولي مدربه الحالي لويس فان غال تدريب فريق برشلونة الأسباني، وبعد يوم واحد من اكتساح مانشستر يونايتد لشفيلد وينزداي بسداسية، وكان الفريق حينها مليئا بالمهاجمين اللامعين والدليل تسجيل تيدي شيرينغهام وأندي كول وأولي غونار سولشاير ثنائية لكل منهما في تلك المباراة، على عكس الفريق الحالي، الذي ورغم وجود القائد المصاب حاليا واين روني، يعاني كثيرا على الصعيد الهجومي. مع راشفورد، يأمل جمهور مانشستر يونايتد أن يتغير حظه أمام مرمى الخصوم حتى نهاية الموسم على أقل تقدير خصوصا في ظل استمرار إصابة روني وتأثر الفرنسي أنتوني مارسيال من إصابة أخرى، ويأمل اللاعب الجديد في السير على خطى مهاجم الفريق السابق ولاعب أرسنال حاليا داني ويلبيك الذي – مثل راشفورد – لعب في النادي المتواضع فليتشر موس رينجرز قبل أن ينضم لأكاديمية "الشياطين الحمر".

نشأ راشفورد في أحياء مانشستر، وانضم لأكاديمية النادي الأحمر في سن صغيرة، إذ حقق انطلاقة صحيحة وكان مواظبا على اللعب مع أصدقائه في كل مكان تقريبا، ولم يقوّضه الخوف من التعرض لإصابة خارج أسوار النادي. في ذلك الوقت، اعتاد الأطفال العاشقون لكرة القدم ممارسة اللعبة ضمن مشروع يسمى "ستريت ريدز" ويهدف إلى توسيع نطاق ممارسة اللعبة في أحياء مانشستر، هذا المشروع لفت أنظار راشفورد الذي كان وقتها لاعبا في أكاديمية النادي، إلا أن ذلك لم يمنعه من الانتظار مساء بعد خوضه التمارين حتى يكمل يومه في المشروع ويتحوّل إلى واحد من اللاعبين المحبوبين فيه.

وقال كبير مدربي المشروع دايف تشابمان "كان بإمكانك مشاهدة ما يملكه من إمكانيات، في تلك الفترة كان راشفورد لاعبا في أكاديمية مانشستر يونايتد لكننا لم نعلم بذلك، لم يخبرنا، اعتاد أن يحضر دائما للعب معنا". وأضاف "اعتاد لاعبون آخرون منضمون لأندية إلى القدوم للمشروع ومراقبة المباريات خوفا من التعرض للإصابات، لكن ماركوس اشترك معنا بشكل دائم، لم يجلس على المدرّجات لأن مفهومه للعبة مختلف، وتحول في عيون زملائه إلى نجم صغير، الكل أراده في تشكيلة فريقه الخماسية ما تسبب في حدوث خلافات بين الأطفال، لكن راشفورد لم يتأثر بذلك".

وبدأ مسؤولو مانشستر يونايتد يدركون قيمة راشفورد العام الماضي عندما أحرز اللاعب 13 هدفا في 25 مباراة بدأها أساسيا مع فريق تحت 18 عاما، ثم منحه لاعب الفريق السابق والمدير الحالي لأكاديمية النادي نيكي بات شارة قائد فريق تحت 19 سنة في المباراة الأولى بدوري أبطال أوروبا للشباب بداية الموسم الحالي أمام "بي أس في أيندهوفن" الهولندي، المباراة انتهت بفوز مانشستر يونايتد بثلاثية نظيفة أحرز منها راشفورد هدفين. أمام ميتيولاند، فاجأ راشفورد الجميع، ليكسر الأرقام القياسية تباعا ويتحوّل إلى محبوب الجماهير بين ليلة وضحاها.. فهل يواصل السير على درب التألق ويكون الدواء الشافي لعلل مانشستر يونايتد حتى نهاية الموسم؟

الطفل المعجزة

يمثل ماركوس راشفورد اكتشافا جديدا، للمدرب الهولندي لويس فان غال في فريق مانشستر يونايتد، "فالطفل المعجزة"، كما تلقبه بعض الصحف الإنكليزية، أثبت خلال المباريات القليلة التي شارك فيها أنه يتمتع بموهبة كروية واعدة رغم حداثة سنه. وقد شكك بعض المحللين الرياضيين في الخيارات التكتيكية التي يعتمدها فان غال، من خلال إشراك اللاعبين الشبان في مباريات الدوري الأوروبي، لكن راشفورد أثبت أنه يتمتع بموهبة كبيرة تستحق التقدير.

الهدف الذي سجله راشفورد في أول مباراة له ضد فريق أرسنال، أثبت أنه يتمتع بكل الخصال التي يمكن أن تجعل منه في المستقبل موهبة فنية في قيمة كريستيانو رونالدو أو ليونيل ميسي، هذا الأخير الذي اعترف أنه يجد صعوبة في التسجيل ضد حارس مرمى أرسنال بيتر تشيك، بينما نجح راشفورد في ذلك بعد الثنائية التي سجلها ضد أرسنال. وحطم راشفورد رقما قياسيا في الدوري الإنكليزي بعد مباراته الأخيرة ضد فريق أرسنال، باعتباره أصغر لاعب يسجل ثنائية في أول مشاركة له في الدوري الإنكليزي، متفوقا بذلك على زميله في مانشستر يونايتد، جيمس ويلسون، وهو ما يثبت مرة أخرى أنه يستحق عن جدارة لقب "الطفل المعجزة".

لاعب الشهر

□ **مانشستر** (إنكلترا)– حصل راشفورد على لقب أفضل لاعب في شهر فبراير 2016 في صفوف اليونايتد بعدما وضع بصمة قوية رفقة الفريق خلال المشاركات التي شهدت تواجده على مدار الشهر. فقد تمكن راشفورد من إثبات أنه لاعب من طراز مميز مما جعل مشجعي اليونايتد يقومون باختياره كأفضل لاعب عن الشهر المنصرم بينما قام موقع النادي الرسمي بتقديم التهنئة لراشفورد متمنيا منه مواصلة التفوق في الفترة المقبلة رفقة الفريق على كافة الأصعدة.

قالوا عنه "روني الجديد"، وتحدثوا عن موهبته، امتدحه الفرنسي فينغر وأشاد بذكائه على أرضية الملعب، في حين أكد مدربه فان غال على قدراته وإمكانية أن يتطور أكثر وأكثر. أما الجماهير فتغنت باللاعب وتصدر اسمه وصوره العديد من المشاهد.

ويأمل الجميع أن تستمر فصول الحكاية السعيدة لتتجدد الثقة براشفورد. هي فرصة قد تكون لمرة واحدة أحيانا لبعض من أصبحوا فيما بعد نجوما إن أحسنوا استغلالها فتحت لهم آفاقا في عالم المستديرة، والشاب المجتهد ماركوس راشفورد خير من استغل هذه الفرصة فقدم نفسه بطريقة أكثر من رائعة لجماهير أولدترافورد.

محمد صلاح يقود روما للانفراد بالمركز الثالث على حساب فيورنتينا

«كاف» يشيد بالفرعون المصري بعد ثنائيته أمام فريقه القديم

أشاد الاتحاد الأفريقي لكرة القدم "كاف"، على صفحته الرسمية عبر "تويتر" بالنجم المصري محمد صلاح، جناح الفريق الأول لكرة القدم بنادي روما الإيطالي، بعد تألقه أمام فيورنتينا، في المباراة التي جمعتهما الجمعة.

❑ **روما** – تمكن فريق روما الإيطالي من تحقيق فوز ثمين، مساء الجمعة، على ملعب الأولمبيكو، أمام ضيفه فيورنتينا بأربعة أهداف مقابل هدف، بفضل تألق مهاجمه المصري محمد صلاح، الأمر الذي جعل الاتحاد الأفريقي لكرة القدم "كاف" يشيد بمردود الفرعون صلاح على صفحته الرسمية عبر "تويتر".

وقال كاف "تحية وتقدير للمصري محمد صلاح على ما يحققه من نجاحات هذا الموسم".

وأضاف "هو أكثر لاعب أفريقي سجل وساهم في صناعة أهداف في موسم واحد بالدوري الإيطالي، بـ11 هدفا وصناعة 5 أهداف أخرى"

وبدوره أشاد لوتشيانو سباليتي، المدير الفني للفريق الأول لكرة القدم بنادي روما الإيطالي، بالنجم المصري محمد صلاح.

وقال سباليتي في تصريحات نقلها الموقع الرسمي للنادي "محمد صلاح لاعب عظيم.. لاعب مُدمِّر إن كان في أفضل حالاته ووجد مساحات".

وتطرق سباليتي للحديث عن المباراة قائلا "نحن دائما نريد مداعبة الكرة ولعبها وكذلك تقديم المتعة والترفيه لجمهورنا، عندما نحقق نتائج كهذه كل شيء يصبح رائعا، يجب أن نبقي أقدامنا على الأرض وأن نمضي قدما".

وتمكّن صلاح ليلة الجمعة من إثبات نفسه أمام فريقه القديم، وتألق بإحرازه لهدفين وصناعة هدف لزميله الإيطالي مصري الأصل ستيفان الشعراوي. واحتفل صلاح والشعراوي على طريقتهما الخاصة، بالفوز الذي جعل روما منفردا بالمركز الثالث

> صلاح تمكن من إثبات نفسه أمام فريقه القديم، وتألق بإحرازه لهدفين وصناعة هدف لزميله الإيطالي مصري الأصل ستيفان الشعراوي

سجل ومرر وانتصر

في ترتيب جدول الدوري الإيطالي، حيث أشار اللاعبان بأيديهما بعلامة "الأهرامات".

ورفع روما رصيده إلى 56 نقطة في المركز الثالث منفردا، فيما توقف رصيد فيورنتينا عند 53 نقطة في المركز الرابع.

وافتتح الشعراوي أهداف فريقه في الدقيقة 22، ثم ضاعف محمد صلاح النتيجة في الدقيقة 25، قبل أن يسجل بيروتي وصلاح مجددا في الدقيقتين 38 و58، فيما سجل إليشيتش هدف فيورنتينا الوحيد في الدقيقة الثانية من الوقت المحتسب بدل الضائع في الشوط الأول من ركلة جزاء.

المباراة بدأت بقوة من جانب لاعبي فيورنتينا وضغطوا كثيرا واقتربوا من مرمى الحارس تشيزيني، فيما ظهر الارتباك بشكل غير مبرر على أداء لاعبي روما.

تحسن أداء لاعبي روما مع مرور الوقت وبدأوا في السيطرة على الكرة بشكل أفضل لتصبح المباراة سجالا بين الفريقين، ويبدأ الجمهور في تشجيع روما بشكل أكبر مطالبا لاعبيه بتسجيل هدف يسهّل مهمة الانفراد بالمركز الثالث والضغط على نابولي صاحب المركز الثاني.

في الدقيقة 22 مرر بيانيتش كرة رائعة لصلاح الذي لعب عرضية حوّلها الشعراوي بنجاح في شباك فيورنتينا، لتصبح النتيجة تقدم روما بهدف دون مقابل وسط شكوك بتسلل صلاح وقت التمرير.

لم يحتج روما لأكثر من 3 دقائق بعد الهدف ليكرر محمد صلاح ما فعله في لقاء الدور الأول بالتسجيل من جديد في مرمى فريقه السابق، بعدما اصطدمت تسديدته بجسد مدافع فيورنتينا لتسقط الكرة في مرمى فيورنتينا وتصبح النتيجة تقدم روما بثنائية. وكاد بيروتي بعدها أن يسجل الهدف الثالث سريعا، ولكن القائم وقف له بالمرصاد لتستمر النتيجة كما هي عليه تقدم روما بهدفين دون مقابل.

ولأن المصائب لا تأتي فرادى اضطر مدرب فيورنتينا سوزا لإجراء تبديل مبكر في الدقيقة 29 بعد تعرض لاعبه الأسباني فاليرو للإصابة، ليدفع بدلا منه باللاعب تيو قبل أن يضطر من جديد لإجراء تبديل ثان بشكل اضطراري أيضا، فيدخل ميلان بادليج بدلا من فيتشينو.

وفي الدقيقة 38، ومن مجهود فردي رائع للشعراوي مرر لزميله بيروتي الذي سجل الهدف الثالث لروما. وفي الدقيقة الأخيرة من الوقت المحتسب بدلا عن الضائع تحصل تيو على ركلة جزاء لفيورنتينا نفذها إليشيتش بنجاح، ليطلق الحكم صافرته بعدها معلنا نهاية الشوط بتقدم روما بثلاثة أهداف لهدف

بدأ روما الشوط الثاني بقوة وتوج محمد صلاح مجهود فريقه بتسجيل الهدف الشخصي الثاني والرابع لفريقه، بعد تمريرة رائعة من زميله بيانيتش لتصبح النتيجة تقدم روما 4–1.

هدأ اللعب قليلا بعدها وسط سيطرة واضحة للاعبي روما على مجريات اللعب مع محاولات عشوائية غير مكتملة للاعبي فيورنتينا، سيطرت عليها العصبية وقلة التركيز.

وفي الدقيقة 76 وقف جمهور روما مشجعا بحماس قائده توتي، بعدما دفع به مدرب الذئاب سبالليتي بدلا من ستيفان الشعراوي.

ومرت الدقائق المتبقية دون جديد، ليطلق الحكم صافرته معلنا نهاية المباراة بفوز روما بأربعة أهداف مقابل هدف واحد.

رسالة الجندي المجهول

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ برشلونة فريق مهاب و"كتيبة" لا تقهر، برشلونة يسير بخطى ثابتة وحثيثة نحو الحصول من جديد على لقبي الدوري والكأس المحليين، بل هو أكبر المرشحين لنيل لقب دوري الأبطال الأوروبي للعام الثاني على التوالي، ببساطة يبدو أن الفريق الكاتالوني مقبل على حصد كل الألقاب الممكنة مرة أخرى.

برشلونة يستمد قوته والكل يعلم ذلك من الثالوث الهجومي المرعب ميسي ونيمار والهداف سواريز، وهو الفريق صاحب أكبر معدلات في التهديف، ولا وجود لفريق قوي يبدو قادرا على الصمود والوقوف أمام ثورة "الثور" الكاتالوني الهائج الذي أتى على "الأخضر واليابس".

في هذا الخضم من المديح والتمجيد لقوة برشلونة المستمدة منذ الوهلة الأولى من هذا الثالوث المميز الساعي إلى تحطيم كل الأرقام القياسية، فإن الحديث عن مصادر قوة وهيبة الكتيبة الكاتالونية لا يجب أن يكون منحصرا على أداء هؤلاء اللاعبين فحسب، بل يتعين أيضا الفحص والبحث عن أحد أقوى أسرار استقرار نتائج برشلونة ومستواه منذ سنوات طويلة.

هي معطيات تاريخية معيّنة جعلت من أسلوب لعب متصدر الدوري الأسباني بهذه القوة، حيث نشأ برشلونة منذ السبعينات من القرن الماضي على أمل تكوين فريق يعتمد على الأسلوب الهولندي، أي "الكرة الشاملة" التي يشارك في تطبيقها كل اللاعبين على حد سواء، وتوصل المدرب السابق للنادي يوهان كرويف إلى ترسيخ هذا الأسلوب خلال حقبة التسعينات، قبل أن يبدأ قطف ثمار هذا التوجه منذ حوالي عشر سنوات ليستفيد الفريق من ظهور جيل رائع واستثنائي من اللاعبين بقيادة فلتة زمانه ليونيل ميسي.

أسباب تاريخية وأخرى فنية جعلت من برشلونة أقوى فريق في العالم على امتداد هذه العشرية، لكن ما يجب تأكيده هو أن وجود ميسي لم يكن كافيا لتنفيذ مشروع وحلم "الكرة الشاملة"، بل كان قوام العمل الناجع يرتكز أساسا وبالضرورة على منح الفرصة كاملة لأبناء مدرسة "لاماسيا" التابعة للنادي والمتخصصة في إنجاب اللاعبين الموهوبين، فبرز ضمن هذا السياق عدد لا يستهان به من اللاعبين مثل تشافي وإينييستا، فهذان اللاعبان شكلا على امتداد السنوات الماضية نقطة ارتكاز في قوة برشلونة ليضيفا على عبقرية ميسي مسحة من اللعب الجماعي الجميل، قبل أن يأخذ بعد ذلك نيمار وسواريز المشعل.

ومع ذلك، فكل هذه المعطيات قد لا تكفي لوحدها عند البحث عن مكامن قوة برشلونة، فكم من جندي مجهول صنع تاريخا مجيدا مع الفريق ولم ينل حظه؟ وكم من لاعب موهوب خفت بريق نجوميته في حضرة سلطة الأضواء الساطعة لميسي؟

ومن بين هؤلاء يبدو من الإنصاف والعدل الحديث عن سيرجيو بوسكيتس الذي لم ينل شهرة واسعة ولم يكن بالمرة جالبا لأضواء النجومية، رغم أنه يبدو دوما رمانة ميزان الفريق ككل وأحد أهم وأقوى "أسلحته" الخفية والفتاكة.

هو فعلا الجندي المجهول الذي لم ينل حظه، ومن عبث الأقدار أنه يعيش في ظل ميسي، رغم أنه يعتبر أحد أهم مصادر قوة النجم الأرجنتيني.

سيرجيو متوسط ميدان برشلونة وصمام الأمان بامتياز، هو من يقطع الطريق أمام كل لاعبي الفرق المنافسة، هو من يتولى حلقة الربط بين الدفاع والهجوم، هو من يملك أعلى نسبة تمريرات ناجحة في الفريق، هو من تتشكل حوله "فلسفة" برشلونة، أي "التيكي تاكا" الشهيرة المبنية على ضرورة التبادل السريع للكرة، هو من منح الأمان سابقا لإينييستا وتشافي وحاليا لميسي وبقية عناصر الفريق، وفي المقابل، لا يُتحدث كثيرا عن ابن مدرسة "لاماسيا"؟

والد سيرجيو كان الحارس الأول لبرشلونة في بداية التسعينات، فتعلّم منه حب برشلونة والوفاء لها، تتلمذ على أيدي أبرز المدربين في أصناف الشباب بالفريق، فبرز في سنواته الأولى قبل أن يمنحه المدرب السابق لبرشلونة بيب غواردیولا ثقته الكاملة كي يكون أحد أبرز عناصر فريق الأحلام الذي لا يقهر، ولهذا السبب بات منذ سنة 2008 حجر زاوية في تركيبة "برشلونة" الجديد وعنصرا لا غنى عنه.

سيرجيو صاحب الثامنة والعشرين ربيعا، يعتبر أكثر اللاعبين مشاركة مع الفريق وقلّما تعرض للإصابات، قال عنه ميسي إنه اللاعب الأكثر جودة ودقة في التمرير، وبوجوده في وسط الميدان لا يخاف كثيرا عندما تفتك الكرة منه.

في هذا الموسم شارك سيرجيو في أغلب المباريات التي خاضها برشلونة في الدوري المحلي ودوري الأبطال، بل إن مشاركاته فاقت مشاركات ثالوث "الرعب" ميسي ونيمار وسواريز، وكان مستواه دوما رائعا ومميزا للغاية، حتى أن لويس إنريكي مدرب الفريق أكد أن سيرجيو هو أبرز لاعب وسط في العالم، إنريكي قال أيضا إنه عندما يختار تشكيل الفريق في كل مباراة لا يفكر البتة في وضعه على دكة البدلاء، عكس كل اللاعبين الآخرين.

وإذا أراد برشلونة أن يواصل تفوقه على الجميع عليه أن يفكر منذ الآن في تجديد عقد سيرجيو الذي يريد غواردیولا "اختطافه" وضمّه لمانشستر سيتي، فإن رحل الجندي المجهول، ربما فقد ميسي والبقية طعم الأمان.. ساعتها سيقول سيرجيو "لا تسألني من أكون؟ أنا من ساهم في صنع أمجاد ميسي وتشافي وإينييستا والبقية".

أرسنال يحرم توتنهام من صدارة البريميرليغ

❑ **لندن** – حرم أرسنال مضيفه توتنهام من انتزاع صدارة الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، بعدما تعادل معه بهدفين مقابل هدفين السبت في دربي شمال لندن على ملعب "وايت هارت لين".

ورفع توتنهام رصيده إلى 55 نقطة في المركز الثاني بفارق نقطتين خلف المتصدر ليستر سيتي، بينما رفع أرسنال رصيده إلى 52 نقطة في المركز الثالث.

وتقدم أرسنال بهدف سجله اللاعب آرون رامسي في الدقيقة 39، ورد توتنهام بهدفين في الشوط الثاني سجلهما توبي ألديرفيرفيلد وهاريين كين في الدقيقتين 60 و62، قبل أن يسجل أليكسيس سانشيز هدف التعادل لأرسنال في الدقيقة 75.

وبدأت المباراة بإيقاع لعب هجومي من جانب توتنهام الذي كاد يستفيد من أكثر من خطأ دفاعي لأرسنال في الدقائق الأولى.

وفي الدقيقة 39، وجه أرسنال ضربة موجعة لتوتنهام وجماهيره عندما استغل أول فرصة هجومية حقيقية له وافتتح التسجيل، حيث انطلق ويلبيك من الناحية اليسرى وأرسل الكرة إلى هيكتور بيليرين الذي مرر عرضية قابلها آرون رامسي بلمسة مهارية أسكن بها الكرة في الشباك.

وأنعش الهدف هجوم أرسنال وتوالت محاولاته سعيا لتعزيز تقدمه قبل نهاية الشوط الأول، لكن محاولاته لم تسفر عن جديد لينته الشوط بتقدمه بهدف لصفر.

وفي الدقيقة 55 من الشوط الثاني تلقى أرسنال صدمة بطرد لاعبه فرانسيس كوكولين لحصوله على الإنذار الثاني.

بعدها تحولت دفة المباراة إلى توتنهام، حيث أدرك التعادل في الدقيقة 60 عن طريق توبي ألديرفيرفيلد إثر ضربة ركنية أحدثت ارتباكا داخل منطقة الجزاء، لتصل الكرة إلى ألديرفيرفيلد الذي دفع بها إلى داخل الشباك.

وبعدها بأقل من دقيقتين، تقدم توتنهام بهدف للاعب هاري كين سجله من حدود منطقة الجزاء في الزاوية البعيدة.

ورفض أرسنال الاستسلام، واستأنف محاولاته الهجومية لينجح في إدراك التعادل في الدقيقة 75، حيث تلقى أليكسيس سانشيز طولية وانطلق داخل منطقة الجزاء متحديا الرقابة الدفاعية، ثم سدد كرة قوية ارتطمت بيد الحارس ثم القائم قبل أن تسكن الشباك.

ولم تسفر الدقائق المتبقية عن جديد لتنتهي المباراة بالتعادل هدفين لمثلهما.

التعادل يحسم دربي شمال لندن

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

معكرونة بالحشرات تلقى رواجا في الأسواق الفرنسية

يعتزم مصنع يدوي صغير موجود في إقليم اللورين في قلب المنطقة الجبلية شرق فرنسا، والذي تأسس سنة 2012 على يد معلمة لغة فرنسية، توسيع طاقم عمله بعد النجاح الذي لقيته آخر ابتكاراته، ألا وهي المعكرونة بالحشرات.

❏ **باريس** – ينتج مصنع صغير مبتكر في إقليم اللورين في قلب المنطقة الجبلية شرق فرنسا أربعة أنواع معكرونة مصنوعة كلها من حشرات، وهي المعكرونة بالصراصير أو بالجراد، أو بالجراد والصراصير معا، أو بالصراصير وفطر البورسيني، وتشير ستيفاني ريشار مؤسسة مصنع "تييوفوس للمعكرونة إلى أن هذه الأطعمة تشبه من ناحية المذاق المعكرونة بالقمح الكامل.

وتوضح ريشار أن "الحشرات هي بروتينات المستقبل بفضل جودتها العالية وقدرة الجسم الكبيرة على هضمها وخلوّها من المركب البروتيني غلوتين".

وكانت ستيفاني تعمل على تصنيع معكرونة غنية بالبروتينات خاصة بالرياضيين عندما اتصل بها مربّ للحشرات من منطقة ليون عارضا عليها هذه الفكرة.

وبعد اقتناعها بها، انطلقت في إنتاج المعكرونة بالحشرات لتسويقها خلال فترة عيد الميلاد، وتقول بسعادة ظاهرة إن "المنتج حقق نجاحا هائلا، لأنه أثار الفضول لدى المستهلكين".

ويستعد آلان ليمون، البالغ 52 عاما، وهو الموظف الوحيد في مصنع "تييوفوس للمعكرونة، لوضع أطباقه في الفرن مؤكدا أن تسميتها هي وحدها المقززة، لكن طعمها لذيذ جدا، فهو يحضر معكرونة بالجراد والصراصير، حيث يمزج آلان في آلته دقيق الحنطة المستورد من منطقة تول بطحين الحشرات (7 بالمئة) والبيض الكامل.

وتخرج المعكرونة بلون أسمر على أشكال مختلفة بينها "راديااتوري" و"فوزيلي" و"سباغيتي" و"بيني"، ويتعين بعدها تجفيفها على مدى 12 ساعة على درجة حرارة متدنية قبل التمكن من وضعها في علب ورقية، وخلال يوم كامل، ينتج العامل ما بين 180 و200 كيلوغرام من المعكرونة بمذاقات مختلفة.

تبدو مقززة لكنها لذيذة

وفي بداية إنتاجه سنة 2012، كان المصنع ينتج معكرونة عادية بالبيض الطازج، غير أن عرضه يكون مع منتجات محلية مثل المعكرونة بالثوم والقرّاص والزعفران.

وتلفت مؤسسة المصنع ستيفاني ريشار إلى أنها تستخدم في إنتاج هذه المعكرونة مواد موجودة في منطقة لورين حصرا باستثناء السميد الذي لا تتلاءم زراعته مع مناخ المنطقة، وبالتالي تضطر لاستيراده.

وتقول ستيفاني بعد أربع سنوات على إطلاق إنتاجها إن "النجاح كبير جدا لدرجة أننا سنتمكن قريبا من توظيف شخص ثان"، مبدية فخرها بإنتاجات مصنعها التي تقارب 400 كيلوغرام أسبوعيا، وهي لا تعتزم التوقف عند هذا الحد، إذ أنها تعمل على تحضير وصفة جديدة مصنوعة من جبنة "ماروي" التقليدية في منطقة شمال فرنسا، كما أنها تسعى إلى البدء بتصنيع "الباستا" المحشوة.

وتباع المعكرونة بالحشرات بمبلغ ستة يوروهات للكيس بوزن 250 غراما، أي أغلى من المعكرونة التقليدية، لكنها قد تشكّل بحسب صاحبة المصنع بديلا مقبولا بالنسبة إلى الأشخاص الذين لا يتناولون اللحوم أو حتى للراغبين في تذوق الحشرات.

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

غرق التاكسي النهري

❏ مانشتات عريضة في الصحف المصرية الأسبوع الماضي تبشرنا بقرب تشغيل التاكسي النهري، وهو مشروع قديم أحيته الحكومة لتخفيف الازدحام بشوارع القاهرة.

كان مقررا أن يتم تشغيل التاكسي من كورنيش النيل بالتحرير والمعادي، وتم تحديد تعريفة التذكرة للمسافات وإعلانها على لوائح بمحطات التحرير والمنيل والفسطاط والمعادي..

عرف المواطنون أنهم سيستطيعون أخيرا اختصار الوقت الذي يستغرقونه في الوصول إلى منازلهم عبر طريق الكورنيش المزدحم الذي تسير فيه السيارات خطوة خطوة.

وهكذا قام سعد الجيوشي وزير النقل بافتتاح المشروع بحضور الفريق مهاب مميش رئيس هيئة قناة السويس، وتم الإعلان عن أن مصر لحقت بألمانيا وفرنسا اللتين يسير فيهما نظام التاكسي النهري، وصفق الحاضرون بشدة لهذا الخبر العظيم.

في اليوم التالي انتظر المواطنون في الأماكن التي تمّ تحديدها لخط سير التاكسي، لكنهم لم يجدوا سوى تاكسي واحد باللون الأصفر بمنطقة العجوزة.

سألنا عن الزوارق التي قيل لنا إنها ستمخر عباب النيل في رحلات مكوكية بين التحرير والمعادي، ولكنها اختفت، نزل الخبر على رؤوسنا كالصاعقة، غرقت ثلاثة مراكب.

ذكروني بفيلم "ابن حميدو" بطولة الراحل عبدالفتاح القصري وإسماعيل ياسين عندما قرر أن يبيع زورقه "نورماندي تو" لأحمد رمزي وإسماعيل ياسين، وقال "قررنا نحن المعلم حنفي بيع الباخرة نورماندي تو.. تو.. لابن حميدو القرصان وحسن أفندي القبطان، سيري على بركة الله"، وغرقت المركب فورا بعد تدشينها.

المهم أن بعض الصحفيين ذهبوا ثاني يوم لتفقد الإقبال الشديد على التاكسي النهري فعرفوا مشكلة غرق بعضها وتوقف المشروع، قال مسؤولون بالشركة التي تملك التاكسي -وكان مقررا لها تشغيله قبل أيام- إنهم لا يعرفون أيّ معلومات حقيقية عن المشروع الجديد الذي قام المسؤولون بافتتاحه سوى أن بعضها رقد في قاع النيل، وأنهم "سمعوا" أن الشركة ستقوم باستبدال الزوارق الغارقة بأخرى جديدة في غضون أسبوع على أن يبدأ التشغيل فور وصولها.

كان طبيعيا أن يسأل الناس ما الذي يضمن أن الزوارق الجديدة لن تلحق بالقديمة في قاع النهر، رد المسؤولون "العلم عند الله وحده".

مصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي تعلن عن افتتاح المشروعات شفويا، أو بالنيّات، وطالما أن النيّة طيبة مع دعاء الوالدين والقلب الطيّب، ستكون مصر بخير وسلامة، أما التخطيط والدراسات والتجارب فمكانها في دول أخرى ليست بعيدة عنا!

بيتزا نابولي تسعى للانضمام إلى اليونسكو

❏ **روما** – رشحت إيطاليا بيتزا نابولي لضمها إلى قائمة التراث الثقافي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) للعام المقبل.

وقالت اللجنة الوطنية لليونسكو في بيان لها إنها صوتت بالإجماع على حماية البيتزا النابولية، كجزء من التقليد الثقافي والغذائي لإيطاليا، وإذا قبلت اليونسكو هذا الترشيح فإن بيتزا نابولي ستفوز بمكان في قائمة المنظمة الدولية للتراث الثقافي للبشرية بوصفها "الفن التقليدي لصناع البيتزا النابولية".

وتمتاز بيتزا نابولي التقليدية بطبقة خارجية رفيعة نسبيا باستثناء الأطراف التي تنتفخ مثل إطار عجلة صغيرة عندما توضع في الفرن، وتصنع في فرن من الطوب اللبن بحرق الأخشاب وتتألف من نوعين تقليديين هما "مارينارا" والتي تعد من الطماطم والثوم والتوابل والزيت، و"مارغريتا" والتي تعد من الطماطم وجبنة الموزاريلا والزيت والريحان.

ووفقا للتقاليد ابتكر طباخ محلي بيتزا مارغريتا في 1889 تكريما للملكة مارغريتا، التي كانت تزور المدينة، وتحمل هذه البيتزا ألوان العلم الإيطالي الأحمر والأبيض والأخضر.

وتشمل ثقافة الطعام المدرجة على قائمة اليونسكو كلا من تقاليد القهوة التركية وصناعة خبز الزنجبيل من شمال كرواتيا.

يذكر أنه كجزء من مهام اليونسكو، لا يقتصر اعترافها بالتراث العالمي على الآثار فقط، بل يتعداها أيضا إلى الحرف التقليدية، وفي إيطاليا، تتمتع حرفتا الصناعة اليدوية للكمان في كريمونا، ومسرح العرائس في صقلية، بالفعل بهذا الوضع المتميز.

وقال وزير الزراعة الإيطالي ماوريتسيو مارتينا، إن "فن صناع البيتزا هو رمز في جميع أنحاء العالم للطابع الإيطالي، ومن المنتظر أن تتخذ اليونسكو قرارا في هذا الشأن بحلول نهاية عام 2017، وأضاف مارتينا أن "البيتزا تحظى بشعبية في جميع أنحاء العالم".

وتقول نابولي إنها مهد هذه الصناعة، حيث وضعت جمعية بيتزا نابولي الحقيقية مبادئ محددة للغاية حول مواصفات البيتزا الأصلية، لتضع قواعد للمكونات وأساليب الطهي، ومنها أن الطبخ يجب أن يتم حصرا في فرن الحطب، والذي تصل درجة حرارته إلى 485 درجة مئوية، وأن توقيت الطهي ينبغي ألا يتجاوز الفترة الممتدة من 60 إلى 90 ثانية.

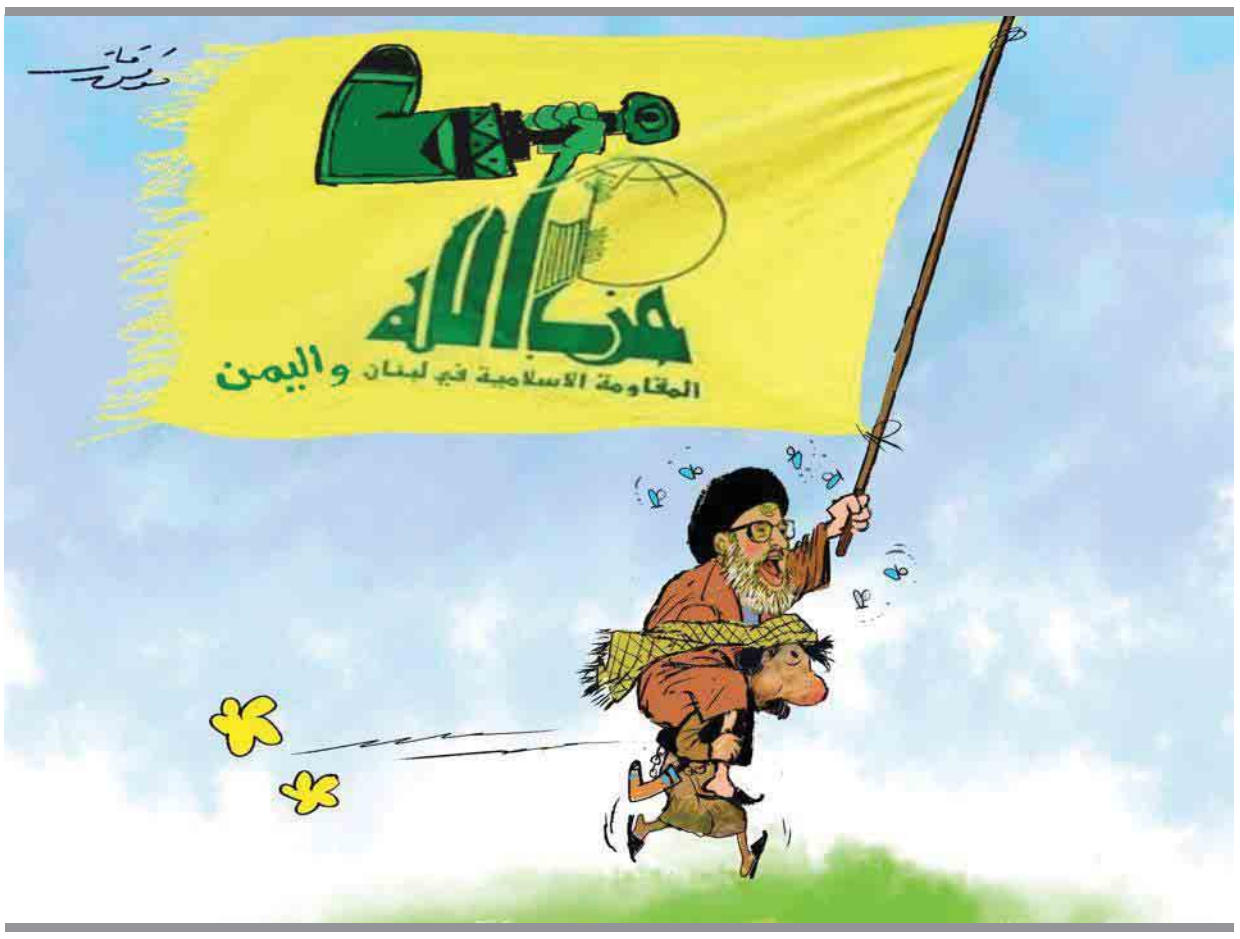

مردوخ يتزوج عارضة الأزياء جيري هال

❏ **لندن** – غداة الزواج المدني، احتفل روبيرت مردوخ وجيري هال بزواجهما كنسيا السبت في لندن بحضور نحو مئة مدعو، من بينهم أولاد كل منهما والعديد من المشاهير.

وحضر الزفاف كل من ريبيكا بروكس والموسيقي بوب غيلدوف والممثل مايكل كاين والفنان ترايسي إيمن. وتم إحياء المراسم الدينية في كنيسة "سانت برايد" الواقعة خلف شارع فليت ستريت الذي ارتكزت فيه لفترة طويلة أبرز المجموعات الإعلامية البريطانية.

وارتدت عارضة الأزياء الأميركية السابقة جيري هال فستانا من تصميم فيفيين ويستوود ووصلت إلى الكنيسة برفقة ابنها جيمس، أما روبيرت مردوخ الذي أقر الجمعة بأنه "أسعد رجل في العالم وأكثرهم حظا"، فقد وصل برفقة ابنيه جيمس وماكلن.

وحضر الزفاف أيضا، الأولاد الأربعة الآخرون لصاحب الإمبراطورية الإعلامية الأسترالي الأميركي والأولاد الثلاثة الآخرون للممثلة وعارضة الأزياء السابقة.

وهذا الزواج هو الرابع لمردوخ (84 عاما) والثاني لجيري هال (59 عاما) التي كانت زوجة ميك جاغر قائد فرقة "رولينغ ستونز" من 1990 إلى 1999.

وتقدر ثروة مردوخ بـ11 مليار دولار، ويملك خصوصا "وول ستريت جورنال" و"ذي صن" و"تايمز" و"نيويورك بوست".